



مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

مجلة محكمة فصلية



# مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

(( مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً ))

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

المدير المسؤول: الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع

## لجنة المجلة

الدكتور محمود السيد «رئيس التحرير»

الدكتور عبد الله واثق شهيد      الدكتور مكّي الحسني الجزائري

الدكتورة ليلى الصباغ      الدكتور مازن المبارك

الدكتور ممدوح خسارة      الدكتور عيسى العاكوب

الدكتور محمد محفل      الدكتور عبد الإله نبهان

الدكتور أحمد قدور

أمين المجلة: الدكتور محمود الحسن





## المقالات والآراء

- :
- 
- :
- 
-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المنحى الوظيفى فى تعليم النحو

د. محمود السيد(\*)

نحاول فى هذا البحث الموجز أن نتعرف وظائف اللغة بصورة عامة، ثم نقف على الوظيفية فى المجال اللغوى التربوى والوظيفية فى تعليم النحو.

### أولاً- وظائف اللغة

ثمة من حدد وظائف اللغة فى ثلاث وظائف هى: التفكير والتواصل والتعبير، فاللغة هى وسيلة الفرد للتحكم فى بيئته لأنها أداة التفكير وثمرته، وبها يعبر عن مشاعره وعواطفه وأفكاره، ويقضى حاجاته، وينفذ مطالبه، ويحقق مآربه فى المجتمع الذى يحيا فيه، وبها تسهل عمليات التفاعل الاجتماعى والانصهار الفكرى بين أبناء المجتمع والأمة، حتى إن المعاصرين من اللسانين

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

يتفقون على أن وظيفة اللغة تتمثل في تمتين العلاقة بين أفراد المجموعة البشرية. وثمة من يرى أن هذه الوظائف هي التعبير والتعرف والنداء، ويتركز الاهتمام في الحالة الأولى على ترجمة انفعالات الفرد الناطق وحاجاته، وفي الحالة الثانية على إدراك الواقع، وفي الحالة الثالثة على التأثير في الآخرين. وإذا كان «بوهلر Buhler» قد أبان أن وظائف اللغة هي الوظيفة الانفعالية، والوظيفة الندائية، والوظيفة المرجعية، ويقابل ذلك نموذج مثلث الزوايا الذي يمثل المتكلم أي المرسل، والمخاطب أي المستقبل، والغائب أي الشخص أو الحدث أو الشيء الذي نتحدث عنه، فإن «هاليداي Halliday» حدد وظائف اللغة في ثمان وظائف، وهي: <sup>(١)</sup>

#### ١- الوظيفة النفعية Instrumental function

وهي أن تسمح اللغة لمستخدميها أن يشبعوا حاجاتهم، وأن يعبروا عن رغباتهم، وهي الوظيفة التي يطلق عليها (أنا أريد).

#### ٢- الوظيفة التنظيمية Regulatory function

وهي التي يستطيع الفرد باستعمال اللغة أن يتحكم في سلوك الآخرين، والتي تعرف باسم وظيفة (افعل هذا، ولا تفعل كذا)، وهذا يعني أن للغة وظيفة الفعل.

---

(١) دحاتم علو الطائي - الوظيفة اللغوية والرمز اللغوي في الحياة الاجتماعية - السبب ٢٠٠٩ / ٨ / ٨ - الحضارية - معهد الأبحاث والتنمية الحضارية.

### ٣- الوظيفة التفاعلية Interpersonal function

وتستخدم اللغة فى هذه الوظيفة عاملاً فعالاً فى وجود التفاعل الاجتماعى مع الآخرين، وهى الوظيفة التى يمكن أن نطلق عليها (أنا وأنت)، وتركز هذه الوظيفة على أن الإنسان كائن اجتماعى لا يستطيع التحرر من أسر جماعته، وتعد اللغة العنصر الأساسى فى عملية الاندماج والتفاعل الاجتماعيين، وذلك باستعمال اللغة للتنمية بأنواعها، وإظهار التأدب والتلطف فى المناسبات الاجتماعية.

### ٤- الوظيفة الشخصية Personal function

ويمكن للفرد أن يعبر باللغة عن مشاعره واتجاهاته نحو الموضوعات الكثيرة، ويمكنه بها أن يثبت هويته وكيانه الشخصى والتعبير عن أفكاره ومشاعره المختلفة من سعادة وفرح وحزن وغضب.. الخ.

### ٥- الوظيفة الاستكشافية Heuristic function

وهى الوظيفة التى يبدأ الفرد باستخدامها لمعرفة البيئة المحيطة به وفهمها، ويطلق عليها الوظيفة الاستفهامية.

### ٦- الوظيفة التخيلية Imagination function

وهى الوظيفة اللغوية التى يسمح بها للفرد بالهروب من الواقع الذى يعيش فيه.

### ٧- الوظيفة الرمزية Symbolic function

وهى من الوظائف ذات الأهمية، ذلك لأن اللغة المكتوبة تمثل رموزاً إلى الموجودات فى العالم الخارجى، فتنتقل التراث الشفوي من جيل إلى جيل وتحافظ عليه من الضياع وذلك بتدوينه.

## ٨- الوظيفة الإخبارية Information function

وينقل الفرد بها معلومات إلى الآخرين والأجيال المتعاقبة.

ولقد حدّد «رومان جاكبسون Roman Jakobson» للغة أربع وظائف هي: الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، والوظيفة الندائية، والوظيفة المرجعية، والوظيفة الاستمرارية<sup>(٢)</sup>، في حين أن Sebeok حددها في ست وظائف هي: (٣)

### ١- وظيفة انفعالية Emotion

تعبّر عن المشاعر الداخلية للمتكلم أو الكاتب من خلال الكلمات التي يستعملها أو التنغيمات التي يُسبغها على صوته في حال الكلام الشفاهي.

### ٢- وظيفة تأثيرية Conative

هدفها إنتاج سلوك معين في المخاطب، أي جعله يتصرف بصورة متوقعة منه، أو نريده أن يقوم بها.

### ٣- وظيفة نسبية Referential

وترتبط بالطريقة أو الأسلوب الذي يشار به إلى الأشياء من خلال الصياغات اللغوية المستعملة.

### ٤- وظيفة ماورا لغوية Metalingual

(٢) ميشال زكريا- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت ١٩٨٣ ص ٦٠.

(٣) Sebeok, T.A- Style in language, wiley and san.N.Y 1960 p350-

وتعنى بما بعد القول من حيث مطابقة الكلام للقانون اللغوي مبنى ومعنى، ومطابقة الأسماء لمدلولاتها، وكيفية تلقي السامعين للكلام، وإدراك ما وراء السطور وعدم الاقتصار على ما بينها.

#### ٥- وظيفة شعرية Poetic

وهي تتعلق بالرسالة الكلامية وحدها ولذاتها في جمالها وأثرها في نفس المتكلم وبنائها وجرسها الموسيقي المصور للشعور الإنساني.

#### ٦- وظيفة استمرارية Phatic

وهي تختص بالإبقاء على الصلة مستمرة بين المتكلم والمستمع، كما يظهر بالأصوات غير ذوات المعاني أحياناً (آه...أيوه...).

تلك هي أبرز وظائف اللغة كما أشار إليها عدد من الباحثين، وتجدر الإشارة إلى أن اللغة، مع أنها نظام من الرموز، تحقق وظيفتين متكاملتين، أولاهما الوظيفة الاتصالية حيث تعمل اللغة وسيطاً للتفاعل بين الأفراد ونقل المعلومات واستقبالها، وثانيتهما الوظيفة التجريدية حيث تعمل اللغة وسيطاً لتكوين الأفكار التي تجرد الواقع وتحتزله في شكل رموز، تمكن الإنسان من فهمه وضبطه بدرجة أكبر، وبتعبير آخر تتحدد وظيفتا اللغة بالاتصال والتعميم، وما يقوم بين هاتين الوظيفتين من تفاعل يغني دور اللغة في حياتنا. (٤)

وإذا كانت الوظيفة الاتصالية للغة تتجلى في استقبال الرسائل اللغوية، ونقلها،

---

(٤) ل. فيجوتسكي - التفكير واللغة - ترجمة الدكتور طلعت منصور - القاهرة مكتبة الأنجلو

والاحتفاظ بها، والتأثير في الآخرين والأحداث الخارجية، وتوجيه هؤلاء الآخرين وتلك الأحداث، والتأثير في العمليات الفسيولوجية داخل الجسم، وتعديلها، والتوصل إلى اشتقاق نتائج جديدة في ضوء المعلومات المتاحة، ومن ثم إعادة بناء الأحداث الماضية والتنبؤ بالمستقبل بمقتضاها، فإن الوظيفة الاتصالية للغة ليست بالأمر السهل، فالحدث اللغوي الذي يتم بين شخص وآخر، بين مرسل ومستقبل، أي بين متكلم ومستمع، أو كاتب وقارئ، هو نظام معقد، كما أن مراعاة المستقبل في تقديم المادة اللغوية في ضوء مستواه العقلي ورصيده اللغوي وخبرته السابقة من الأمور الجديرة بالاهتمام في العملية التعليمية التعلمية. ومن هنا كان التركيز على الجانب الوظيفي في تعليم اللغة وتعلمها، وهذا ما سنعرض له في الصفحات التالية. وهذا ما دعانا إلى الوقوف على الوظيفية في المجال اللغوي التربوي.

### ثانياً- الوظيفية في المجال اللغوي التربوي

تمتد جذور الوظيفية إلى زمن بعيد، فهي قديمة قدم الفكر الاجتماعي، إذ رأى كونفوشيوس أن وظيفة الدين والطقوس الدينية هي تأكيد أهمية العلاقات الاجتماعية وتنظيمها وتحديد طريقة المعاملات بين البشر، وعبر أفلاطون عنها من خلال مماثلات قام بها بين قوى النفس العاقلة والغاضبة والشهوية وبين طبقات المجتمع، وحدد لكل طبقة منها وظيفة على غرار وظائف قوى النفس المذكورة، فطبقة الحكام تحكم، وطبقة الجند تحارب، وطبقة العمال تعمل.<sup>(٥)</sup> ويعد «اميل دوركهايم» الأب الشرعي للوظيفية في علم الاجتماع، فهو من

(٥) ماجد علم أبو حمدان- الوظيفية- الموسوعة العربية برئاسة الجمهورية- المجلد الثاني والعشرون- الطبعة الأولى- دمشق ٢٠٠٨ ص ٢٨١.

أهم أعلام المدرسة الوظيفية البارزين في علم الاجتماع، إذ أكد دراسة النظم الاجتماعية (الاقتصادية والدينية والقانونية) بوصفها جزءاً من النسق الاجتماعي الذي يُحافظ عليه من خلال أدائها لوظائفها.<sup>(٦)</sup>

أما في المجال اللغوي التربوي فقد تغيرت النظرة إلى اللغة، فبعد أن كان ينظر إليها على أنها مجموعة من الحقائق والأحكام والقواعد ينبغي أن تُعلّم، وما على المعلم إلا أن يلقنها للمتعلم تلقيناً، وما على المتعلم إلا أن يحفظها ويستظهرها عن ظهر قلب، وبقدر حفظه لها يعد متمكناً من اللغة، أصبح ينظر إليها على أنها مجموعة من المهارات على المتعلم اكتسابها، وعلى المعلم أن يساعد المتعلم على هذا الاكتساب. وهذه المهارات تتمثل في المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة، واستتبع ذلك النظرة إلى وظيفية اللغة واستعمالاتها في الحياة اليومية، والوقوف على أكثر المهارات شيوعاً وانتشاراً وتواتراً في مواقف الحياة ليركز عليها في المناهج التعليمية.

ومن هنا اتجه تعليم اللغة إلى الوظيفية والنفعية الاجتماعية، إذ لا فائدة من تعلم أي مادة إذا لم يكن لها نفع اجتماعي وفائدة للمتعلم في تفاعله مع المجتمع الذي يحيا فيه. ولما كانت اللغة تؤدي وظيفتين أساسيتين للفرد وهما التعبير والتواصل، حتى إن بعض المرين يرون أن التعبير ما هو إلا ضرب من التواصل أيضاً، اتجهت الدراسات في بعض الدول المتقدمة إلى إجراء مسح لمواقف النشاط

(٦) المرجع السابق ص ٢٨٢.

اللغوي لتَعْلَم أيّ هذه المواقف أكثر استعمالاً في مواقف الحياة.  
وكان الهدف من ذلك هو بناء المناهج اللغوية على تلك المواقف الحية حتى  
يحس المتعلم أن المادة التي يتفاعل معها تستثير دوافعه، وترضي اهتماماته، وتلبي  
حاجاته، وتؤمن له متطلباته، فيقبل عليها بشوق ورغبة.  
وأسفرت البحوث العلمية التي أنجزت في هذا المجال في أمريكا عن أن ثمة  
تسعة مراكز وظيفية في الحياة هي: المحادثة، المناقشة الرسمية، المناقشة الجماعية،  
كتابة المذكرات، كتابة التقارير، كتابة الرسائل، إلقاء الكلمات في المناسبات  
المختلفة، قص القصص، توجيه التعليمات والإرشادات والتفسيرات.<sup>(٧)</sup>  
وفي ضوء هذا التوجه استعمل مصطلح «التعبير الوظيفي» ومصطلح  
«النحو الوظيفي»، وقصد بالتعبير الوظيفي ذلك التعبير الذي يؤدي خدمة  
للإنسان في تفاعله مع مجتمعه، فيقضي حاجاته، وينفذ مطالبه بالتفاهم مع بني  
جنسه بالكلمة المنطوقة والمكتوبة، أي بالتعبير الشفاهي والكتابي، كما قصد  
بالنحو الوظيفي أساسيات النحو التي ينبغي للمتعلم أن يزود بها لتساعده على  
فهم ما يستمع إليه وتمثله، وعلى القراءة فيقرأ بفهم قراءة صحيحة، وعلى التعبير  
فيعبر إن شفاهياً أو كتابياً عن فكره ومطالبه بلغة سليمة.  
ولقد أدرك المربون أن اكتساب المتعلم للخبرة لا يتحقق عن طريق تلقي

---

R.L.Lyman. Summary of investigations relation to grammar (٧)  
language, and composition, Supplementary educational monographs.  
Chicago- Lllinois.p .

المعلومات وصبها في العقول، وإنما بطريق التعامل مع البيئة، إذ إن هناك دوافع تدفع الإنسان إلى التفاعل مع بيئته الاجتماعية والاحتكاك بها كي يقضي حاجاته وينال مأربه.

ولهذا اتجهت التربية الحديثة إلى نقل مركز الاهتمام في العملية التعليمية التعليمية من المادة إلى التلميذ، بحيث تنظم المادة الدراسية تنظيمًا نفسيًا (سيكولوجيًا)، يراعي اهتمامات المتعلم وحاجاته واستعداداته ومقتضيات بيئته وحياته. وهذا المنحى لا يقلل من أهمية المادة، وإنما يأخذ منها القدر المناسب، ويقدمه إلى التلاميذ في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، وبذلك يجعل من دراسة المادة والاستفادة من خبرات السابقين وسيلة للحياة، والنمو بما يتفق الاتفاق كله مع مبادئ التعلم النفسية (السيكولوجية).

أما القدر المناسب الذي يؤخذ من المادة فقد رئي أن يقتصر على أساسياتها، ذلك لأن أساسيات المادة تعد نافعة في معظم المواقف التي يتعرض لها الفرد في تفاعله مع بيئته. وهذه الأساسيات ينبغي أن ترتبط على نحو واضح بمطالب نمو التلميذ وبالمبادئ الاجتماعية وواقع المجتمع وظروفه، حتى يمكن للمتعلم أن يدرك أهميتها في حياته وحياته مجتمعه.

### ثالثاً- الوظيفية في تعليم النحو

تغيرت النظرة إلى النحو إن في اللغات الأوروبية أو في لغتنا العربية، فقد رأى علماء اللغة في الغرب في النصف الأول من القرن الماضي عدم صلاح القواعد التقليدية للغات الأوروبية الحديثة، إذ إن القواعد التقليدية مبنية في الأساس على

قواعد اللغتين اليونانية واللاتينية، وكلتاها لغتان معربتان تختلفان اختلافاً واضحاً عن اللغات الحديثة التي تخلصت من بعض مظاهر الإعراب، وأصبحت تعتمد على وسائل أُخرٍ للتعبير عن التغيرات الصرفية في الكلمة أو العلامات النحوية بين الكلمات في الجملة، وهذا الأمر دعا إلى أن يكتشف هؤلاء قواعد لغاتهم مجدداً غير متأثرين بالقواعد السابقة.

وكان ثمة تأثير بالمدسة السلوكية في علم النفس التي كانت تقصر دراستها على المظاهر الخارجية للسلوك البشري، فجاءت دراسة اللغويين للغاتهم الحديثة وصفية ومبنية على الكلام الذي يستعمله الناس فعلاً، لا معيارية، تضع القواعد لما يجب أن تكون عليه اللغة بناء على نصوص مكتوبة منذ مئات السنين.

وثمة تأثير آخر تمثل في دراسة لغات الهنود الحمر التي لم تكتب قط، ولم تكن قواعدها معروفة، فكان ذلك حافزاً للدارسين إلى استنباط منهج علمي لوصف تلك اللغات وتقعيد قوانينها، وقد وجدوا في ذلك المنهج أداة صالحة لدراسة اللغة الإنجليزية الحديثة لاستنباط القواعد التي تقوم عليها.

وفي ضوء العوامل التي تأثر بها اللغويون المعاصرون في الغرب تبوأَت اللغة المنطوقة أهمية في العصر الحالي لدى اللسانيين المعاصرين، إذ لم تعد اللغة المكتوبة هي الموثل والأساس، ولم تعد القواعد المعيارية هي التي تتحكم، بل أصبح ينظر إلى اللغة في وضعها القائم حالياً لمعرفة الضوابط التي تحكمها، كما أن نظرة القداسة إلى اللغات القديمة تغيرت هي الأخرى، وغدا التركيز على الاستعمال في مواقف الحياة والوظيفة التواصلية والسياق الاجتماعي للغة هو ما يميز نظرية

«القواعد الوظيفية» عن باقي النظريات التي تركز على المقاربة الشكلية للقواعد النحوية، في حين أن الوظيفية في النحو تقتصر على تقديم المباحث النحوية الأساسية التي تساعد المتعلم على التفاعل الإيجابي في المجتمع قضاءً لحاجاته وإرضاء لميوله واهتماماته.

ولم يكن التوجه إلى المنحى الوظيفي في تعليم النحو العربي وليد عصرنا الحاضر، فقد دعا إليه الجاحظ من قبل في إحدى رسائله عندما أشار إلى أن الإكثار من النحو وتدرسه لذاته إنما هو مضيعة للوقت ومشغلة عما هو - يعني الصبي - أولى به من رواية المثل الشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع.

وفي الأندلس دعا ابن مضاء القرطبي في كتابه «الرد على النحاة»<sup>(٨)</sup> إلى أن يحذف من النحو كل ما يستغني الإنسان عنه في معرفة نطق العرب بلغتهم، فأحوال أواخر الكلام كأحوال أوائله لغوية بسيطة لا تحتاج معرفتها إلى عسر في الفهم ولا إلى بعد في التأويل، فدعا إلى إلغاء نظرية العامل والعلل الثواني والثلاث والتقدير.

وألّفينا أن ثمة محاولات عملية في تراثنا العربي تجلت - فيما نعلم - في «مقدمة في النحو»<sup>(٩)</sup>. لخلف بن حيان الأحمر البصري و«التفاحة في النحو»<sup>(١٠)</sup> لأبي جعفر النحاس النحوي، حيث ضمّن كل منهما كتيبه المباحث النحوية التي يرى وجوب

(٨) ابن مضاء القرطبي - الرد على النحاة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٧.

(٩) خلف بن حيان الأحمر البصري - مقدمة في النحو - طبعة مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة السورية - دمشق ١٩٦١.

(١٠) أبو جعفر النحاس النحوي - التفاحة في النحو - تحقيق كوركيس عواد - مطبعة المجمع العلمي العربي ببغداد - ١٩٦٦.

إمام المتعلم بها بغية الفهم والتعبير السليمين في منأى عن التطويل والاستثناءات. وفي العصر الحديث تتكرر الدعوة نفسها إلى تخليص القواعد النحوية من التأويلات والتقديرات والموضوعات غير الوظيفية، والإبقاء على النحو الوظيفي الذي يفيد المتعلم في عملية التواصل اللغوي. ومن هذه الدعوات النظرية دعوة الأستاذ أمين الخولي إلى العودة إلى الأصول التي استخرج منها النحاة القواعد، مع الأخذ بالحسبان تقليل الاستثناء واضطراب القواعد، واختيار ما هو بسبب من لغة الحياة والاستعمال عندنا.<sup>(١١)</sup>

ووجه الدكتور إبراهيم مذكور الأنظار إلى موضوع اختيار المباحث النحوية في ضوء معايير إذ يقول: «ولكي تستكمل العربية أسباب انتشارها، وتتوفر لها شرائط اللغة العالمية ينبغي أن نتخير من قواعد اللغة المطرد وما يسهل حفظه، وأصبحنا نؤمن بأن النحو لغير المتخصصين ليس علماً يقصد لذاته، وإنما هو وسيلة من وسائل تقويم القلم واللسان».<sup>(١٢)</sup>

ورأى الدكتور صبحي الصالح أن أجل خدمة نؤديها للغة الضاد هي «وضع كتب في القواعد واللغة يراعى فيها الوضوح والتبسيط واليسير، وأن ثمة خطوة عملية لا بد أن تسبق ذلك الصنيع وهو الاتفاق على صوغ المقاييس التي تحدد ما ينبغي الحفاظ عليه من القواعد والضوابط في الألفاظ

(١١) أمين الخولي - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - دار المعرفة - القاهرة ١٩٦١ ص ٤٥.

(١٢) الدكتور إبراهيم مذكور - محاضرة بعنوان «العربية بين اللغات العالمية الكبرى» - جامعة بيروت العربية - بيروت - نيسان «أبريل» ١٩٧٣ ص ١١.

والتراكيب». (١٣)

وطالما تردد في الندوات والمؤتمرات التي عقدت لمعالجة تعليم النحو ضرورة مراعاة منهج النحو التعليمي لحاجات المتعلمين وميولهم، وقد يسأل سائل: ما العلاقة بين حاجات المتعلمين وميولهم ومنهج النحو؟ ومن ثم ما المطالب اللغوية النحوية التي تعد أساساً في بناء منهج النحو؟

في الواقع لا بد من الأخذ بالحسبان أن على منهج النحو أن يهتم بالحاجات على أنها دوافع للتعلم، فالمتعلم يحس بالحاجة إلى إتقان اللغة وتعلم أساليبها تَعَلُّماً صحيحاً، والتعبير اللغوي يندفع إليه بطبيعته عندما يكون مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بخبراته الشخصية، ويساعده على قضاء حاجاته النفسية.

ونظراً لما تتسم به القواعد النحوية من جفاف فقد يبدو أول وهلة أنها بعيدة بطبيعتها عن حاجات المتعلمين واهتماماتهم، إلا أن النظر الدقيق يدل على فساد هذه الفكرة. فمن الواضح أن التلاميذ يمرون في داخل المدرسة وخارجها بكثير من مواقف الحياة التي تتطلب منهم الفهم والإفهام، وتشعرهم بالحاجة إلى إتقان الاستعمالات اللغوية المتكررة والمختلفة، إلا أنهم يقعون في كثير من الأخطاء اللغوية في أثناء التعبير، وهذه الأخطاء ليست إلا تعبيراً عن حاجتهم إلى تعلم الأساليب الصحيحة.

وعلى منهج النحو أن يهتم بميول التلاميذ نحو تعلم الأسلوب السليم، إذ ما

---

(١٣) الدكتور صبحي الصالح - مقدمة كتاب «النحو العربي: نقد وبناء» للدكتور إبراهيم السامرائي - دار الصادق بيروت ١٩٦٨ ص ٦.

من شك في أن كل تلميذ يميل إلى أن تكون قراءته صحيحة وتعبيره سليماً، فإذا تمكن المنهج من اتخاذ ميول التلاميذ دوافع واستثارتها وتنميتها هدفاً نحو تعلم القواعد على أنها السبيل إلى القراءة الصحيحة والتعبير السليم، فقد أسهم إسهاماً فعالاً في تحقيق الأهداف المرسومة لتعليم اللغة.

ومن هنا كان على منهج النحو أن يتعرف أساليب التلاميذ وتعبيراتهم لربط القواعد بها، بحيث يحس هؤلاء التلاميذ أن ما يتعلمونه من القواعد يخدمهم في صحة أساليبهم واستقامة تعبيراتهم، ذلك لأن من أهم الأسباب التي قد تؤدي إلى نقص ميل التلميذ نحو الدراسة هو أنه لا يجد سبباً لدراسة مادة ما، أو أنه يحس بأنه ليس في حاجة إليها.

ودراسة القواعد النحوية لا توصل إلى هدف مباشر يحس به التلاميذ كإحساسهم بالأهداف المباشرة للمواد العملية مثل الرسم والأشغال والعلوم، ولكن إذا ربطت قواعد اللغة بأساليب التعبير اليومي وخبرات الناشئة ربطاً محكماً، ففي هذه الحالة يمكن أن يُشعر المعلم تلاميذه بأن للقواعد هدفاً يحسونه. وثمة دراسة أشارت إلى أن من أسباب كراهية التلاميذ لمواد الدراسة وموضوعاتها هو بعد المناهج عن حياتهم، وعدم وضوح الفائدة التي يمكن تحقيقها من دراستها.<sup>(١٤)</sup>

وهذا ما دفع بعضهم إلى القول إنه قد يكون من المفيد في صدد البحث في

---

(١٤) الدكتور الدمرداش سرحان - تلاميذ المدارس الثانوية أمانهم وميولهم ومشكلاتهم - دار الكتاب العربي - القاهرة - ص ١١٨.

الأساليب العادية والاستخدامات اللغوية المتكررة إجراء البحوث العلمية لتحديد الموضوعات النحوية التي تؤدي وظائف لغوية ضرورية في حياة الأفراد، وتحديد شائع الأخطاء فيما يدور على السنة التلاميذ، حتى يمكن أن نتبين اختيار القواعد وتقرير دراستها وتنظيم موضوعاتها على أساس من وظيفتها الحيوية، وإشباع حاجات التلاميذ ورعاية نفسياتهم (سيكولوجيتهم) في تعاملهم اللغوي مع أبناء مجتمعهم.<sup>(١٥)</sup>

وإذا بحثنا عن الطريقة التي تحدد في ضوئها الموضوعات النحوية التي تؤدي وظائف لغوية في حياة التلاميذ ألفينا أنها كانت تتمثل في تأليف لجان من المتخصصين في المادة، وكان هؤلاء المتخصصون في بادئ الأمر حريصين على ألا يغيروا في موضوعات المادة النحوية، بل كانوا يتقيدون بأصول اللغة وقواعدها على الحد الذي رسمه الأوائل، وهذا ما دفع بعضهم إلى القول: «إننا لا نزال نعيش على ما خلفه علماء النحو والصرف والبلاغة الأقدمون، وعندما يدعي بعضنا التجديد لا يعدو في الحقيقة التطريز على ثوب خلق، حتى أصبحنا أشبه بمن يرقص في السلاسل، وكم يذكرني سادتنا الباحثون في اللغة بفقير يصرف قرشاً إلى مَلِيَّات ليقرقع بها!».<sup>(١٦)</sup>

وهذا الأسلوب المتبع يؤدي إلى فرض كثير من الموضوعات النحوية التي

(١٥) الدكتور حسين سليمان قورة- تعليم اللغة العربية - دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٩٠ ص ٢٥٤.

(١٦) الدكتور محمد مندور في مقدمة كتاب «منهج البحث في الأدب واللغة» لانسون ماتيه - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٤٦ ص ١٢.

يرى المتخصصون أنها لازمة للمتعلمين في حياتهم المستقبلية بصرف النظر عن حاضرهم، في حين أن الإعداد للمستقبل لا يمكن أن يكون بإهمال الحاضر، وهذا ما يجعل هذا المنحى لا يراعي مبدأ استمرار الخبرة في مراعاة الحاضر والمستقبل معاً.

والواقع أن عمل هؤلاء المتخصصين في اللجان التي تضع المناهج كان يقوم على الخبرة الذاتية لأعضائها، حيث يرى بعضهم أن مبحث العدد المركب صعب فيقترح الاستغناء عنه، أو نقله من صف إلى آخر.

وتجدر الإشارة إلى أن الموضوعات النحوية التي تقررها اللجان المتخصصة قد لا تراعي الاستعدادات العقلية لبعض المتعلمين، في حين أن الذين تتفق استعداداتهم وميولهم مع المادة المقدمة لهم يتمكنون من التعلم. أما غيرهم فيتعلمون بقدر ملاءمة استعداداتهم وميولهم لهذه المادة، وهذا ما يجعل دراسة المادة جافة في أكثر الأحيان، ويحول دون إقبال المتعلمين عليها، أو اهتمامهم بها، ولا يهيئ الظروف المناسبة لعملية التعلم الفعال، ويكون خطراً على النمو السليم للشخصية لأنه يضع كثيراً من التلاميذ في مواقف قد لا يسمح لهم مستوى نضجهم مقابلتها، وهذا ما يجعلهم يقومون بأعمال لا معنى لها في نظرهم، كما أن تذكروهم للمادة الجامدة التي يفرضها عليهم الكبار لا يؤدي إلى تعلم وظيفي، ذلك لأن تقديم المادة في ضوء هذا المنحى لا يعمل على تكوين الخبرة المرئية بسبب كون المعلم إيجابياً من طرف والتلميذ سلبياً من طرف آخر، ولا يمكن للمتعلم أن

يكتسب الخبرة إلا إذا كان إيجابياً نشطاً.

ومن الملاحظ أن كثيراً من التلاميذ يتعودون حفظ كثير من القواعد، وترديد كثير من العبارات اللفظية دون أن يكون وراءها معنى حقيقي لديهم. وطالما رددنا في إعراب «إذا» من أدوات الشرط غير الجازمة، و«ما» التعجبية العبارات التالية:

إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلق بجوابه.

ما التعجبية: نكرة تامة بمعنى شيء، مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. والفعل بعدها فعل ماض لإنشاء التعجب، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً على خلاف الأصل تقديره «هو».

ولم نكن ندرك معاني «خافض لشرطه متعلق بجوابه» ولا معاني «الفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً على خلاف الأصل»، ولا معاني «نكرة تامة بمعنى شيء... الخ».

وفي ضوء المنحى الوظيفي في تعليم النحو اعتمدت عدة وسائل في تيسير مناهج القواعد النحوية في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن هذه الوسائل:

١- العمل على إلغاء موضوعات أو أجزاء من موضوعات لا يحتاج إليها التلاميذ في تقويم ألسنتهم من وجهة نظر أعضاء لجان وضع مناهج القواعد النحوية، ومن أمثلة ذلك المبنيات بجميع أنواعها، فقد اصطلح النحاة على أن الكلمة

التي لا يتغير آخرها بتغير التركيب تسمى مبنية كالأفعال الماضية والأفعال الأمرية، والفعل المضارع في بعض حالاته وكأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر... إلخ  
٢- إلغاء الإعراب التقديري والمحلي في المفردات والجمل لأنه لا أثر له في سلامة النطق ولا في إفهام المعنى، فلا حاجة بنا إلى أن نشغل به أوقات التلاميذ والمعلمين.

٣- التخفيف من عمل الأدوات، فإنه لا فائدة من دراسته كما رأى بعضهم، ولعل أول ما بدئ به هو عدم الإشارة إلى أن «أن» تضمّر وجوباً أو جوازاً، وإلى أنها هي التي تنصب الفعل المضارع الواقع بعد لام الجحود أو لام التعليل أو حتى أو فاء السببية، فإن العرب نطقوا هذه الأساليب كما وصلت إلينا في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف.

٤- جعل علامات الإعراب كلها أصلية، فالألف علامة رفع المثنى ولا تنوب عن الضمة، والياء علامة نصب جمع المذكر السالم ولا تنوب عن الفتحة، والواو علامة رفع في جمع المذكر السالم ولا تنوب عن الضمة... إلخ.

٥- التكملة وهي كل ما يذكر في الكلام، وليس ركناً أساسياً في الجملة، وهي منصوبة دائماً ما لم تكن مضافاً إليها أو مسبوقه بحرف جر.

٦- الأساليب: على أن ندرس مباحثها من غير تعرض لتفاصيل إعرابية يعسر على التلاميذ معرفتها، ومنها صيغ التعجب والإغراء والتحذير والمدح والذم والاختصاص... إلخ<sup>(١٧)</sup>.

وفي ضوء المنحى الوظيفي في تعليم النحو أيضاً كانت ثمة محاولات لإخراج

(١٧) الاتجاهات الحديثة في النحو العربي (مجموعة المحاضرات التي ألقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالقاهرة - دار المعارف بمصر ١٩٥٨ ص ٦٤-٧٦.

كتب تشتمل على المباحث النحوية التي يرى مؤلفوها أنها هي التي لا بد من التركيز عليها في العملية التعليمية التعلمية لتساعد المتعلم في اكتساب اللغة السليمة.

ومن الكتب التي ظهرت في هذا المجال في النصف الثاني من قرننا الماضي «النحو الوظيفي لعبد العليم إبراهيم، وقواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية لحفني ناصف وآخرين، والنحو الواضح في قواعد اللغة العربية لعلي الجارم ومصطفى أمين، وأساسيات القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً لمحمود أحمد السيد، والكفاف ليوسف الصيداوي... الخ»<sup>(١٨)</sup>.

وإذا كان «الكفاف» من الكتب الأخيرة زمنياً التي اطلعنا عليها فيجدر بنا أن نقف على منهجية تأليف هذا الكتاب بغية تقديم لمحة موجزة عن المسار الذي سلكه المؤلف في إنجاز كتابه.

لقد اختار المؤلف «الكفاف» عنواناً لكتابه الذي يقع في جزأين، انطلاقاً من رؤية أن كتابه الذي يضم قواعد اللغة العربية قد صيغت صوغاً جديداً إلى اللين

- 
- (١٨) - عبد العليم إبراهيم - النحو الوظيفي - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٩
- حفني ناصف وآخرون - كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية - القاهرة ١٩٥٦
- علي الجارم ومصطفى أمين - النحو الواضح في قواعد اللغة العربية - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة والعشرون ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- محمود أحمد السيد - أساسيات القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً - دار دمشق - ١٩٨٧.
- يوسف الصيداوي - الكفاف - دار الفكر بدمشق - ١٩٩٩.

أقرب، وإلى الإيجاز أدنى لتكون أثبت في ذهن المتعلم وأرسخ في نفسه، وقد طابقت محتوى الكتاب في نظره عنوانه فلا ينقص عن الحقيقة اللغوية ولا يزيد عليها انطلاقاً من قول الأبيرد اللغوي:

ألا ليت حظي من غدانة أنه يكون كفافاً لا عليّ ولا ليا  
ولقد رتب المؤلف مباحث كتابه ترتيباً معجمياً، وأتبع كلّ مبحث منها نماذج مستعملة في فصيح من الكلام بليغ، ووضع مقدمة لكتابه عنوانها «بين يدي الكتاب» تضمنت أن النحو شيء والقواعد شيء آخر، وأنه ليس كل عالم معلماً، وأن النحو لا يعلم اللغة، ومرد ذلك في نظره إلى أن القاعدة قانون لغوي، وأما النحو فهو صولان الفكر وجولانه في القاعدة وإعمال العقل والرأي فيها، فالنحو إذاً ليس هو القاعدة وإن كان يشملها، والقواعد رصد لما قالت العرب وتبيان له وصوغ لأحكامه، وأما النحو فإعمال للعقل في جميع ذلك كله. والرحلة العقلية قد تطول وقد تقصر، وأما القاعدة فهي هي. ومن هنا فالقواعد شيء والنحو شيء آخر، والقواعد تنطلق من «هكذا قالت العرب»، وتقف عند «هذا لم تقله العرب». وأما النحو فجولان فكري في هذه القواعد، والتفكير في الشيء ليس هو الشيء. (١٩)

وكتاب «الكفاف» ليس موجزاً لقواعد اللغة، بل هو قواعد اللغة ذاتها تامة غير منقوصة، وما يراه القارئ من صوغ معظم بحوثه في كلمات وأحياناً في

(١٩) يوسف الصيداوي - الكفاف - المرجع السابق.

كليات ما هو إلا حصيلة صوغ القاعدة صوغاً يغني فيه قليل اللفظ عن كثيره، واستخلاص القاعدة مما يشينها من تراحم آراء النحاة.

والواقع أن المحاولات التي بذلت من قبل تُظهر انطباعات المؤلفين نتيجة التجارب والممارسات التعليمية التي مروا بها، والتي تعبر بصورة أو بأخرى، وبدرجة ما من الصدق عن بعض الجوانب الموضوعية في مشكلة تعليم النحو.

بيد أن عصرنا، عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، لم يعد يحتل استمرار الاعتماد على الانطباعات الذاتية أو الاجتهادات الشخصية دون أن يدعمها بالملاحظة الموضوعية والبحث العلمي الجاد الأصيل.

ولما كان التعبير يعد من أهم المواقف في عملية التواصل اللغوي فقد اتجهت الأنظار إليه كي يكون موضع الدراسة العلمية في تعرف المطالب اللغوية النحوية للمتعلمين، بطريق تعرف مكوناته شفاهياً كان أو كتابياً من المباحث النحوية، ثم تعرف الأخطاء التي يقع فيها المتعلمون في التعبير بنوعيه، على أنه لا يمكن الاقتصار على تعبيرات المتعلمين وأخطائهم وحدها في الوقوف على المباحث النحوية التي يتضمنها منهج تعليم النحو، إذ لابد من تعرف تلك المباحث التي تشيع في ثقافة المجتمع كي يتزود المتعلمون بها أيضاً بغية فهم ما يتفاعلون معه من ضروب المعرفة الإنسانية في ميادينها المختلفة.

إن الاعتماد على المطالب اللغوية للمتعلمين دون النظر إلى مطالب المجتمع يعد عملاً ناقصاً، إذ قد تكون هناك ثغرات وفجوات، فقد تكون المطالب

اللغوية للمتعلمين محدودة وضيقة ولا تكفي وحدها في تزويد المتعلمين بما يساعدهم في الحياة الاجتماعية التي سيسهمون فيها فيما بعد، إذ قد يحتاج المتعلم كي يفهم ثقافة مجتمعه إلى مباحث نحوية قد لا يشعر بضرورتها حالياً، ولا يهتم بها، ولكن تبدو قيمتها وتتضح أهميتها فيما بعد.

كما أن الاعتماد على متطلبات المجتمع والعصر دون الأخذ في الحسبان مستوى المتعلمين وميولهم وحاجاتهم يعد عملاً تعسفياً لا يحقق الأهداف المثلى من التربية في تفاعل المتعلم مع المجتمع، ذلك لأنه لا يقوم على واقع المتعلمين أنفسهم، وقد يفرض عليهم مباحث ربما لا يؤهلهم مستوى نضجهم لتقبلها، وهذا يؤدي إلى بعثرة الجهود وضياع الفائدة من التعلم.

لهذه الاعتبارات كافة كان على منهج النحو التعليمي الوظيفي أن يشتمل على أساسيات المادة النحوية بطريق تعرّف مطالب المتعلمين من خلال تعبيراتهم، شفوية كانت أو كتابية، بحثاً عن المباحث النحوية التي يستعملونها في تلك التعبيرات، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تعرّف الأخطاء النحوية التي يقعون فيها. كما يشتمل على المباحث النحوية التي يستعملها الكتاب المعاصرون في مختلف ميادين المعرفة وتعرف الاستعمالات النحوية التي يمارسها الكبار العاملون في مختلف قطاعات المجتمع، وتعرف الصعوبات اللغوية التي تعترض هؤلاء العاملين في مواقف النشاط اللغوي. وقد يقول قائل: أليس ثمة تناقض بين حاجات المتعلمين وحاجات المجتمع؟

والواقع أن النظرة الشاملة لتلك الجوانب مجتمعة كفيلة بتخطي الفجوات

والشغرات التي قد تظهر هنا وهناك، فإذا ظهر مثلاً تناقض بين موقع المتعلمين العقلي في مستواهم في النحو من جهة، والمستوى المرتقب الذي نطمح إليه في المجتمع والعصر، كان الحل بكل بساطة يكمن في البدء بموقع المتعلمين وصولاً إلى الهدف المطلوب، فإنكار الموقع الفعلي الحالي للمتعلمين معناه أننا انسلخنا عن الواقع، ولم تعد ثمة فائدة فيما نصل إليه لأننا لن نصل بمتعلمينا إليه.

كما أن البدء بواقع المتعلمين وميولهم الحالية من أجل هدف غير محدد لا على أساس المادة وتطورها العالمي، ولا على أساس المجتمع ومتطلباته في المستقبل معناه بداية صحيحة ولكن إلى ضياع!

إن النظرة الشاملة لا تجد في تعدد المصادر، التي ينبغي أخذها في الحسبان جملة عند وضع منهج النحو الوظيفي، تشتيماً أو بعثرة للجهود، بل على العكس من ذلك كله تجد فيه نسقاً متصلاً يكمل بعضه بعضاً، وبنياً مترابلاً يساند بعضه بعضه الآخر.

### مراجع الدراسة

- ١- الدكتور إبراهيم السامرائي - النحو العربي نقد وبناء - دار الصادق بيروت ١٩٦٨.
- ٢- الدكتور إبراهيم مذكور - العربية بين اللغات العالمية الكبرى - جامعة بيروت العربية - بيروت ١٩٧٣.
- ٣- ابن مضاء القرطبي - الرد على النحاة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٧.
- ٤- أبو جعفر النحاس النحوي - التفاحة في النحو - تحقيق كوركيس عواد - مطبعة المجمع العلمي العربي بغداد - ١٩٦٦.
- ٥- الاتجاهات الحديثة في النحو العربي (مجموعة المحاضرات التي ألقى في مؤتمر مفتشى اللغة العربية بالقاهرة) - دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٥٨.
- ٦- أمين الخولي - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - دار المعرفة - القاهرة ١٩٦١.
- ٧- حاتم علو الطائي - الوظيفة اللغوية والرمز اللغوي في الحياة الاجتماعية - الحضارية - معهد الأبحاث والتنمية الحضارية - ٢٠٠٩ / ٨ / ٨.
- ٨- الدكتور حسين سليمان قورة - تعليم اللغة العربية - دراسات تحليلية

- ومواقف تطبيقية- دار المعارف بمصر- القاهرة- ١٩٩٠.
- ٩- حنى ناصف وآخرون- كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية- القاهرة ١٩٥٦.
- ١٠- خلف بن حيان الأحمر البصرى- مقدمة فى النحو- طبعة مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة السورية - دمشق ١٩٦١.
- ١١- الدكتور الدمرداش سرحان- تلاميذ المدارس الثانوية أمانيهم وميولهم ومشكلاتهم- دار الكتاب العربى- القاهرة.
- ١٢- عبد العليم إبراهيم- النحو الوظيفى- دار المعارف بمصر- القاهرة ١٩٦٩.
- ١٣- علي الجارم ومصطفى أمين- النحو الواضح فى قواعد اللغة العربية- دار المعارف بمصر- ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.
- ١٤- ل. فيجوتسكى- التفكير واللغة- ترجمة الدكتور طلعت منصور- القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥.
- ١٥- لانسون مائة- منهج البحث فى الأدب واللغة- دار العلم للملايين- بيروت ١٩٤٦.
- ١٦- ماجد علم أبو حمدان- الوظيفية فى الموسوعة العربية برئاسة الجمهورية- المجلد الثانى والعشرون- ط ١ ٢٠٠٨.
- ١٧- الدكتور محمود أحمد السيد- أساسيات القواعد النحوية مصطلحاً

وتطبيقاً - دار دمشق - ١٩٨٧.

١٨- الدكتور ميشال زكريا- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام-

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٨٣.

١٩- يوسف الصيدراوي - الكفاف - دار الفكر بدمشق - دمشق ١٩٩٩.

١- R.L.lyman. Summary of investigations relation to grammar language, and composition. Supplementary educational monographs. Chicago- Lllinois.

٢- Sebeok, T.A- style in language, wiley and san-N.Y 1960.

## شَرْقٌ وَشَرْقِيٌّ الجهات الأربع واستعمالاتها في العربية

د. ممدوح خسارة(\*)

مقدمة:

طالما تساءل كَتَّابٌ ومُصَحِّحُونَ لغويون عن الأصوب في استعمال الكلمات الدالة على جهات الأرض الأربع (شَرْقٌ وِغَرْبٌ وِشِمَالٌ وِجَنُوبٌ)، وذلك عندما تضاف كأن يقال (شَرْقِيٌّ المدينة) منسوبة، أم (شَرْقُ المدينة) مجردة من النسبة. وقد استعملنا عبارة (جهات الأرض الأربع) تمييزاً لها من (الجهات الست) المتداولة في كتب النحو وهي (أمام «ومثلها قدام»، ووراء «ومثلها خَلْفٌ»، (يمين، ويسار) (ومثلها شِمَالٌ) وِفَوْقٌ وِتَحْتٌ)<sup>(١)</sup>.  
جاء في القاموس المحيط: «الشَّرْقُ: الشَّمْسُ، وحيث تُشْرَقُ، والضوء والمَشْرَقُ»، «والغَرْبُ: المَغْرِبُ» «والشِّمَالُ ضدُّ اليمين» «والجَنُوبُ: رِيحٌ تُخَالِفُ الشِّمَالُ»<sup>(٢)</sup>، وجاء في غيره: «الجَنُوبُ: الجهة المقابلة للشِّمَالِ. والشِّمَالُ مقابل اليمين»<sup>(٣)</sup>.

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) الأستراباذي شرح الكافية في النحو: ١٨٤، وعباس حسن - النحو الوافي ٢: ٢٥٧.

(٢) الفيروزآبادي - القاموس المحيط: شرق، غرب، شمل، جنب.

(٣) مجمع القاهرة - المعجم الوسيط: جنب، شمل.

ويلحظ أن الشرق عُرِّفَ بجهة طلوع الشمس، والغرب بجهة غروبها، أما الشمال فقد عُرِّفَ بضدّه وهو اليمين، وأما الجنوب فلم يُعرِّفه بجهة، بل باسم ذات هي الريح. وإذا كان تعريف الشرق والغرب محدداً واضحاً لارتباطهما بحركة الشمس، فإن الشمال والجنوب ليسا كذلك.

ونحن عندما نتكلم على هذه الجهات الأربع، فإننا نعني بها دلالاتها الجغرافية العلمية المتعاملة.

وهذه الكلمات أسماء في الأصل، ولكنها قد تستعمل كذلك فتعامل معاملة الأسماء، كأن يتبدأ بها أو تُجْر، كقولنا (الشرق بعيد) أو (تعلم في الغرب)، كما قد تستعمل ظرفاً للمكان، إما مجردة من الإضافة كقولهم اتجه شمالاً، أو مضافة كقولهم (دمشق جنوبيّ سورية أو جنوب سورية).

وهذه الظروف هي ما يسميه النحاة (الظروف المتصرفة المبهمّة)، متصرفة لأنها ترد ظرفاً وغير ظرف كما مثلنا، ومبهمّة لأنها لا تختص بمكان معين ولعدم لزومها بقعة محددة، ذلك أن دلالتها اعتبارية أي باعتبار الكائن في المكان، فقد يكون شمالنا جنوباً لغيرنا، وشرقنا غرباً لسوانا وظروف المكان كلها مبهمّة<sup>(٤)</sup>.

ليس ثمة خلاف في استعمال الجهات الأربع مجردة من الإضافة أو مُحَلَّاة بأل، كقولهم: تقع الشام في الشمال من جزيرة العرب، أو تقع شمالاً. ولكن الخلاف يقع في استعمالها مضافة كأن يقال: الشام شماليّ جزيرة العرب منسوبة إلى الشمال، أو شمال جزيرة العرب مجردة من النسبة.

(٤) ينظر: الأنباري أبو البركات - أسرار العربية - ١٧٩. والأسترابادي - شرح الكافية في

أولاً: أقوال المحدثين في المسألة:

اختلف المحدثون في استعمال الجهات الأربع المضافة منسوبة أو مجردة من النسبة، دون الوصول إلى رأي قاطع فيها.

أ- ففي مجمع القاهرة تقدم الشيخ عطية الصوالحي عضو المجمع ببحث حول قولهم (شرق كذا وشرقيّ كذا)، خلص فيه إلى أنه لا فرق بين العبارتين في الدلالة، فيصح أن يقال: البحر المتوسط شماليّ مصر والسودان جنوبيّه، كما يقال دميّاط شمال مصر والسودان جنوبه، ويقال أيضاً الفُسْطاط شرقيّ النيل، والأهرام غربيّه<sup>(٥)</sup>.

كما قدّم الأستاذ شوقي أمين خبير المجمع بحثاً بعنوان (أسماء الجهات ودلالاتها منسوبة وغير منسوبة)، خلص فيه إلى أنه لم يجد ما يرجح صيغة على أخرى في لغة الاحتجاج، ولكنه يقترح أن يُخصّص المنسوب لما هو داخل في المضاف إليه، والمجرد لما هو خارج عنه<sup>(٦)</sup>.

ومما يجدر ذكره أن مؤتمر القاهرة في دورته الحادية والأربعين قرّر صرف النظر عن البحث في المسألة، أي لم يصدر قراراً فيها. ولكنني وجدت في مجلة مجمع دمشق عدد نيسان (١٩٧٥) تقريراً للدكتور عدنان الخطيب عن مؤتمر مجمع القاهرة المذكور يقول فيه «إنّ المؤتمر استحسن تخصيص أسماء الجهات

(٥) مجمع القاهرة - كتاب الألفاظ والأساليب ١: ١٦٨.

(٦) المصدر السابق ١: ١٦٩.

المنسوبة بما يدخل في تحديدها، وغير المنسوبة بما يخرج عنها»<sup>(٧)</sup>.

ب- أما الشيخ محمد علي النجار في (محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة) فقد أفتى بأن ترك الياء [أي ترك النسبة] هو المنكر، وأن ذكرها هو الصواب لأنه وجدها منسوبة لدى شاعرين أحدهما جرير<sup>(٨)</sup> مما سوف نذكره لاحقاً.

ج- أما أسعد داغر صاحب (تذكرة الكاتب) فقد خَطَّأ النسبة إلى أسماء الجهات، وذهب إلى أن الصواب هو ترك النسبة، وعاب على الكاتبين قولهم: هذه البلاد ممتدة من جنوبيّ آسيا، وتلك من شماليّ البحر المتوسط، وهذا يسكن في غربيّ العراق<sup>(٩)</sup>.

د- وأدلى الأستاذ صلاح الدين الزعبلأوي صاحب (معجم أخطاء الكُتَّاب) برأيه في الموضوع، فذهب إلى أن قولنا (يقع منزلي شرقيّ المدينة) بإلحاق ياء النسبة ونصبه على الظرفية تأويله: (يقع منزلي في الجانب الشرقيّ من المدينة)، وإذا صحَّ هذا فإن المنزل يقع داخل المدينة ولكن في الجهة الشرقية منها. إما إذا قلت (يقع منزلي شرق المدينة) على الأصل بلا ياء النسبة فمعناه أن المنزل يقع خارج المدينة إلى الشرق منها. فلا يصح إذن أن تقول: (يقع منزلي شرقيّ المدينة) إذا كان خارج المدينة، كما لا يسوغ أن تقول: (يقع منزلي شرق المدينة) إذا كان المنزل داخل المدينة.

(٧) د. عدنان الخطيب - تقرير عن مؤتمر مجمع القاهرة الحادي والأربعين، مجلة مجمع دمشق

(٨) محمد علي النجار - محاضرات عن الأخطاء اللغوية ٢: ٤٤.

(٩) مجمع القاهرة - الألفاظ والأساليب ١: ١٧٠.

وهذا هو الأصل والمشهور، والكتاب لا يفرقون بين الاستعمالين»<sup>(١٠)</sup>.

هـ - ولعلَّ آخر من ضرب بسهم في المسألة الدكتور مصطفى الجوزو في مجلة العربي قائلاً: «فالأسلوبان أي النسبة والتجرد منها متساويان في الصِّحة، وقد يُجمَعان معاً كما في قول شاعر بني قريع الذي ذكره الجاحظ في الحيوان: «لقد طفتُ شرقيَّ البلاد وغرَّبها...»<sup>(١١)</sup>.

ثانياً: الجهات الأربع في استعمال القدماء:

(١) شعراء عصر الاحتجاج:

يُعَدُّ شعر عصر الاحتجاج المصدر الأول والأهم من مصادر العربية بعد القرآن الكريم. ولا يصح مناقشة حكم لغوي أو مقارنته دون استقراء ما جاء فيه. وردت أسماء الجهات الأربع عند شعراء عصر الاحتجاج مضافة منسوبة ست عشرة مرة وهي:

- قال زهير بن أبي سلمى: (ديوانه ١٠٢)

فلا لكانُ إلى وادي الغمار فلا شَرْقِيَّ سَلْمِي فلا فَيْدُ فلا رِهْمُ

- وقال زهير بن أبي سلمى (شرح ديوانه ١٦٧)

ثم استمرُّوا وقالوا إن مَشْرَبِكُمْ ماءً بشرقيِّ سَلْمِي فَيْدُ أَوْرَكَكُ

- وقال فروة بن حميضة: (معجم الشعراء المؤتلف والمختلف: ١٠٥)

كأن قَلُوصِي تحمل الأَجُولَ الذي بشرقيِّ سَلْمِي يَوْمَ جَنْبِ قُشَامِ

(١٠) صلاح الدين الزعبلوي - معجم أخطاء الكتاب: ٣٠٧.

(١١) د. مصطفى الجوزو، مجلة العربي العدد ٦٠٥ في نيسان ٢٠٠٩ ص ١٣٨ - ١٣٩.

- وقال عمرو بن أسود التميمي الطَّهْرِيُّ: (من اسمه عمرو من الشعراء

لابن الجراح): ١٩

بشرقيِّ سَلْمَى من أميمة منزلٌ قديم كعنوان الصحيفة طاسمٌ

- وقال لييد: (ديوانه: ٥٢)

وبالجُرِّ من شَرْقِيِّ حَرْسٍ مُحَارِبٌ شجاعٌ وذو عَقْدٍ من القومِ مُحْتَرٌ

- وقال الشماخ الذبياني: (ديوانه: ٨١)

فَأَيَّقَنْتُ أَنْ ذَا هَاشٍ مِينَتِهَا وَأَنْ شَرْقِيِّ إِحْلِيَاءٍ مَشْغُولٌ

- وقال طفيل الغنوي: (ديوانه: ٣٩)

فلما بدا حَزْمُ القنانِ وصارَةٌ ووازَنٌ من شَرْقِيِّ سَلْمَى بِمَنْكِبِ

- وقال جرير: (ديوانه ١ / ١٦٥)

هَبَّتْ سَهْلًا فِدْكَرَى ما ذَكَرْتُكُمْ عند الصَّفَاةِ التي شَرْقِيِّ حِوَارِنا

- وقال الفرزدق: (ديوانه: ٢٦)

قِيدَتْ له من قصور الشامِ ضَمَرُها يَطْلُبُنَ شَرْقِيِّ أَرْضٍ بعد تَغْرِيبِ

- وقال الأخطل: (ديوانه: ٢٣٧)

ولما عَلَوْنَ الأَرْضِ شَرْقِيِّ مُعَلِقِ صَرَخْنَ الحَصَى الحَمْصِيَّ كُلَّ مَكَانِ

- وقال عمرو بن كلثوم: (ديوانه: ٢٢١)

يكون ثفالها شَرْقِيِّ نَجْدٍ ولهُوتها قَضَاعَةٌ أجمعينا

- وقال كثير عزة: (ديوانه: ١٤٠)

قوارضِ حَضَنِي بَطْنِ يُنْبِعِ غُدُوَّةً قِوَاصِدِ شَرْقِيِّ العنَاقِينِ عِيْرُها

- وقال الطَّرْمَاحُ: (ديوانه: ٥٦)

فَخَرَّتْ بِيَوْمِ الْعَقْرِ شَرْقِيَّ بَابِلٍ      وَقَدْ جَبُنْتَ فِيهِ تَمِيمٌ وَقَلَّتِ

- وقال الأَعْشَى: (ديوانه: ١٧٣)

وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ بَيْتَكَ فِي الْعُلَا      بِأَجْيَادِ غَرِيٍّ الصَّفَا وَالْمَحْرَمِ

- وقال ذُو الرَّمَّةِ: (ديوانه: ٢ / ٨٦٠)

بِحَيْثِ اسْتَفَاضَ الْقَنْعَ غَرِيٍّ وَاسِطٍ      نِهَاءً وَمَجَّتْ فِي الْكَثِيبِ الْأَبَاطِحُ  
كَمَا وَرَدَتْ أَسْمَاءُ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ مَجْرَدَةً مِنَ النِّسْبَةِ سِتِّ عَشْرَةَ مَرَّةً أَيْضاً،

وهي:

- قال الحَطِيبَةُ: (ديوانه: ٢٧)

وَرَعَتْ جَنُوبَ السِّدْرِ حَوْلًا كَامِلًا      وَالْحَزْنَ فَهِيَ يَنْزُلُ عَنْهَا الْكُورُ

- وقال حَاتِمُ الطَّائِي: (ديوانه: ١٨٢)

سَقَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ سَحًا وَدِيمَةً      جَنُوبَ السَّرَاةِ مِنْ مَّآبٍ إِلَى رُغْرُ

- وقال صَخْرُ الْغِي: (ديوان الهذليين: ٢: ٢٣٦)

لَوْ أَنَّ أَصْحَابِي بَنَوْا مِيَّةً      أَهْلُ جَنُوبِ نَخْلَةِ الشَّامِيَّةِ

- وقال الشَّمَّاحُ الذِّيَابِيُّ: (ديوانه: ٣٧)

وَحَفَّتْ خِبَاهَا مِنْ جَنُوبِ عَنِيْزَةٍ      كَمَا حَفَّتْ مِنْ نَيْلِ الْمَرَاعِي حَفِيرَهَا

- وقال النَابِغَةُ الْجَعْدِيُّ: (ديوانه: ٣٢)

وَقُلْنَ لِحَى اللَّهِ رَبِّ الْعِبَادِ      جَنُوبَ السَّخَالِ إِلَى يَتْرَبِ

- وقال عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ: (٣٨ / ٦٤)

وَسَعَتْ شِيُوخُ الْحَيِّ بَيْنَ سُوَيْقَةٍ      وَبَيْنَ جَنُوبِ الْفَهْرِ مِيلَ الشَّمَائِلِ

- وقال كعب بن زهير: (ديوانه: ١١٤)  
من اللائي ألفن جنوبٍ إيِّرٍ كأن هـنَّ من سبَّت نعالا  
- وقال قيس بن زهير: (الأمثال للمفضل الضبي: ٤٨)  
لن تهبطي أبداً جنوبَ مؤيسل وقفا قراقرتَيْن فالأمرارا  
- وقال جرير: (ديوانه ٢: ٣١٢)  
بُئِئت تغلبَ يعبدون صليهم بالرَّقمتين إلى جنوبِ الماخِر  
- وقال نصيب بن رباح (ديوانه: ١١٨)  
جنوبَ الشرى من صائفٍ ومحلِّها جنوبَ الجيِّل رهُوه فسوائله  
- وقال الطرماح: (ديوانه: ١٧١)  
قوم لهم بعد شَرِقِ الأرضِ مغربها إذا تباستق أهلُ الأرضِ في كَبَد  
- وقال كثيرٌ عَزَّة: (ديوانه: ٣١٣)  
فما بين شَرِقِ الأرضِ والغربِ كلها منادٍ ينادي من فصيحٍ وأعجم  
- وقال طرفة بن العبد: (ديوانه: ٨٣)  
وأنت على الأدنى شمال عريَّة شامية تزوي الوجوه بليلى  
- وقال هند بن خالد بن صخر بن الشريد (العقد الفريد: ٥: ١٧٧)  
جَلَبْنَا من جنوبِ الفَرْدِ جُرْدًا كَطِيرِ المَاءِ غَلَّسَ للوُرود  
- وقال النابغة: (ديوانه: ٢٢٦)  
فإن منازلٍ وبلادٍ قومي جنوبَ قفا هنالك كالهضاب  
وأورد الجاحظ في كتاب الحيوان لرجل من بني قريع يرثي عينه كلمتي  
(شرق وغرب)، منسوبة مرة ومجردة مرة في بيت واحد فقال:

- لقد طُفَّتْ شَرْقِيَّ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا فَأَعْيَى عَلَيَّ الطَّبُّ وَالْمُتَطَبَّبُ<sup>(١٢)</sup>  
ومما يجدر التَّنَبُّهُ إليه هو أن (جنوبَ وشَمالَ) وردت عشرات المرات في الشعر  
الاحتجاجي ولكن بمعنى الريح الجنوبية والريح الشمالية وليس بمعنى الجهة.  
٢) الجهات الأربع في الحديث النبوي الشريف:

وردت كلمة (شَرْقِيَّ) منسوبة في الحديث الشريف عن نزول عيسى عليه السلام،  
في قوله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شَرْقِيَّ دِمَشْقَ»<sup>(١٣)</sup>.  
وتبعاً لذلك فقد تكررت هذه الكلمة مئات المرات في كتب الحديث وشروحها.  
ولم يُرَوِّ الحديث في أيِّ منها بعبارة (شرق دمشق)، ولم يرد من الجهات  
الأربع في الحديث الشريف غيرُها.

٣) الجهات الأربع في كتب التراث:

١- كتب النحاة واللغويين: وقد اخترنا أربعة منها هي: الكتاب لسيبويه،  
وشرح الكافية الشافية لابن مالك، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي،  
والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري.

وقد عَدَدْنَا (البحر المحيط) في كتب النحو، وإن كان في الأصل كتاب تفسير،  
لكثرة ما فيه من أحكام نحوية دقيقة جعلت الكثيرين يُعَدُّونه من كتب النحو.

• كتاب سيبويه: وردت أسماء الجهات منسوبة ثلاث مرات وهي:

- «مثل ذات اليمين وذات الشمال، شَرْقِيَّ الدارِ وَغَرْبِيَّ الدارِ، فجعله ظرفاً

(١٢) الجاحظ - كتاب الحيوان: ٧: ١٥١.

(١٣) تهذيب الكمال للمزي، تحقيق د. بشار عواد معروف. ١٥: ٢٢٤.

وغير ظرف... وقال بعضهم: شرقيّ المسجد»<sup>(١٤)</sup>.

- شرح الكافية الشافية لابن مالك: لم ترد هذه الأسماء لا منسوبة ولا مجردة.
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: وردت الجهات الأربع منسوبة مرتين هي قوله: «ولأن الكعبة تقع غربيّ بيت المقدس»<sup>(١٥)</sup>، «وقال قتادة [ت١١٨هـ]: غربيّ الجبل»<sup>(١٦)</sup>.

وردت مجردة من النسبة خمس مرات هي: «بلغ شرق البلاد وغربها»<sup>(١٧)</sup>، «ليست من شرق الأرض»<sup>(١٨)</sup>، «وذلك في شرق البلاد وغربها»<sup>(١٩)</sup>.

- كتاب الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري: لم ترد أسماء الجهات الأربع في الكتاب لا مجردة من الإضافة، ولا مضافة منسوبة أو غير منسوبة. ويلحظ في استعمال النحاة واللغويين إياها ما يلي:

- استعملت الجهات منسوبة (٥) مرات ومجردة من النسبة (٥) مرات.
- عندما جردت من النسبة كانت مضافة لمكان عام هو الأرض أو البلاد، وعندما نُسبت كانت مضافة لمكان خاص، أو لما هي جزء منه كالمسجد أو الجبل، أي كانت تدل على اتصالٍ بالمضاف إليه، وإن كانت في عبارة أبي حيان الأندلسي

(١٤) سيبويه الكتاب ١: ٤٤.

(١٥) أبو حيان: البحر المحيط ٢: ١١.

(١٦) أبو حيان: البحر المحيط، ٨: ٣٠٩.

(١٧) أبو حيان، البحر المحيط، ٧: ١٠٦.

(١٨) أبو حيان، البحر المحيط، ٨: ٤٦.

(١٩) أبو حيان، البحر المحيط، ٩: ٤٩٣.

تدل على اتصال روحي وقيمي أكثر من دلالتها على اتصال مكانيّ.

- إن النحاة لم يذكروا هذه الكلمات في مبحث ظرف المكان، ولم يتعرضوا لهذه المسألة في كتبهم.

## ٢- كتب التراث العلمي المختص:

ونعني بها كتب الجغرافية والتاريخ، لأنها ألصق المصنّفات بذكر الجهات الأربع، وقد اخترنا أربعة منها هي: معجم ما استعجم للبكري (٤٧٨هـ) ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦هـ). ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدرسي (٥٦٠هـ)، والسلوك لمعرفة ودول الملوك للمقريزي (٨٤٥هـ).

وكانت حصيلة الإحصاء فيها كما يلي:

أ- وردت الجهات الأربع مضافة منسوبة (٣٧٨) مرة ومنها: «بلاد عبادان من شرقيّ دجلة»<sup>(٢٠)</sup>، «وسوسة الصين على شرقيّ نهر همدان»<sup>(٢١)</sup>، «وفي شرقيّ جزيرة يابسة»<sup>(٢٢)</sup>، «شرقيّ دمشق»<sup>(٢٣)</sup>، «غربيّ النيل»<sup>(٢٤)</sup>، «ومن شماليّ دُمياط»<sup>(٢٥)</sup>، «أندرين: اسم قرية في جنوبيّ حلب»<sup>(٢٦)</sup>.

(٢٠) البكري، معجم ما استعجم ١: ١٩٨.

(٢١) الإدرسي، نزهة المشتاق ١: ٢١٠.

(٢٢) المصدر السابق ٢: ٥٨٢.

(٢٣) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ٣: ١١٦٠.

(٢٤) المصدر السابق ١: ٢٢٤.

(٢٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان ١: ١٩٦.

(٢٦) المصدر السابق ١: ٢٦٠.

ب- وردت الجهات الأربع مضافة مجردة من النسبة (٤٧) مرة، ومنها: «بعض بلاد الحبشة جنوب أرض التاجوين»<sup>(٢٧)</sup>، «حارب يلغا المجنون شرق أبويط»<sup>(٢٨)</sup>، «لأنه عن شمال الكعبة»<sup>(٢٩)</sup>، «بشبراط: حصن في غرب الأندلس»<sup>(٣٠)</sup>.  
وواضح من هذا أن الجهات الأربع وردت منسوبة في استعمال المختصين العلميين القدامى نحو ثمانية أضعاف استعمالها مجردة من النسبة.

### ٣- كتب التراث العام:

ونعني بها كتب الأدب والفقه والتراجم ونحوها. وقد تتبّعنا مجموعة كبيرة منها حتى القرن الهجري العاشر ولما كان البحث عن أسماء الجهات الأربع في كل تلك الكتب صعباً حتى مع الاستعانة بالمكتبات الإلكترونية، فقد اخترنا عبارات (شرقيّ مكّة وشرق مكّة، وغربيّ مكّة وغرب مكّة، وشماليّ مكّة وشمال مكّة، وجنوبيّ مكّة وجنوب مكّة). فكانت النتيجة كما يلي:

- أ- وردت أسماء الجهات الأربع منسوبة مضافة إلى مكّة (٤١) مرة<sup>(٣١)</sup>، وأهمها:  
- «لأن الأرض إذا قسمت قسمين قسماً شرقيّ مكّة وقسماً غربيّ مكّة»<sup>(٣٢)</sup>.  
- «فقبورهم في غربيّ مكّة»<sup>(٣٣)</sup>، «بلدح وإد غربيّ مكّة»<sup>(٣٤)</sup>.

(٢٧) الإدريسي، نزهة المشتاق ١: ٣٢.

(٢٨) المقرئزي، السلوك لمعرفة ودل الملوك ٣: ١٠١٧٢٠.

(٢٩) البكري، معجم ما استعجم ٢: ١٤٠١.

(٣٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان ١: ٤٢٤.

(٣١) لم نعتدّ بالمكررات إذا كانت عند مؤلّف واحد كما في البداية والنهاية وفتح البارئ.

(٣٢) ابن تيمية، شرح عمدة الفقه ٣: ٤٥٩.

- «أما يَلْمَلَمُ فهو ميقات أهل اليمن وهو مكان جنوبي مكة»<sup>(٣٥)</sup>.  
ويلحظ أن الجهات المنسوبة دَلَّتْ غالباً على مكان مُتَّصِلٌ بها أُضيفت إليه.  
ب- وردت أسماء الجهات مجردة من النسبة مضافة إلى مكة (٤٠) مرة، وأهمها:  
- «قرن المنازل شرق مكة»<sup>(٣٦)</sup>، «وهو ما قابل شَرْقَ مكة من البلاد»<sup>(٣٧)</sup>.  
- «وَوَسَطَ الشام كدمشق وما والاها شِمالَ مكة من غير مَيْلٍ»<sup>(٣٨)</sup>.  
- «يَلْمَلَمُ هو جبلٌ من جبال تهامة على مرحلتين من مكَّة، وقال ابن حزم:  
هو جنوب مكة»<sup>(٣٩)</sup>.

ويُلحظ أن الجهات الأربع في هذه العبارات دَلَّتْ على مكان هو خارج مكَّة  
وليس متصلاً بها.

رابعاً: دلالة الاسم المنسوب في العربية:

«في النسبة معنى الصفة... فإذا كان الاسم صفة ففي النسبة معنى المبالغة في  
الصفة، قالوا: (أحمر) فإذا أرادوا المبالغة في وصفه بالحمرة قالوا (أحمرّي)»<sup>(٤٠)</sup>.

(٣٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرون ٢: ٤٠١.

(٣٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ١: ٦٢.

(٣٥) ابن نجيم الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢: ٣٤١.

(٣٦) بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٢: ٢١٩.

(٣٧) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ١: ١٥٢.

(٣٨) المقرئ، المواظ والاعتبار ٤: ٥٢.

(٣٩) بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٩: ١٤٠.

(٤٠) الغلاييني، جامع الدروس العربية ٧١: ٢.

والصفة في علم الصرف لا تُطلق على النعت بل على المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والاسم المنسوب... «ويعتبر الاسم المشتمل على ياء النسب مؤوَّلاً بالمشتق أي في حكمه لتضمنه معنى المشتق، إذ معناه المنسوب إلى كذا»<sup>(٤١)</sup>. قال سيبويه: «وكذلك أقرشيُّ أبواك؟ إذا أردت الصفة جرى مجرى حَسَنٍ وكريمٍ»<sup>(٤٢)</sup>. أي مجرى الصفة المشبهة في عملها، فيرفع ما بعده على الفاعلية كالصفة المشبهة أو نائب الفاعل كاسم المفعول<sup>(٤٣)</sup>.

ولكن أهم ما يلحظ في الاسم المنسوب دلالاته على الاتصال بالمنسوب إليه؛ «فمن يسمع لفظ (محمديّ)، لا بدَّ أن يفهم أمرين معاً هما (محمد) الدال على مُسَمَّى، وشيءٍ آخر منسوب إلى محمَّد، أي متصل به بطريقة من طرق الاتصال»<sup>(٤٤)</sup>. أي هو يدلُّ على شيءٍ ومُتعلِّقه، كسائر المشتقات من اسم فاعل ونحوه، «فكلمة زاهد تدل على أمرين معاً هما الزُّهد مطلقاً والذات التي فَعَلَتْه أو ينسب إليها، وكذا كلمة (عادل) تدل على أمرين معاً هما العدل مطلقاً والذات التي فَعَلَتْه أو ينسب إليها»<sup>(٤٥)</sup>، وكذا الاسم المنسوب فهو - لكونه صفة - يدل على اسمٍ وعلى شيءٍ متصل به في وقت واحد.

ويبنى على ما سبق أن قولنا عن موضع ما: (إنه دمشقيّ) لا يصح إلا إذا

(٤١) عباس حسن، النحو الوافي ٤: ٧١٣-٧١٤.

(٤٢) سيبويه، الكتاب ١: ٢٤٣.

(٤٣) ينظر الغلاييني، جامع الدروس العربية ٢: ٧٢.

(٤٤) عباس حسن - النحو الوافي ٤: ٧١٣.

(٤٥) عباس حسن، النحو الوافي ٣: ٢٣٩.

كان ضمن أحياء دمشق، وكذا قولنا عن موضع (إنه مصريّ) لا يصح إلا إذا كان هذا الموضع واقعاً ضمن حدود مصر. وبالنظر للتشاكل بين النسبة والإضافة سمّي سيبويه النسبة إضافةً فقال: «هذا باب الإضافة وهو باب النسبة»<sup>(٤٦)</sup>. وعندما حُدّت الإضافة قيل: «هي نسبة بين اسمين على تقدير حرف الجر»<sup>(٤٧)</sup>.  
خامساً: الدلالة الإحصائية للجهات الأربع المضافة منسوبة ومجردة:

بالعودة إلى الشواهد الاحتجاجية (الشعر القديم والحديث الشريف، والأثر وكلام العرب) يلحظ أن أسماء الجهات الأربع وردت (٢١) مرة منسوبة، ووردت مجردة من النسبة (١٦) مرة أي بنسبة ٥٦.٨٪ للمنسوبة و٤٣.٢٪ للمجردة من النسبة.

أما في كلام ما بعد عصر الاحتجاج إلى حدود القرن العاشر الهجري فقد وردت الجهات الأربع منسوبة (٣٧٤) مرة ومجردة من النسبة (٤٦) مرة، أي بنسبة ٨٩٪ للمنسوبة و١١٪ للمجردة من النسبة<sup>(٤٨)</sup>.

ولمعرفة اتجاه المُحدّثين في استعمال الجهات الأربع عمدنا إلى مجلّتين معاصرتين<sup>(٤٩)</sup>، وأحصينا ما جاء في مئة وخمسين عدداً منها، وذلك من خلال بحث في مكتبة إلكترونية. فكانت النتيجة ما يلي:

- استعملت الجهات الأربع منسوبة مضافة في عبارات من مثل (شريقيّ كذا

---

(٤٦) سيبويه، الكتاب ١: ٢٤٩.

(٤٧) الغلابيني، جامع الدروس العربية ٣: ٢٠٥.

(٤٨) أي كتب ما بعد عصر الاحتجاج، ما عدا كتب التراث العلمي المختص.

(٤٩) هما مجلة الراصد الأعداد (١ - ٥٠) ومجلة البيان الأعداد (١ - ١٠٠).

وغربيّ كذا) نحو (١٥٩) مرة. واستعملت مجردة من النسبة من مثل (شرق كذا وغرب كذا) نحو (٩٣٩) مرّة، وبهذا تكون نسبة استعمالها منسوبة ١٤.٥٪ ونسبة استعمالها مجردة من النسبة ٨٥.٥٪ أي إن نسبة استعمالها مجردة من النسبة تزيد على خمسة أضعاف استعمالها منسوبة، ويعود ذلك إلى ميل المعاصرين إلى الاختصار والتبسيط ما أمكن.

ولكن إلى جانب هذه الدلالة العددية ثمة دلالة أخرى هامة في كلام عصر الاحتجاج، وهي أن أسماء الجهات الأربع عندما وردت منسوبة كانت تدل على اتصال مكاني بين المنسوب والمنسوب إليه وهو المضاف إليه؛ ففي المواضع الأحد والعشرين التي وردت فيها منسوبة كانت الإضافة لما هو جزء متصل مكانياً بالمنسوب إليه في ثمانية عشر موضعاً نحو (شرقيّ دمشق، شرقيّ سلمى، غربيّ الصفا، غربيّ واسط) ووردت ثلاث مرات مضافة لمكان عام هما: «شرقيّ أرض» في قول الفرزدق، و«وقد طففت شرقيّ البلاد وغربها» لبعض بني قريع.

وفي المواضع الستة عشر التي جاءت أسماء الجهات مجردة من النسبة، كانت الإضافة فيها لمكان مخصوص متصل بالمنسوب إليه في ثمانية مواضع هي - (جنوب نخلة، جنوب الماخِر، جنوب السُّدر، جنوب عنيزة، جنوب إيْر شمال عريّة، جنوب الفرد جنوب قنا)، ووردت مضافة إلى مكان عام غير مخصّص مثل الأرض والبلاد في ثمانية مواضع نحو (بعد شرق الأرض مغربها)، ونحو (لقد طُفت شرقي البلاد وعربها)، أو مضافة لمكان خاص ولكنه غير محدّد كقول قيس بن زهير:

«لن تهبطي أبداً جنوب مويسلٍ      وقنا قراقرتَيْن فالأمرار»

وقول عامر بن الطفيل:

وسعتْ شيوخ الحي بين سويقةٍ      وبين جنوب الفهر ميل الشمال

أى إنَّه يغلب استعمال أسماء الجهات المنسوبة مضافة لما هي متصلة به،  
والمجرّدة من النسبة لما هي غير متصلة به.

سادساً: الرأي:

بعد ما قدّمنا من استعمالات القدماء والمعاصرين واجتهادات المحدثين  
يمكن أن نركن إلى ما يلي:

١- يصح من الوجهة اللغوية البحتة استعمال أسماء الجهات الأربع  
بصيغتيها المضافة المنسوبة والمضافة المجردة من النسبة كأن يقال: (شرقيّ دمشق  
وشرقيّ دمشق)، لورود ذلك بنسبٍ متقاربة في لغة الاحتجاج.

٢- إن اللغة العلمية المعاصرة تتطلب الدقّة العلمية، أي أن نخصّص كل صيغة  
منها لدلالة. وإذا كان هذا التخصيص قد يبدو تحكّماً بعض الشّيء، إلا أنه يسير  
وفق أصول العربية التي كانت تلجأ إلى التخصيص للتفريق بين المشابهات في  
دلالات الصفة عندما قالت (الأحمر) لما لونه الحُمْرة وقالت (الأحمريّ) لما هو مبالغ  
في حمّته، كما فرقوا بين دلالات الكلمة المنسوبة بالحركات فقالوا في النسبة إلى الدَّهر:  
(دَهْرِيّ) للقديم المُسنن، و(دُهْرِيّ) للملحد الذي يعتقد بالدَّهر<sup>(٥٠)</sup>.

أما المحدثون من المختصّين العلميين فقد خصّصوا تحكّماً - للضرورة العلمية  
- كل صيغة من صيغ النسبة الممكنة، لدلالة محدّدة، فقالوا «بيضيّ» لما يراد نسبته إلى  
مادة البيّضة، (ويّصوي أو يّضاوي) لما يراد نسبته إلى شكل البيّضة، و(بيّضانيّ)

---

(٥٠) ابن منظور، لسان العرب: دَهْر.

لشكل يشبه البَيْضَة ولا يطابقه»<sup>(٥١)</sup>. ويلحظ أن هؤلاء العلميين لم يُخصَّصوا فقط، بل خرجوا أحياناً عن قواعد الصرف العربي بغرض الدقة العلمية في التعبير، فلا حَرَج ولا خروج على اللغة في تخصيص كلمةٍ بدلالة، ونسبتها بدلالة مقارنة.

٣- ولذا فإننا نرى قياساً على الغالب في استعمالات عصر الاحتجاج أن تُخصَّص أسماء الجهات الأربع المضافة المنسوبة لما هو جزءٌ من المضاف إليه ومُتَّصِلٌ به، وأن تُخصَّص أسماء الجهات المضافة المجردة من النسبة لما ليس جزءاً من المضاف إليه ولا متصلاً به، فنقول مثلاً (حلب شماليّ سورية) لأن حلب جزء من سورية، ونقول (تركيّة شمال سورية) لأنها ليست جزءاً منها. ونقول (دَرَعَا جنوبيّ سورية: لأنها جزء منها) ونقول: (الأردن والحجاز واليمن جنوب سورية)، لأنها ليست كذلك.

وهذا ما كان اقترحه الأستاذ شوقي أمين على مجمع القاهرة «بأن يُخصَّص المنسوب لما هو داخلٌ في المضاف إليه، والمجرد لما هو خارجٌ عنه»<sup>(٥٢)</sup>. وكذا ما ذهب الأستاذ صلاح الدين الزعبلاني.

ولعل هذا ما استحسنه مجمع القاهرة «بتخصيص أسماء الجهات المنسوبة بما يدخل في تحديدها، وغير المنسوبة بما يخرج عنها»<sup>(٥٣)</sup>، أقول (لَعَلَّ) لأن العبارة

---

(٥١) د. محمد هيثم الخياط، المصطلحات والضرورة العلمية، الموسم الثقافي السابع للمجمع الأردني: ٣٥.

(٥٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كتاب الألفاظ والأساليب ١: ١٦٩.

(٥٣) د. عدنان الخطيب، تقرير عن مؤتمر مجمع القاهرة الحادي والأربعين، مجلة مجمع دمشق ٥٠: ١: ٤٥٧.

التي وردت في كلام الدكتور عدنان الخطيب عن استحسان مجمع القاهرة  
غامضةً، في حين كانت عبارة الأستاذ شوقي أمين واضحة لا لبس فيها.

اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفَعنا بما علمتنا.

#### المصادر والمراجع

- ١- أسرار العربية - أبو البركات الأنباري - تح محمد بهجة البيطار مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٤٥.
- ٢- أمثال العرب - المفضل الضبي - مطبعة التقدم - مصر - ١٩٠٩ م.
- ٣- البحر الرائق شرح كنز الدقائق - ابن نجيم الحنفي - دار المعرفة - بيروت - ط ٣ - ١٩٩٣ م.
- ٤- البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - دار الفكر - طبعة صدقي محمد جميل، بيروت ١٩٩٢ (د.ت).
- ٥- البداية والنهاية - ابن كثير - تح محيي الدين مستو ود. علي أبو زيد - ط ١ - دار ابن كثير دمشق وبيروت ٢٠٠٧ م.
- ٦- تهذيب الكمال - الحافظ المزي - تح د. بشار يوسف عواد - مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠ م.
- ٧- الجامع لأحكام القرآن - القرطبي تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالمشاركة - مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١ - ٢٠٠٦ م.
- ٨- جامع الدروس العربية - مصطفى الغلاييني - المطبعة العصرية الحديثة، ط ١٣ - صيدا - لبنان - ١٩٧٣ م.
- ٩- ديوان الأخطل - بعناية أنطون الحايك اليسوعي - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٨٩١.
- ١٠- ديوان الأعشى - شرح وتعليق محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة - ط ٧ - ١٩٨٣ م.
- ١١- ديوان الخطيئة بشرح أبي سعيد السكري - دار صادر - ط ١ - بيروت ١٩٩٤ م.

- ١٢- ديوان ذي الرُّمة - تح عبد القدوس أبو صالح - مطبعة طربين - دمشق - ١٩٧٢ م.
- ١٣- ديوان طرفة بن العبد - شرح الأعلام الشمنتري - تح: درية الخطيب ولطفي الصقال  
مطبوعات مجمع دمشق ١٩٧٧ م.
- ١٤- ديوان الطَّرْمَاح - تح: د. عزة حسن - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق -  
١٩٦٨ م.
- ١٥- ديوان الطفيل الغنوي بشرح الأصمعي - تح: حسان فلاح أوغلي دار صادر - ط١ -  
بيروت ١٩٩٧ م.
- ١٦- ديوان الشَّاح الغطفاني بشرح الشنقيطي - مطبعة دار السعادة - مصر - ١٣١٢ هـ.
- ١٧- ديوان عامر بن الطفيل - دار صادر - ١٩٧٩ م.
- ١٨- ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي - تح أيمن ميدان - النادي الأدبي بجدة ط١ - جدة  
١٩٩٢ م.
- ١٩- ديوان الفرزدق - ضبط وشرح علي فاعور - دار الكتب العلمية الحديثة - لبنان  
١٩٧٨ م.
- ٢٠- ديوان كثير عزة - شرح عدنان الدرويش - دار صادر - ط١ - بيروت ١٩٩٤ م.
- ٢١- ديوان لبيد - تح: إحسان عباس - وزارة الثقافة والإرشاد - الكويت ١٩٦٢ م.
- ٢٢- ديوان النابغة الجعدي - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - ط١ دمشق ١٩٦٤ م.
- ٢٣- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: صنعة ثعلب - الدار القومية للطباعة والنشر  
١٩٦٤ م.
- ٢٤- ديوان الهذليين - دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م.
- ٢٥- ديوان النابغة الذبياني - صنعة ابن السكيت - تح: د. شكري فيصل - دار الفكر  
(د.ت).
- ٢٦- شرح عمدة الفقه - ابن تيمية - موقع شبكة المشكاة الإسلامية الإلكترونية.
- ٢٧- السلوك لمعرفة دول الملوك - المقرئزي - تح: سعيد عبد الفتاح عاشور - طبعة دار

الكتب ١٩٧١-١٩٧٢ م.

- ٢٨- السلوك لمعرفة دول الملوك - المقرئزي - نشر محمد مصطفى زيادة - ط٢ (د.ت).
- ٢٩- شرح الكافية في النحو - الرضيّ الأسترابادي، وهامشه حاشية للسيد الشريف الجرجاني - منشورات المكتبة المرتضوية - ١٣٤٤ هـ.
- ٣٠- شعر حاتم بن عبد الله الطائي - تح: عادل سليمان جمال - مكتبة الخانجي - ط٢ - مصر ١٩٩٠ م.
- ٣١- شعر زهير بن أبي سلمى - تح فخر الدين قباوة - دار الكتب العلمية ط١ - بيروت ١٩٩٢ م.
- ٣٢- شعر كعب بن زهير - المجمع العلمي البولوني - الرسائل - مجلد ٣٨ - قراقو ١٩٥٠ م.
- ٣٣- شعر نصيب بن رباح - جمع وتقديم د. داوود سلوم - مطبعة الرشاد - بغداد - ١٩٦٩ م.
- ٣٤- العقد الفريد - ابن عبد ربه - رتبه وضبطه أحمد أمين ورفاقه - مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٤٦ م.
- ٣٥- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري - بدر الدين العيني - دار الفكر (دون مكان ولا تاريخ).
- ٣٦- فتح الباري - ابن حجر العسقلاني - بيت الأفكار الدولية - (د.ت).
- ٣٧- القاموس المحيط - الفيروزآبادي.
- ٣٨- الكتاب - سيبويه - تح عبد السلام هارون - عالم الكتب - بيروت.
- ٣٩- كتاب الألفاظ والأساليب - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجزء الأول - القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٤٠- كتاب الحيوان للجاحظ - مكتبة مصطفى الباي الحلبي - تح: عبد السلام هارون - مصر - ١٩٤٥ م.
- ٤١- لسان العرب - ابن منظور.

- ٤٢- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٥٠ / ١ نيسان ١٩٧٥ م.
- ٤٣- مجلة العربي - العدد ٦١٥ - نيسان ٢٠٠٩ م.
- ٤٤- معجم أخطاء الكتاب - صلاح الدين الزعبلأوي - تدقيق وإخراج د. مكى الحسنى وأ. مروان البواب. دار الثقافة والتراث - ط١ - دمشق ٢٠٠٦ م.
- ٤٥- معجم البلدان - ياقوت الحموي - دار صادر - بيروت ١٩٧٧ م.
- ٤٦- من اسمه عمرو من الشعراء لابن الجراح - تح عبد العزيز بن ناظر المانع، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١ ١٩٩١ م.
- ٤٧- معجم ما استعجم - البكري - تح مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت (د.ت).
- ٤٨- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- ٤٩- محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة - محمد علي النجار - معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩ م.
- ٥٠- معجم الشعراء والمؤتلف والمختلف - الأمدى - مكتبة القدسي - القاهرة (١٣٥٤هـ).
- ٥١- النحو الوافى - عباس حسن - دار المعارف بمصر (د.ت).
- ٥٢- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق - الإدريسي - عالم الكتب - ط١ بيروت ١٩٨٩ م.
- ٥٣- المواعظ والاعتبار - المقرئزي - تح د. أيمن فؤاد السيد - مؤسسة الفرقان - لندن ٢٠٠٢ م.

## التعريبُ الفكريّ واللّغويّ للعلوم الأساسيّة والتطبيقية المفهوم والضرورات والأدوات

د. عيسى العاكوب(\*)

في فضاء القضية:

يعني التعريبُ في المعنى الذي نقصد إليه في هذه الورقة جعلَ العربيّة لغَةً للتفكير والتصوّر والتخيّل، ولغةً للتدريس والبحث العلميّ، والإنشاء والتأليف في الأفرع الدراسيّة المختلفة للعلوم الأساسيّة والتطبيقية في الجامعات ومؤسّسات البحث العلميّ العربيّة. فقد ظلّت العربيّة ردحًا من الزمن لغةَ الحياة المائجة بالتفكير والإبداع والإنتاج المعنويّ والمادّيّ والتعامل اليوميّ. وكان لعلماء الإسلام في عصر الازدهار العربيّ الإسلاميّ أن يهضموا علومَ الأقدمين في أصقاع الأرض مجتمعةً، وأن ينقلوها إلى لغتهم العربيّة، لتتداولها أجيالٌ من المتعلّمين في لغتها العربيّة، وتدركَ دقائقها وعناصرها، وتضيفَ إليها في مسيرة الحياة العلميّة العربيّة

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

الإسلامية منجزاتٍ علميةً كثيرة، حفظتها لنا الكتبُ المخطوطةُ التي وصل إلينا شطرٌ منها لا يُستهان به في تخصّصاتٍ مختلفة. وقد تكوّن لدى العرب عبر التاريخ تقليدٌ راسخٌ في لغة العِلْمِ يورث الفكرَ والدقائق العلمية بلُغة علميةً متخصصة، تراعي التعبيرات الاصطلاحية الخاصة بكلِّ علمٍ من علوم الزمان الذي كانت فيه. ولأنه قُيِّضَ لأمة العرب أن تغدو وريثة حضارات العالم القديم، اليونانية والهندية والفارسية والآرامية، وأن تستوعب لغتهم العربية علومَ هذا العالم، عمِلَ ذلك على ارتقاء الحياة العلمية العربية وازدهارها زماناً غير يسير، وعلى نماء اللغة العربية نفسها واتساع نطاق معالجتها العلمية والفكرية واثراء معجمها اللغوي.

لكنّه أتى على العرب حينٌ من الدهر انشغلوا فيه بمواجهة حملاتٍ متوالية استهدفت وجودهم ومحتهم، وتغييب كلِّ ما من شأنه أن يُبقيهم أمةً حيّةً تتفاعل مع العالم؛ تأخذ منه ما تنتفع به، وتقدّم إليه ما يمكن أن يكون في حاجة إليه. وقد استفاق العربُ بعد سُبَاتٍ دام طويلاً ليجدوا أنفسهم أمام عالمٍ متقدّم جدًّا عليهم في مسالك العلوم الأساسية والتطبيقية. وهو عالمٌ فرض عليهم أن يستفيدوا من منجزاته العلمية وتقاليدِه الراسخة في المعارف المختلفة ومآثره المدوّنة بلُغاته هو. والمستلزمُ الأوّلُ للحاق بركب هذا العالم المتقدّم علمياً هو تعليمُ أبناء العرب العلومَ الأساسية والتطبيقية الأجنبية بلُغتهم العربية؛ لأنّ الأمر كما يقول عالمٌ غربيٌّ أسهم في إدخال علوم الغرب الطيبة إلى البيئة العلمية العربية منذ وقت مبكر: «التعليمُ بلُغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة، كما

لا ينتج عنه توطيئُ العِلْمِ أو تعميمُ نفعه»<sup>(١)</sup>.

وستقف هذه الورقة عند النقاط الآتية:

- ١ - شمسُ العربية التي لن تأفل.
- ٢ - أهليةُ العربية لأن تكون لغة العِلْمِ والتَّعليمِ والبحث العلميِّ والتَّقانة.
- ٣ - التعريب المنشود في هذه الورقة:
  - التعريب الفكريِّ.
  - التعريب اللغويِّ.
- ٤ - ضرورات هذا التعريب.
- ٥ - أدوات هذا التعريب.
- ٦ - خلاصة ومحصّل نهائيِّ.

وستتناول هذه النقاط بقدرٍ مناسب من التفصيل.

أولاً - شمسُ العربية التي لن تأفل:

يدنو الامتدادُ الزمانيُّ لاستعمال هذه اللّغة الشريفة من الستّة عشر قرنًا، قيّض لها فيه أن تشهد أعصارًا من الازدهار والنّماء وفتراتٍ من الرّكود والجمود. لكنّها على امتداد هذا الأفق الزمانيّ المديد اكتسبت من المتحدّثين بها من غير أهلها ما لم تكتسبه لغاتٌ كثيرة. وكان لتنوّع أجناس الطّارئین عليها واختلاف

---

(١) هذا القولُ للسيد كلوت بك (١٧٩٣ - ١٨٦٨ م)، الطيب الفرنسي الذي كلّفه محمّد عليّ بالإشراف على مدرسة الطبّ في مصر. انظر في شأنه: قاسم سارة: التعريب، جهودٌ وآفاق، دار الهجرة في دمشق وبيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٥٣ وما بعد؛ ومحمود فوزي المناوي: أزمة التعريب، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٤٦.

ثقافتهم وتباين لغاتهم الأصلية، أن أكسبتها من مورثات العبقريّة وعناصر الطّاقة البيانيّة والمرونة الاستعماليّة ما يجعلها أقدر على النهوض بالحاجات التعبيريّة المختلفة. ولا ينبغي البتّة، ومهما كانت الذّريعة، التقليل من شأن اعتقاد العربيّ والمسلم أنّها «اللّسان العربيّ المبين»<sup>(٢)</sup>.

وثمة ملحظ مهمّ هنا؛ وهو أنّ هذه اللّغة حالها كحال الشّمس، ما تكاد تغيب حتّى تطلع، وما يكاد ضياؤها يجبو حتّى يسطع. وآيات هذا الذي ندعي ماثلة لكلّ ذي بصيرة يتدبّر تاريخ العرب والمسلمين. وإذا كان لزمان العربيّة وحياتها المديدة أشثيّة (جمع شتاء) فإنّ لها أربعة (جمع ربيع) أيضًا. وقد يجادل بعض المسلمين، في عصر طغيان التفكير المادّيّ وغلبته، في حفظ الله العربيّة وكلاءتها بتقيضه لها حُفاظًا وخرزنةً وحُماةً، لكنّ شمس الحقائق لا تغيبها غيوم الميول والأهواء. وقد كان هذا شعورًا مستحکمًا لدى أبناء هذه الأمة زمنًا طويلًا، وليس من النّصفة ولا من الحميّة الإيمانيّة إهمال أهمّيته في هذا الزمان الذي نعيش فيه. ولعلّ النصّ الآتي المقتبس من مقدّمة «فقه اللّغة وسرّ العربيّة» للشّالبيّ (ت ٤٢٩م) ممثّل قويّ لهذا الشّعور الغلاب الذي يمكن استشهاده الآن في بعث الثقة في النفوس؛ وسنورده على طوله:

«ولما شرفها الله عزّ اسمه وعظّمها، ورفع خطرَها وكرّمها، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعلها لسان أمينه على وحيه، وخلفائه في أرضه، وأراد بقاءها

(٢) هذا وصف المولى، سبحانه، للسان الذي نزل به القرآن، وهو اللّسان العربيّ؛ إذ قال تعالى في شأن القرآن: «نزل به الرّوح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربيّ مبين» (الشعراء، ١٩٣ - ١٩٥). و«العربيّ» هنا الفصيح البيّن. انظر: الرّاعب الأصفهانيّ: مفردات ألفاظ القرآن، مادّة «عرب».

ودوامها، حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده، وفي تلك الآجلة لساكني جنانه ودار ثوابه، قيض لها حَفْظَةً وَخَزَنَةً من خيار النَّاسِ وأعيان الفضل وأنجم الأرض، تركوا في خدمتها الشّهوات، وجابوا الفلوات، ونادموا لاقتنائها الدفاتر، وسامروا القماطر والمحابر، وكدّوا في حَصْرِ لغاتها طباعهم، وأسهروا في تقييد شواردها أجفانهم، وأجالوا في نَظْمِ قلائدها أفكارهم، وأنفقوا على تخليد كُتُبها أعمارهم؛ فعظمت الفائدة، وعمت المصلحة، وتوقرت العائدة.

وكلّما بدت معارفها تنتكر، أو كادت معالمها تستر، أو عرض لها ما يشبه الفترة، ردّ الله تعالى لها الكرة؛ فأهب ريحها، ونفق سوقها، بفرّد من أفراد الدهر أديب، ذي صدر رحيب، وقريحة ثاقبة، ودراية صائبة، ونفس سامية، وهمّة عالية؛ يُحِبُّ الأدب ويتعصب للعربية، فيجمع شملها، ويكرم أهلها، ويحرك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها، ويستثير المحاسن الكامنة في صدور المتحلّين بها، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها...»<sup>(٣)</sup>.

ويُفَضِّي تاملُ هذا النصّ إلى الشطر من عقيدة المسلم الذي يذهب إلى أنّ حِفْظَ لُغَةِ الدُّكْرِ، أو القرآن، مصدره في الأساس حِفْظُ الدُّكْرِ نفسه؛ هذا المعنى الذي عبّر عنه القرآن الكريم في صيغة غاية في التأكيد والإثبات: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

(٣) إسماعيل الثعالبي النيسابوري: فقه اللغة وسرّ العربية، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مكتبة

مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٢٢.

( ) سورة الحجر: ٩.

على أن تعهد العربية بالحفظ الإلهي لا ينبغي، في حال، أن يكون مدعاةً إلى التراخي في ابتغاء الوسائل وتطلب الأدوات واستعمال الممكنات فيما يضمن حفظ هذه اللغة بجعلها لغة الحياة بمجالها المختلفة ومستوياتها المتبانية. وأنجع هذه الوسائل والأدوات والممكنات، في هذا الزمان الذي يُظننا، جعلها لغة للتفكير والإبداع والتدريس والبحث العلمي في العلوم الأساسية والتطبيقية.

ثانياً - أهلية العربية لأن تكون لغة العلم والتعليم والبحث العلمي والتقانة:

يبدو أن روح الهزيمة حين يتسلل لواءاً إلى النفوس يفتك، من جملة أشياء كثيرة، بالقدرة على التمييز لدى المجموعة البشرية التي يشيع بين أفرادها، ويفقدتها الفطنة إلى عناصر القوة التي تمتلكها. وكثيراً ما تقول لنا الحياة إن مطرودين ملاحقين نسوا ما يحملون من سلاح أو أدوات دفاع كان في مقدورهم، لولا الإحساس بالهزيمة، أن يحموا باستعمالها أنفسهم، ويدفعوا عنهم أذى عدوهم.

وإن شيئاً كثيراً من هذا الإحساس وجد سبيله إلى النفس العربية، فراح كثيراً من العرب يحسبون أن الإسلام والعروبة واللغة العربية أسباب أساسية لتخلف العرب، في كل شيء، وفي الفكر والعلم والبحث العلمي خاصة. والذي يهمننا الحديث عنه هنا، هو تصور بعض العرب أن لغة الفكر المتألق والعلم المتقدم والابتكار في تسخير الطاقات والموارد هي لغات من يتقدمون اليوم بركب العلم ويضيفون في كل ساعة إلى بنيانه ويكتشفون مناطق عمل جديدة له. أما العربية، عند هؤلاء، فالمركب القديم الذي ينبغي أن يبقى عند الشاطئ لعدم قدرته على الإبحار. ولعلنا نجد تعبيراً شعرياً تخيلياً جيداً عن هذا في بيت شاعر العربية الكبير في العصر الحديث عمر أبي ريشة الذي يقول:

هانَتِ الخَيْلُ على فُرسانِها وانطوتْ تلكَ السِّيوفُ القُطْعُ<sup>(٥)</sup>

نعم، قد يحدث في تواريخ الأمم أن تُهزم الأمةُ فتنسى كلَّ عناصر القوَّة والبناء والتَّسامي التي تمتلكها، وتخالُّ أن سبيلَ الفلاح هي سبيلُ القاهر الغالب. وفي المجال الذي نحن إزاءه هنا، يترأى لكثيرين أنَّ العربيَّة ليست مؤهَّلةً لأن تكون لغةَ العِلْم والبحث العلميِّ والتَّقانة الحديثة، وينبغي تنحيُّها عن هذا المجال وتحاميتها وإفراؤها أفرادَ البعير المعبَّد في بيت شاعر المعلقات<sup>(٦)</sup>. والذي نرانا في حاجةٍ إلى التذكير به في هذه المندوحة، أنَّ كلَّ مَنْ لديه خبرةٌ متواضعةٌ بلُغةٍ أو أكثر غيرِ العربيَّة يعلم علمَ اليقين أنَّ العربيَّة هي اللُّغة الصالحةُ لاحتضان العِلْم والبحث العلميِّ والتَّقانة. وإذا كان من المتفق عليه بين أهل الدِّراية أنَّ أبرزَ خصائص لغة العِلْم تضمُّنها أسماءٌ لكلِّ جزئيات الأشياء وتنويعاتها الدَّقيقة، وقابليَّتها لأن توجد الأسماء لكلِّ المسمَّيات، فإنَّ لدى العربية في القديم الشيءَ الكثير من هذا. ولأنَّ الذِّكْرَى تنفعُ المؤمنين، سأوردُ مثالين لمخزون العربيَّة الكبير في الأسماء المختلفة للأشياء المختلفة، مهما كان الاختلاف ضئيلاً أو دقيقاً. والمثالان من «فقه اللُّغة وسِرِّ العربيَّة» للثعالبيِّ.

أما المثالُ الأوَّلُ فقولُه تحتَ عنوان «في أوائل الأشياء وأواخرها»:

«الصُّبْحُ أوَّلُ النَّهار. الغَسَقُ أوَّلُ اللَّيل. الوَسْمِيُّ أوَّلُ المطر. البارِضُ أوَّلُ النَّبت. اللُّعاعُ أوَّلُ الزَّرْع. اللَّباءُ أوَّلُ اللَّبن. السُّلافُ أوَّلُ العصير. الباكورةُ أوَّلُ

(٥) ديوان عمر أبي ريشة، دار العودة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٦.

(٦) جاء معنى إفرا د البعير المعبَّد، أي المطيَّ بالقطران مداواة جَرِّه، في قول طرفة بن العبد البكري:

إلى أنَّ نَحامَتني العَشيْرَةُ كُلَّها وَأُفْرِدْتُ إِفْرادَ البُعيرِ المُعَبَّدِ

الفاكهة. البِكرُ أوَّلُ الوُلْدِ. الطَّلِيعَةُ أوَّلُ الجِيشِ. النَّهْلُ أوَّلُ الشُّرْبِ. النَّشْوَةُ أوَّلُ السُّكْرِ. الوَخْطُ أوَّلُ الشَّيْبِ. النَّعَّاسُ أوَّلُ النَّوْمِ. الحَافِرَةُ أوَّلُ الأَمْرِ. الفَرَطُ أوَّلُ الوُرَادِ. (وفي الخبر: أنا فَرَطُكُمْ على الحوض، أي أوَّلُكُمْ). الزُّلْفُ أوَّلُ ساعاتِ اللَّيْلِ (٧).

وأما المثال الثاني فقوله في أسماء أوجاع الأعضاء:

إذا كان الوجعُ في الرَّأسِ فهو صُدَاعٌ. فإذا كان في شِقِّ الرَّأسِ فهو شَقِيقَةٌ. فإذا كان في العينِ فهو عَائِرٌ. فإذا كان في اللِّسانِ فهو قُلاعٌ. فإذا كان في الحَلْقِ فهو عُدْرَةٌ ودُبْحَةٌ... فإذا كان في العنقِ فهو كَبَنٌ وإِجْلٌ. فإذا كان في الكَبِدِ فهو كُبَادٌ. فإذا كان في البطنِ فهو قُدَادٌ. فإذا كان في المفاصلِ واليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ فهو رَثِيَةٌ. فإذا كان في الجسدِ كلِّه فهو رُدَاعٌ.

فواحزني، وعاودني رُداعي وكان فراقُ لُبْنَى كالحِخْدَاعِ (٨)

وعند أهل العِلْمِ، يُظهِرُ المِثَالانِ الذَّخِيرَةَ العِلْمِيَّةَ لِللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي الأَزْمَنَةِ الأُولَى؛ وَهِيَ ذَخِيرَةٌ تُؤَدِّنُ بِأَنَّهُ كَأَنَّ العَرَبِيَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ شُغْلٌ غَيْرُ تَعَرُّفِ الأَشْيَاءِ وإِعطائِها أَسْمَاءً تَدلُّ عَلَيْهَا. وَليسَ العِلْمُ، فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهِ، إِلا كَشْفًا للأَشْيَاءِ وَتَشخِصًا لها وإِعطائِها الأَسْمَاءَ الدَّالَّةَ عَلَيْهَا المَبِينَةَ لها. فَقابِلِيَّةٌ أَنْ تَكُونَ العَرَبِيَّةُ لُغَةً العِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةَ كَبِيرَةً جَدًّا. وَلا يُحْتَاجُ فِي هَذَا المِجَالِ إِلا إِلَى أَنْ تُزَجَّ العَرَبِيَّةُ فِي تَيَّارِ الحَيَاةِ العِلْمِيَّةِ الدَّفَاقِ، وَتُوكِّدَ عَقِيدَةَ أَنَّهَا

(٧) فَهْهُ اللُّغَةُ وَسِرُّ العَرَبِيَّةِ، ص ٥٤.

(٨) السَّابِقِ، ص ١٤٣.

وَحَدَّهَا لُغَةُ الْعِلْمِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةَ فِي الْجَامِعَاتِ وَمُؤَسَّسَاتِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالْإِنْتِاجِ الْمَادِّيِّ وَالْفِكْرِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ. وَحِينَ تَتَوَفَّرُ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ، وَتُفْرَضُ الْعَرَبِيَّةُ وَحَدَّهَا لُغَةُ فِي الْمَجَالَاتِ الْمُتَحَدِّثِ عَنْهَا هُنَا، سَيُسْفَرُ الْعَمَلُ عَنْ كَشُوفِ مَذْهَلَةٍ؛ لِأَنَّ أَقْوَى الْكَشُوفِ وَأَعْمَقَهَا وَأَخْطَرَهَا شَأْنًا إِنَّمَا يُوصَلُ إِلَيْهَا تَحْتَ وَطْأَةِ الْحَاجَاتِ الْعَمَلِيَّةِ وَالضَّرُورَاتِ التَّطْبِيقِيَّةِ. وَلَعَلَّهُ مِنْ حَقَائِقِ تَارِيخِ الْعِلْمِ الْكَبِيرَةِ مَا تَعَبَّرَ عَنْهُ الْمَقُولَةُ الشَّهِيرَةُ: «الْحَاجَةُ أُمُّ الْإِخْتِرَاعِ». وَمَا أَجْمَلَ مَا يَقُولُ شَاعِرُ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدُ إِقْبَالَ (ت ١٩٣٨ م) فِي الْمَعْنَى الَّذِي نَتَحَدَّثُ عَنْهُ:

دَعِ الشُّطْرَانَ لَا تَرْكُنْ إِلَيْهَا      ضَعِيفٌ عِنْدَهَا جَرَسُ الْحَيَاةِ  
عَلَيْكَ الْبَحْرَ صَارِعٌ فِيهِ مَوْجًا      حَيَاةُ الْخُلْدِ فِي نَصَبِ ثَوَاتِي

فَكَأَنَّ أَسْرَارَ الْأَشْيَاءِ لَا تُكْتَشَفُ إِلَّا فِي خِضَمِّ الْحَيَاةِ الْعَمَلِيَّةِ وَالتَّجْرِبِ وَالْمَهَارَسَةِ. وَاكتشافُ أَهْلِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَنَّ تَكُونَ لُغَةَ الْعِلْمِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةَ مَرهُونٌ بِزَجَّهَا فِي الْمَعْتَرِكِ، وَحَمَلِ الْمَشْتَغَلِينَ بِالتَّعْلِيمِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةَ عَلَى جَعْلِهَا لُغَةَ عَقُولِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَتَأْلِيفِهِمْ الْمَدُونِ.

ثالثاً- التَّعْرِيبُ الْمَنْشُودُ فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ:

التَّعْرِيبُ لُغَةً مَصْدَرُ الْفِعْلِ الْمَضْعُفِ «عَرَّبَ»، وَيُقَالُ: عَرَّبَ مَنْطِقَهُ إِذَا خَلَّصَهُ مِنَ اللَّحْنِ؛ وَعَرَّبَ الْأِسْمَ الْأَعْجَمِيَّ إِذَا تَفَوَّهَ بِهِ عَلَى مِنْهَاجِ الْعَرَبِ. وَالتَّعْرِيبُ تَهْدِيبُ الْمَنْطِقِ مِنَ اللَّحْنِ.

أَمَّا فِي اصْطِلَاحِ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ فَيَعْنِي «التَّعْرِيبُ» خَمْسَةَ مَقَاصِدَ

حصَرَها بعضهم<sup>(٩)</sup> بما يأتي:

١ - التصرّف في النصوص والأعمال الأجنبية المترجمة إلى العربية بجعلها أكثر ملاءمةً للفكر والوجدان العربيين. ويكون ذلك بترجمة الخلاصة العامة للأثر أو فكره الرئيسي، أو إقحام فكرٍ عربيّ في نسيجه، أو إعمال يد التعديل أو الحذف فيه. وفي الجملة، هو تقريبُ روح الأثر الأجنبيّ المعرّب من الروح العربيّ والذاتقة العربيّة.

٢ - ترجمة الأثر الأجنبيّ إلى العربية. ويرى بعضهم أن يُطلق على النقل من أيّة لغةٍ من اللغات إلى العربية اسمُ «التعريب»؛ وأن يُطلق على النقل من أيّة لغةٍ من اللغات إلى غير العربية اسمُ «الترجمة». فترجمة أيّ أثرٍ من غير العربية إليها هي «تعريبٌ» له لا ترجمةٌ.

٣ - تعريب الألفاظ الاصطلاحية المنقولة من اللغات المختلفة إلى العربية؛ وذلك بقبول الاسم الأعجميّ أو المصطلح الأعجميّ في العربية بعد التفوّه به ونطقه على منهاج العرب وطريقتهم. ويسمّى اللفظ الذي يخضع لهذه العملية «المعرّب». فالتعريبُ هنا تغييرٌ يُحدثه العربُ في الأسماء والمصطلحات الأعجمية التي يُحتاج إلى إدخالها إلى العربية من جهة بنيتها وصورتها اللفظية، لا من جهة المراد منها. وقد استعملته العربية قديمًا، ويُستعمل في الوقت الراهن. وللعلماء في قبوله واستعماله مذاهبٌ مختلفة.

٤ - تدريس العلوم المختلفة في الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا باللغة

(٩) في شأن هذه المقاصد يُنظر بحث الأستاذ الدكتور كمال بشر، أمين عام مجمع اللغة العربية في القاهرة، في كتاب الدكتور محمود فوزي المناوي: أزمة التعريب (سابق) ص ٨٩-٩٣.

العربية، وتألّف الكتب الدراسيّة التي يُحتاج إليها في دور العِلْم هذه باللّغة العربيّة، واعتمادُ العربيّة لغةً لكلّ ما يتّصل بالعلْم والبحث العلميّ والنّشر في هذه الجامعات والمؤسّسات؛ وهو ما يُعرف بـ «التّعريب اللّغويّ للعلوم».

٥ - التّعريب الفكريّ، الذي يعني جعلُ العربيّة لغةً للتفكّر والتصوّر والتخيّل، وينشأ عن ذلك بسهولةٍ ويُسر اعتمادُ العربيّة لغةً للتدريس والبحث العلميّ والإنشاء والتأليف في الأفرع الدراسيّة المختلفة. وممن دعوا إلى هذا الضّرب من «التّعريب» كمال بشر، الأمين العامُّ لمجمع اللّغة العربيّة في القاهرة. وقد أراد كمال بشر من ذلك تنشيط الإبداع الفكريّ والعلميّ العربيّ؛ أي أن يكون العلماء العرب مشاركين في البحث العلميّ الحقيقيّ اختراعًا وكشفًا في مؤسّساتهم العلميّة ومختبراتهم البحثيّة، صائغين نتائج بحوثهم وتجاربهم بلُغة عربيّة موصّلةٍ لمقاصدهم مبيّنة لمراداتهم. وقد فطن كمال بشر إلى أمرٍ مهمّ في الشأن الذي نحن إزاءه، وهو أنّ التّعريب الفكريّ هو الذي يحرّر رقابنا من عبوديّة التّبعيّة الفكريّة لمنتج العِلْم، أيّا كان.

وسنبسط القول في النوعين الأخيرين من التّعريب؛ لأنّهما مقصودنا من

تعريب العلوم الأساسيّة والتطبيقية.

- التّعريب الفكريّ:

يعني التّعريبُ الفكريّ للعلوم الأساسيّة والتطبيقية أن يفكّر العلماء والباحثون والخبراء العرب المتخصّصون في هذه العلوم، ويتصوّروا ويتخيّلوا

ويحاكموا، ويؤدّوا كلّ الأعمال العقلية المتصلة بالابتكار والكشف والإبداع في هذه العلوم، بمنطق اللغة العربية وعقليتها وبنيتها الدلالية والتعبيرية. ويعني هذا عملياً أن يُسهموا، بلسانهم العربي، في حركة الإبداع العلمي العالمية، وأن تألف ذهنيّاتهم العربيّة طرائق البحث العلميّ واستيعاب الأصول النظرية لهذه العلوم، وتمثّل أدقّ النقاط فيها. ذلك لأنّ المعارف العلميّة، أيّاً كان مصدرها، مادةٌ مُتاحةٌ، في مقدور العلماء والباحثين والخبراء والأساتذة العرب اختزائها في عقولهم وتمثّل عناصرها ودقائقها، والبناء عليها والاشتقاق منها وكشف مجاهل فيها لم تطأها أقدام عقول الآخرين من غير العرب. والتعريبُ الفكريُّ هنا هو أن تحصل عملياتُ «الابتداع والابتكار والإضافة والتجديد أو التعديل والتطوير»<sup>(١٠)</sup> بآلياتِ العقل العربيّ في التفكير والتصور والتخيّل والكشف والبرهنة.

ويُعنى «التعريبُ الفكريُّ» بتوفيرِ حاضنٍ علميٍّ تقانيٍّ عربيٍّ مشبعٍ بروح الإبداع والابتكار والاكتشاف في العلوم المختلفة، على نحوٍ يهيئ لتفجير طاقات أجيالٍ متتابعةٍ من العلماء والباحثين العرب الذين تألف عقولهم منهجياتِ العملِ العقليّ الإبداعيّ العربيّ، وتتجمّع حصائلُ خبراتهم ومعارفهم على امتدادِ زمنيّ طويلٍ مدوّنةٌ بلُغةٍ عربيّةٍ ذات مستوى مقبول من الدقّة والضبط والسلامة. ويعملُ هذا المنجزُ المتراكم في صورة القوّة الدافعة أو الزّخم momentum أو impetus، الذي يُفضي إلى تقدّمٍ مطّردٍ دائمٍ.

(١٠) أزمة التعريب، ص ٩٢.

وحيث تكون عمليات التفكير والتخيّل والتصوّر والاستنباط والاكتشاف، في ميادين العلوم الأساسية والتطبيقية، بمنطق اللغة العربية ومنهجيتها، ينشأ التعبير عن معطياتها ومحصلاتها باللغة العربية؛ فالفكر في مظهر من مظاهره لغة، واللغة في جانب من جوانبها فكر. ومن هذه الوجهة يقول كمال بشر: «إنّ التعبير اللغوي العربي يولده التفكير العربي»<sup>(١١)</sup>.

وإذا كان ما قدّمناه هنا يوضّح لنا مفهوم «التعريب الفكري»، فما السبيل إلى تحويله ثقافة يستشعر العلماء والباحثون والخبراء ضرورة تبنيها والعمل بمستلزمات مبادئها والإصرار على سلوك طريقها، أيًا كانت العقبات التي تُقتحم في هذا الطريق. وههنا مجموعة من الموجّهات المساعدة في هذا الشأن:

١ - تعزيز الإيمان المطلق بالفرضية التي تقول إنه لا تقدّم علمياً للعرب من دون «التعريب الفكري»، وإدخال هذا المفهوم ومستلزماته في دساتير الدول وفي ما يُعرف بـ «رسالة» المؤسسة العلمية والتعليمية العربية، أيًا كانت هذه المؤسسة.

٢ - توطيّن العلم برعاية حواضنه والاهتمام بالبرزين في أفرعه، وإعداد المجتمع نفسياً للإئفاق عليه بسخاء، ومن دون تردد.

٣ - التربية الوطنية للأجيال الشابة، ممّن يُعدّون لكي يكونوا علماء المستقبل، على عقيدة «التعريب الفكري»؛ لكي يغدو ذلك سلوكاً فكرياً وعملياً محبباً لديهم.

٤ - إعداد الأجيال الشابة من العلماء والباحثين والخبراء وأساتذة الجامعات

بنوعين من المعرفة والخبرة:

آ- هَضُمَ المنجَزَ العلميَّ والتّقانيَّ العالميَّ في الصّورة الأخيرة التي وصل إليها، بلُغته الأصليّة، في التخصّص المحدّد.

ب- التمكن من العربيّة السليمة مفرداتٍ وعباراتٍ وطرائقٍ تعبيرٍ ومصطلحاتٍ فنيّة، في التخصّص المختار.

وفي هذا المعنى يقول كمال بشر: «ومعلومٌ بالضرورة أنّ التفكير العربيّ المولّد للتعبير بالعربيّة يحتاج إلى مخزونٍ عقليّ من هذه اللّغة، وحصيلةٍ من نُظُمها وأساليبها مناسبةٍ للتخصّص أو العِلْم المعين. فإذا كان هذا التخصّص، أو ذلك العِلْم، جديدًا بالنسبة إلى الدّارس أو غير مستقرّ الأصول عنده، فلا مناص له من العود إلى لغة الأصل والتفكير بها، حتّى يستوعب ويهضم، ثمّ يُخرج - بعد - ما يستوعب ويهضم بعباراتٍ عربيّة»<sup>(١٢)</sup>.

٥- فرَضُ العربيّة لغةً للعِلْم والبحث العِلْميّ والتّقانة، بعد تأمين مؤسّسات التنمية البشريّة التي تتولّى الرّعاية المستمرة للمنشغلين بذلك.

التّعريب اللّغويّ:

يعني التّعريب اللّغويّ، في السّياق الذي نحنُ فيه، اعتمادَ العربيّة لغةً للعِلْم والبحث العِلْميّ والتّقانة والتّدرّيس في أقسام العلوم الأساسيّة والتّطبيقية في الجامعات وفي مراكز البحث والمخابر والمجالات العلميّة. وقد حدّده عبد الكريم

(١٢) نفسه، ص ٩٣.

خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، في بحثه الذي قدمه في المؤتمر الثامن والخمسين لمجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٩٢م، إذ قال: «التعريب هو تحويل الجامعات والكليات الجامعية والمعاهد العليا التي تضم مئات الأقسام العلمية، من التدريس باللغات الأجنبية مثل الإنكليزية والفرنسية وغيرهما إلى التدريس باللغة العربية، واعتماد اللغة العربية لغة للتدريس الجامعي والبحث العلمي والتقنيات الحديثة»<sup>(١٣)</sup>.

وقد خطت بعض الدول العربية خطوات في هذا المجال، ويسجل لسورية سبق وتقدم في هذا المضمار. وفي مقدورنا القول إن التجربة السورية تقدم نموذجاً عملياً للتعريب اللغوي في مؤسسات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي. فالتعليم المعتمد على المحاضرات النظرية والعملية، والكتب الدراسية والدوريات العلمية، كلها باللغة العربية. ويخضع أعضاء هيئة التدريس والمعيدون والفنيون لاختبارات في العربية تحديداً وكتابةً. ويصحح الكتاب الجامعي لغوياً، وتعد الرسائل الجامعية بلغة عربية أدنى إلى السلامة، وتُنشر مجلات البحوث الجامعية بحوث الأساتذة وطلبة الدراسات العليا باللغة العربية. وتكون فعاليات المؤتمرات العلمية والندوات وحلقات النقاش بالعربية. ولا يعني هذا إهمالاً للغات العلم الحديث، كالإنكليزية والفرنسية والألمانية واليابانية. فمعظم أعضاء الهيئات التدريسية في الأقسام العلمية

المختلفة متخرجون في جامعات غربية، و متمكنون من لغات الجامعات التي تخرجوا فيها. كما أن السنوات الأخيرة شهدت اهتماماً كبيراً بلغات العلم الحديث في الأقسام العلمية المختلفة في الجامعات السورية، وأنشئت معاهد عالية لتعليم اللغات المختلفة في الجامعات السورية جميعاً. وتحظى اللغة العربية برعاية خاصة من أعلى الهرم في الدولة السورية. ويبدأ مجمع اللغة العربية في دمشق الذي أنشئ عام ١٩١٩م، جهداً كبيراً في التعريب اللغوي؛ بإعداد المعجمات الثلاثية اللغات، أو الثنائية اللغات، التي تقدم مقابلات عربية لمصطلحات العلوم المختلفة في لغات العلم الحديث الرئيسية. وفي المجمع عدد من اللجان المتخصصة التي تتولى تعريب المصطلحات العلمية في العلوم الأساسية والتطبيقية. ويعقد المجمع مؤتمراً سنوياً يتناول فيه قضية أساسية من قضايا العلم واللغة العربية، على المستوى العربي كاملاً. وأديرت أوراق المؤتمر الأخير للمجمع، في أواخر العام ٢٠١٠م، حول «لغة الكتابة العلمية»؛ أما المؤتمر القادم للمجمع فموضوعه التمكين للغة العربية، واللغة العربية ومجتمع المعرفة. كما عرفت سورية في السنوات الأخيرة لجنةً علياً يُطلق عليها «لجنة التمكين للغة العربية»، ولها أفرع في المحافظات السورية المختلفة، وتقوم بأنشطة وفعاليات كثيرة.

واختيارنا التمثيل بالتجربة السورية في موضوع التعريب اللغوي للعلوم الأساسية والتطبيقية، لا يعني أنها حققت مرتبة الكمال وضمنت كل ما يُصبى إليه

في هذا المجال، بل منتهى الأمر في هذا أن مسافاتٍ جيّدةً قُطعت في هذه السبيل، ولا غنى عن المثابرة والمواصلة. ولا يجانب المرء الصواب حين يقول إنّ خرّيج الأقسام العلميّة في الجامعات السّوريّة ليس أدنى مستوى من أشباهه في الأقسام العلميّة في الجامعات العربية التي تدرّس بلغات العِلْم الحديث، إن لم نقل إنّه يتفوّق عليهم في بعض النواحي.

ولابدّ من التذكير، هنا، بأنّ التعريب الفكريّ إذا ما تحقّق على النحو الذي حدّدناه قبل، يسهّل كثيرًا التعريب اللّغويّ لدى العلماء والباحثين والخبراء المشتغلين بالعلوم الأساسيّة والتطبيقية؛ فإنّ الإنسان على الحقيقة يفكّر من خلال اللّغة، ويصعب تحيّل تفكيرٍ من دون لُغة.

رابعًا - ضروراتُ هذا التعريب:

التعريبُ الذي تحدّثنا عنه، بنوعيه، تستلزمه ضروراتٌ علميّة ولغويّة وقوميّة واجتماعيّة، تستشعرها جيّدًا الأُمّة العربيّة الحيّة التي ترفض الدونيّة والتخلّف والضعف والتبعية، وتسعى لبناء ذاتها وهويّتها وشخصيّتها القوميّة المتميّزة. ولعلّ التفصيلَ في هذا الشأن ممّا يقوّي الإحساسَ بضرورة هذا التعريب:

١ - الضرورات العلميّة:

يساعدُ تعريبُ العلوم الأساسيّة والتطبيقية، بالمفهوم الذي قدّمناه، على بناء شخصيّتنا العلميّة العربيّة الخاصّة بنا، التي هي أقدّر على تحديد إمكانات واقعا وما نواجهه من حاجات، والعملِ بفعاليّة على رَبْط العلم والبحث بحاجات

المجتمع. ويسهّل تنمية الطّاقات الإبداعية لأبنائنا واستثمارها في الحدود القصوى؛ لأنّ التفكير والتصوّر والتخيّل والتعلّم باللّغة الأمّ يفتّح أبواب الكشف والابتكار والاختراع في ذهن المتعلّم. وفي هذا المعنى يقول أحد أساتذة الصّيدلة العرب: «إنّ تفهّم الطالب للّغة المحاضرة والشرح كان يعنيه من بذل جهدٍ مضاعفٍ ينصرف نصفه لفهّم اللّغة والتعرّف على المفردات الصّعبة في اللّغة الأجنبية التي يدرس بها. وينصرف النّصف الآخر من الجهد لاستيعاب المادّة العلميّة نفسها، فضلاً عمّا يعتور ذهن الطالب أحياناً من غموضٍ في المعنى أو نقص فيه يختلّ معه بناء المعلومات، أو تُنقل إليه بغير الصّورة المقصودة من المحاضرة»<sup>(١٤)</sup>. وقد كان «كلوت» بك، مدير مدرسة الطّب المصريّة في بداياتها، حريصاً جدّاً على تعريب المقرّرات الطبيّة وترجمتها من الفرنسيّة إلى العربيّة، وأثر عنه قوله: «إنّ التعليم بلغة أجنبيّة لا تحضّل منه الفائدة المنشودة، كما لا ينتج عنه توطيّن العِلْم أو تعميم نفعه»<sup>(١٥)</sup>.

## ٢ - الضرورات اللّغويّة:

إنّ إبعاد اللّغة العربيّة عن مجالات العِلْم والتّقانة يعني إبعادها عن دائرة الحياة، وينشأ عن ذلك شيئاً فشيئاً تقليل محصولها من المفردات والمصطلحات العلميّة، وإضعاف طاقاتها الكامنة، وتحويلها إلى لغة هامشيّة مهمّلة. ويعمل ذلك، بتقدّم العهد، على نموّ تصوّر خاطئ يقول بعقمها وتحجرها وعجزها.

(١٤) محمّد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربيّ، القاهرة ١٩٩٠م،

ويعني ذلك من وجهة أخرى حرمانها من أن تكون لغة المبدعين والمتفوقين عقلياً من أبناء المجتمع، وصيرورتها لغة للعوام والطغام. وفي هذا المعنى يقول كمال بشر: «منح العربية فرصة التفاعل في البيئات العلمية يزيد من ثروتها، وينمي محصولها، كما يساعد الدارسين على التفكير بها؛ الأمر الذي يؤدي إلى إلفها والتعامل بها؛ وبذلك ينزاح عنها توهم ضعفها واتهامها بالعجز عن ملاحقة العلوم وما يجد فيها من تطور»<sup>(١٦)</sup>.

ويعمل التعريب الذي نقصد إليه هنا على شحذ الهمم واستنفاد الطاقات في تهيئة العربية لأن تكون لغة العلم والبحث العلمي والتقانة. وإذا كانت الحاجة أم الاختراع، كما يقال، فإن زج العربية في مضائق العلم والبحث العلمي يدفع المشتغلين في هذه المجالات إلى إعمال طاقات العربية الكامنة في الاشتقاق والنحت والقياس، والعود إلى مكانزها وما تنطوي عليه من ذخائر. ذلك أن «حركة تعريب الفكر والعلم والتعليم نجاحها مرهون من جهتنا بما نبذله من عمل جاد في تطويع العربية بتوسيع أقيستها وضوابطها والكشف عن ذخائرها من الألفاظ والصيغ والأساليب؛ لتواكب الحركة العلمية بغير تمهل، وبما تُبديه من جراءة في تحطيم الحواجز اللغوية التي تعوق تلك الحركة»<sup>(١٧)</sup>.

### ٣ - الضرورات القومية:

الإصرار على إقصاء العربية عن حمى العلم والبحث العلمي والتعليم، وإيثار

(١٦) أزمة التعريب، ص ٩٥.

(١٧) التعريب في القديم والحديث، ص ٧.

اللغات الأجنبية عليها في هذا الشأن، يوهن الرباط الذي يشد العرب بعضهم إلى بعض، ويُضعف انتماءهم إلى أوطانهم. وعندما يترسخ ذلك ويستحكم يُنشئ أجيالاً من العلماء والباحثين والأساتذة ليس لهم هوية، ويكون انتماءهم إلى الأجنبي الذي يفكرون بلغته، ويتصورون ويتخيلون ويعلمون، أقوى من انتمائهم إلى بني قومهم. فالمنطقة من الدماغ التي يحصل فيها الكشف العلمي والاستنباط والاختراع هي نفسها التي تحصل فيها التصورات الأخلاقية والقيمية، ويتأثر عملها كثيراً باللغة التي تعتمد عليها. وفي هذا المعنى يقول المفكر الياباني توشيهيكو إيزوتسو، المتمكن تماماً من عدد كبير من اللغات ومنها العربية:

«إنَّ كلَّ واحدةٍ من كلماتنا تمثل منظوراً خاصاً نرى فيه العالمَ. وما يُسمى «مفهوماً» ليس سوى بلورةٍ لمثل هذا المنظور الدّاتي؛ أي إنه شكلٌ ثابتٌ يفترضه المنظور. والمنظور المقصود هنا اجتماعيٌّ؛ لأنّه الملكيّة المشتركة لجماعةٍ كاملة؛ هذه الملكيّة المنحدرة من العصور السابقة بفضل التقليد التاريخي. وبرغم ذلك، هو ذاتيٌّ بمعنى أنّه يُفضي إلى شيء من الاهتمام البشريّ الفعّال الذي يجعلُ تمثيلنا المفهوميّ للعالم ليس نسخةً دقيقةً للواقع الموضوعي»<sup>(١٨)</sup>.

نعم، عملُ العقل في إدراك المفهومات والتصوّرات يتأثر باللّغة التي يعتمد عليها تأثراً كبيراً. فحالة العقل عند إدراك مفهوم كلمة «الكُفر» العربية مثلاً تختلف عنها عند إدراكه مفهوم مقابلتها الإنكليزية disbelief. وفي هذا يقول

(١٨) توشيهيكو إيزوتسو: المفهومات الأخلاقية الدّينية في القرآن، ترجمة عيسى علي العاكوب، دار

إيزوتسو: «الموقف العقليُّ الكامل الذي يؤلّف الأساس للبنية المفهوميّة لـ «كُفر» يضيع متى بدأنا بفهمها بمنطق المفهوم الإنكليزيّ لكلمة disbelief<sup>(١٩)</sup>.

#### ٤ - الضّرورات الاجتماعيّة:

من الحقائق المقرّرة المؤيّدّة بالبرهان أنّ حجب لغتنا العربيّة عن أن تكون لغّة للعلم والبحث العلميّ والتّقانة، وفسح المجال تمامًا للغات الأجنبيّة لكي تحتلّ مكانها، مدعاةٌ إلى نشوء إحساس اجتماعيّ بدوئيّة العربيّة وضالة إمكاناتها وقدراتها التعبيريّة والبيانيّة؛ الأمر الذي ينشأ عنه، عن قصدٍ أو غير قصدٍ، ازدراء كلّ ما هو وطنيٌّ وقوميٌّ ومحليٌّ، وإعلاء شأنٍ لكلّ ما هو أجنبيّ. ويعمل ذلك أيضًا على إشاعة روح التقليد والتبعيّة، وتصنيف النّاس اجتماعيًّا على أساس اللّغات التي يتقنونها أو يقدرّون على التعامل بها. وربّما نستطيع المضيّ إلى القول إنّ الأخذ بهذا المبدأ يفضي أحيانًا إلى ظهور أفرادٍ يרטنون بلغات أجنبيّة، لكنهم فارغون فكريًّا وعلميًّا وقيميًّا، ناهيك عن أفرادٍ يتباهون بخلط عربيّتهم الهزيلة بألفاظٍ وعباراتٍ من لغاتٍ أخرى؛ وفي هذا ما فيه من ضروب الفساد.

#### خامسًا - أدوات هذا التعريب:

لا يشك أحدٌ في أنّ التعريب الفكريّ واللّغويّ للعلوم الأساسيّة والتطبيقية، في الجامعات ومراكز البحث في البلدان العربيّة، من الأمور التي دونها سُدودٌ كثيرة يستدعي تخطّيها جهودًا مضنيّةً وطاقاتٍ خلاقةٍ توجّه التوجيه السديد المفضي إلى تحقيق المراد، بمشيئة الله سبحانه. لكنّه حين يدرك أنّ ذلك هو الشرط

الأول للحاق بركب التقدم العلمي المنطلق بسرعة مذهلة، في عالم لا مكان فيه لمن ضعفت هممهم وخارت قواهم، يكون تبيّنه والأخذ بأسبابه والمسارة إلى تنفيذ مخططاته من قبيل ما يُعرف بقضايا المصير، أو الحياة والموت؛ إذ الأمر كما يقول شاعرٌ مجاهد:

فإِمْحَا حَيَاةٍ تَسْرُ الصِّدِيقِ وَإِمَامَاتٍ يُغَيِّظُ الْعِدَا

وفي تناول المتأمل أن يقدم مقترحاً من مجموعة مبادئ، يُساعد تبيّنها وتنفيذ

مطالبها مساعدة كبيرة في تحقيق التعريب الذي نريده في هذه الورقة:

١ - العمل على كل ما من شأنه أن يجعل تحقيق هذا التعريب «عقيدة» يؤمن بها المجتمع كله رعاة ورعية، صغاراً وكباراً، عقيدة شبيهة بعقيدة تحرير الأوطان من المحتل الجاثم على الصدر، الجاعل الحياة كالموت. ومن وسائل ذلك النص على ضرورة تحقيقه في دستور الدولة، وإدخاله في خطط عمل الحكومات، وإشاعة ثقافته في وسائل الإعلام المختلفة على أنه قضية مصيرية لا تحتمل الإرجاء، ناهيك عن الإهمال.

٢ - جعله قسداً أساسياً موجّهاً في الرسالة التعليمية لوزارات التربية ووزارات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي والجهات المختلفة التي تتولى التعليم والتدريب والتأهيل. ويستدعي ذلك إعداد المعلمين جميعاً، أيًا كانت المقررات التي يتولون تعليمها والمراحل التعليمية التي تقع فيها هذه المقررات، الإعداد المطلوب في اللغة العربية.

٣ - في التعليم العالي خاصة، يُعمل بكل الوسائل على جعل «عقيدة التعريب» جزءاً أساسياً، مساوياً في المقدار لأساس التحصيل العلمي المطلوب، مما ينبغي أن يؤمن به عضو هيئة التدريس الذي تأتمنه الأمة على إصلاح عقول أبنائها والارتقاء بهم إلى المستوى الذي يؤهلهم لخوض غمار الحياة العلمية والعملية

باقتدارٍ وتمكّن. والأمرُ هنا مثلما يقول أحدُهم: «لا سبيلَ إلى تعريبِ التّعليمِ العالِي والجامعيِّ ما لم يؤمّنْ بذلك الأستاذُ، وما لم تُرَسَّخْ في ذهنه قناعةٌ قويّةٌ بأهميّةِ التّعريبِ باعتباره قضيةً قوميّةً ووسيلةً فعّالةً للارتقاءِ بمستوى التّعليمِ ودفعِ حركتهِ خطواتٍ بناءً فسيحةً إلى الأمام، وأن تتوفرَ بجانبِ هذه القناعةِ وهذا الإيمانِ أحدثُ المراجعِ العلميّةِ باللّغةِ العربيّةِ»<sup>(٢٠)</sup>.

٤- إخضاعُ المعلّمين والمدرّسين وأساتذة الجامعات لبرامجٍ تأهيلٍ متواصلٍ في اللّغة العربيّة، يُربطُ به التّرقّياتُ والتعيينُ في الوظائفِ الأعلى، ويكافأُ المبرّزون في مطالبه ومستلزماته مكافآتٍ ماديّةٍ ومعنويّةٍ.

٥- إحداثُ هيئةٍ عليا مرتبطةٍ بأعلى سُلطةٍ في البلد تُسمّى «الهيئةُ العُلّيا لتعريبِ العلوم»، تتولّى التخطيطَ والتنفيذَ والإشرافَ والمتابعةَ وكلّ ما من شأنه أن يُحوّلَ حُلْمَ التّعريبِ المنشودِ إلى حقيقة. ويشمل ذلك وضعَ الخططِ والبرامجِ، وإعدادَ الجماعاتِ المؤهّلةِ لترجمة أحدثِ المراجعِ العلميّةِ إلى العربيّة، وتأليفَ الكتبِ الدراسيّةِ، وتعريبَ المصطلحاتِ العلميّةِ، وتأهيلَ المدرّسين للتدريسِ بالعربيّة. وتؤمّنُ لهذه الهيئةِ الميزانياتُ الكافية، وجهازُ الرّقابةِ والمتابعةِ المؤهّلُ والمؤتمّنُ والحريصُ جدًّا على أداءِ هذه الرسالة<sup>(٢١)</sup>.

(٢٠) التّعريب في القديم والحديث، ص ٢٧٤.

(٢١) انظر مقترحاتٍ مشابهةً لإحداثِ التّعريبِ المنشودِ في: عبد الكريم خليفة: اللّغة العربيّة والتّعريب في العصر الحديث، الطبعة الخامسة، دار الفرقان للنشر، عمّان ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٩٧ وما بعد؛ وندوة التّعريب في التّعليم العالِي، وزارة التّعليم العالِي السوريّة، دمشق ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الجزء الثاني، ص ٣٠٦ وما بعد؛ وسعيد حارب: التّعريب والتّعليم العالِي، جمعيّة حماية اللّغة العربيّة في الشّارقة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

### سادساً - خلاصةٌ ومحصلٌ نهائيٌّ:

عاجلت هذه الورقةُ التعرّيبَ الفكريَّ واللّغويَّ للعلومِ الأساسيَّةِ كالرياضياتِ والفيزياءِ والكيمياءِ وعلومِ الحياة والنّبات والحيوان والأرض، والعلومِ التّطبيقيةِ التي لها تطبيقاتٌ في الحياة العمليَّة؛ فحدّدت المفهومَ تحديداً واضحاً، ووقفت على الضروراتِ المختلفة التي تستلزم هذا التعرّيب، والأدواتِ العمليَّة لتفنيده. وفي تضاعيف محاكمة هذه القضايا ومناقشتها، أثبتت الورقةُ أنّ شمسَ اللّغة العربيَّة لن تأفلَ لأئبها «اللّسانُ العربيُّ المبينُ»، الذي جاء به البيانُ الإلهيُّ للنّاس، في خاتمة رسالاتِ السّماءِ إلى الأرض. ولأنّه «لا رسالةٌ بعد هذه الرّسالة»، ولأنّ مضمونَ هذه الرّسالة هو المرادُ الإلهيُّ من البشَر وهو مرادٌ دائمٌ لا يتوقّف، ستستمرُّ، إن شاء الله، حياةُ هذه اللّغة استمرارَ حياة البشَر المتوسّمين لآياتِ الله سبحانه في التّدوين والتكوين. وأظهرت الورقةُ قابليَّة اللّغة العربيَّة لأن تكون لُغة العِلْم تفكُّراً وتصوراً وتخيلاً وتعلّماً وتألّيفاً. وحدّدت الورقةُ خمسةَ مفهوماتٍ متداولة في هذا الزّمان للتعريب، وفصّلت القولَ في التعرّيب الفكريِّ للعلومِ الأساسيَّة والتطبيقيةِ الذي يعني، فيها، أنّ يفكّر العلماءُ والباحثون والخبراءُ العربُ المتخصّصون في هذه العلوم، ويتصوّروا ويتخيّلوا ويحاكموا، ويؤدّوا كلّ الأعمالِ العقليَّة المتّصلة بالابتكار والكشف والإبداع في هذه العلوم، بمنطق اللّغة العربيَّة وعقليّتها وبنيتها الدلاليَّة والتعبيريَّة. ثمّ بسطت القولَ في التعرّيب اللّغويِّ الذي يُراد منه اعتمادُ العربيَّة

لُغَةً لِلْعِلْمِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانَةِ وَالتَّدْرِيسِ فِي أَقْسَامِ الْعُلُومِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ فِي الْجَامِعَاتِ وَمِرَاكِزِ الْبَحْثِ وَالْمَخَابِرِ وَالْمَجَلَّاتِ، وَقَرَأَتْ شَيْئًا مِنْ أَدَبِيَّاتِ التَّجْرِبَةِ السُّورِيَّةِ فِي هَذَيْنِ التَّوَعِينِ مِنَ التَّعْرِيبِ؛ وَانْتَهَتْ فِي شَأْنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا إِلَى أَنَّ التَّعْبِيرَ اللَّغَوِيَّ الْعَرَبِيَّ يُولِّدُهُ التَّفَكِيرُ الْعَرَبِيُّ.

وَوَقَفْتُ الْوَرَقَةَ عِنْدَ ضَرُورَاتِ التَّعْرِيبِ الْمَعْنِيِّ، الَّتِي جَاءَتْ عِلْمِيَّةً تَمَثَّلُ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، فِي بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الْوَطْنِيَّةِ، الَّتِي تُحَدِّدُ إِمْكَانَاتِ الْوَاقِعِ وَتَرْبِطُ الْعِلْمَ وَالْبَحْثَ الْعِلْمِيَّ بِحَاجَاتِ الْمَجْتَمَعِ، وَفِي تَسْهِيلِ تَنْمِيَةِ الطَّاقَاتِ الْإِبْدَاعِيَّةِ لِأَبْنَاءِ الْوَطَنِ وَاسْتِثْمَارِهَا فِي الْخُدُودِ الْقُصُوصِ، وَفِي تَوْطِينِ الْعِلْمِ وَتَعْمِيمِ نَفْعِهِ. وَتَنَاوَلْتُ الْوَرَقَةَ ضَرُورَاتِ لُغَوِيَّةٍ لَتَّعْرِيبِ الْعُلُومِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ؛ إِذْ تَزْدَادُ الْعَرَبِيَّةُ بِالتَّعْرِيبِ غِنًى وَتَتَّسِعُ آفَاقُهَا وَتَغْدُو إِحْدَى لُغَاتِ الْعِلْمِ وَالتَّقَانَةِ، مِثْلَ كَثِيرٍ مِنْ لُغَاتِ الْأُمَّمِ الْمُتَقَدِّمَةِ الْيَوْمَ. وَعَاجَلْتُ الْوَرَقَةَ ضَرُورَاتِ قَوْمِيَّةٍ لَتَّعْرِيبِ، تُظْهِرُهُ عَامِلًا قَوِيًّا فِي بَلُورَةِ الْهُوِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ، وَتَنْمِيَةِ حَسِّ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى الْأُمَّةِ، وَالنَّفُورِ مِنَ التَّبَعِيَّةِ وَالْإِنْقِيَادِ لِلْأَجْنَبِيِّ. وَأَبْرَزْتُ الْوَرَقَةَ ضَرُورَاتِ اجْتِمَاعِيَّةٍ لَتَّعْرِيبِ تَجْعَلُ مِنْهُ أَدَاةً لِإِبْعَادِ إِحْسَاسِ اجْتِمَاعِيٍّ بَدُونِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَعَجْزِهَا عَنِ مَوَاكِبَةِ حَرَكَةِ التَّقَدُّمِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّقَانِيِّ الْعَالَمِيِّ. وَفِي مَجَالِ أَدَوَاتِ التَّعْرِيبِ، اقْتَرَحْتُ الْوَرَقَةَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْإِجْرَاءَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي لَا يُشَكُّ فِي أَنَّ تَطْبِيقَهَا التَّطْبِيقَ الصَّحِيحَ يُوَصِّلُ إِلَى التَّعْرِيبِ الْمَنْشُودِ.

وَمِنَ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ، التَّوْفِيقُ وَالتَّسْدِيدُ.

مصادرُ المادّة العلميّة المستشهد بها:

- ١- توشيهيكو إيزوتسو: المفهوماتُ الأخلاقيّة الدّينيّة في القرآن، ترجمة عيسى علي العاكوب، دار الملتقى في حلب، ٢٠٠٨م.
- ٢- الثعالبي (عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل، أبو منصور): فقهُ اللّغة وسرُّ العربيّة، تحقيق مصطفى السّقا وزميليّه، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ في القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- ٣- الرّاغب الأصفهانيّ: مفرداتُ ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم في دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ٤- سعيد حارب: التّعريب والتّعليمُ العالمي، جمعية حماية اللّغة العربيّة في الشّارقة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ٥- عبد الكريم خليفة: اللّغة العربيّة والتّعريب في العصر الحديث، دار الفرقان للنشر في عمّان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ٦- عمر أبو ريشة: ديوان عمر أبي ريشة، دار العودة في بيروت، ١٩٩٦م.
- ٧- قاسم سارة: التّعريب، جهود وآفاق، دار الهجرة في دمشق وبيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ٨ - مجموعة باحثين: ندوة التّعريب في التّعليم العالمي، وزارة التّعليم العالي السّوريّة، دمشق ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٩ - محمّد حسن عبد العزيز: التّعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربيّ في القاهرة، ١٩٩٠م.
- ١٠- محمود فوزي المناوي: أزمةُ التّعريب، مركز الأهرام للترجمة والنشر في القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

## الجهر والهمس عند سيبويه في ضوء الدرس الحديث

د. أحمد محمد قدور (\*)

قدّم سيبويه في درسه الصوتي، في باب الإدغام تعريفًا للجهر والهمس، فأحدث مشكلة يكتنفها الغموض لدى القدامى، ويَسْمُها الاختلاف لدى المحدثين. وليس مفيدًا إلا لغاية تاريخية الوقوف عند آراء القدامى في هذا الصدد، إذ اقتنع معظمهم بترديد عبارات سيبويه نفسها، أو بمحاولات شرحها من بعيد - ولذلك بقيت عبارات سيبويه على حالها من الغموض، إضافة إلى تداخل مفهومي الجهر والشدة عند بعضهم<sup>(١)</sup>. على أن بعض القدامى ذهب إلى

---

(\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) انظر: كلام المبرد في المقتضب، ٣٣٠/١، وابن جنبي، سرّ الصناعة، ٦٠/١، والزنجشري، الفصل مع شرح ابن يعيش، ١٢٨/١٠، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص ٥، وابن الحاجب، الشافية مع شرحها للأستراباذي، ٢٥٧/٣ - ٢٥٩، وابن عصفور، الممتع، ٦٧١/٢ - ٦٧٢، وانظر: مكّي القيسي، كتاب الرعاية، ص ٩٢، والحمد، شرح المقدمة الجزرية، ص ٢٨٦ - ٢٩٢.

رأي يجعل الجهر مساوياً لقوة التصويت، على حين أن الهمس يعادل ضَعْفَهُ. أما سائر مفردات سيبويه في هذا الموضوع فبقي على حاله من غير شرح مقنع كما تقدّمت الإشارة.

والمجهور عند سيبويه: «حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النَّفْسَ أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد (عليه) ويجري الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة. والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخلَّ بهما». وأما المهموس عنده «فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه»<sup>(٢)</sup>.

وقد ناقش المستشرقون المهتمون بالدراسات اللغوية مفهوم الجهر والهمس عند سيبويه اعتماداً على المفهوم السائد عندهم، وهو أن الجهر صفة للصوت الذي ترافقه ذبذبة في الوترين الصوتيين، وأن الهمس عكسه، أي هو صفة للصوت الذي لا يتذبذب معه الوتران. ورأى هؤلاء أن الأصوات التي عدّها سيبويه مجهورة صحيحة بحسب المفهوم الغربي للجهر القائم أساساً على ذبذبة الوترين ماعداً ثلاثة أصوات يبدو أن تطوراً طرأ على نطقها، هي الهمزة والقاف والطاء. ومع أن القدامى - ومنهم سيبويه - لم يعرفوا الوترين أصلاً، فإنه يمكن

(٢) انظر: الكتاب، ٤/ ٤٣٤.

- كما يقول كانتينو - التفتن إلى المقابلة بين المجهورة والمهموسة تفتنًا دقيقًا جدًا بدون معرفة سببها الحقيقي<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا المبدأ سار إبراهيم أنيس مفسرًا كلام سيوييه في تعريفه الجهر في باب الإدغام بأنه أثر لاهتزاز الوترين الصوتيين. من ذلك قوله: « ويظان يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد»، و « الذي لم يكن يعرفه سيوييه هو أن الإخفاء معناه إسكات الذبذبات التي تحدث مع كل مجهور في الوترين الصوتيين بالحَنَجْرَة. ومتى سكتت أو انقطعت تلك الذبذبات انقلب المجهور إلى نظيره المهموس». و«وليس للاعتماد معنى في كلام سيوييه سوى عملية إصدار الصوت». و «لأمر ما عبّر سيوييه بقوله: « أشبع الاعتماد في موضعه، ولم يقل في مخرجه، لأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج. فكلمة الموضع هنا هي ما عبّرنا عنه في هذا الكتاب بالمجرى، وفرّقنا بينه وبين المخرج»<sup>(٤)</sup>.

وينبغي الردّ على ما أتى به إبراهيم أنيس على هذا النحو:

أولاً: جعل «الاعتماد» مساويًا لذبذبة الوترين، وهذا غير صحيح، بل ليس عليه دليل من كلام سيوييه.

---

(٣) انظر: كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص ٣٤ - ٣٥، وقارن بما ورد في الحاشية

رقم (١٦) من هذا البحث.

(٤) انظر: أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١٢٦، ١٣٢، ١٢٥ على التوالي.

ثانيًا: ذكر أن إسكات الذبذبات يجعل الصوت المجهور مهموسًا، وهو رأي قديم نسخته الدراسات المعاصرة، كما سنذكر لاحقًا.

ثالثًا: فسّر «الاعتقاد» مرة أخرى بأنه عملية إصدار الأصوات من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي. وليس على ذلك دليل من كلام سيبويه الذي جعل الاعتقاد في الحلق والفم والخياشيم دون غيرها من أعضاء النطق ومواضعه.

رابعًا: وفسّر مصطلح «الموضع» الوارد لدى سيبويه بالمجرى. وهذا تفسير بعيد، لأن سيبويه فرّق بين الموضع والمخرج عن قصد ووعي. فالجهر يظهر - كما يبدو من كلامه - في موضع الحرف (منطقته) لاني مخرجه أو مجراه. لأن المخرج أصغر من الموضع، وهو مشغول بإغلاق مجرى الهواء أو تضيقه. ولا عبرة بما قيل من أن سيبويه عبّر بالموضع عن المخرج في كثير من الأمثلة، لأن السياق هو الذي يحدّد المقصود. وقد تتبعت كلّ الأمثلة التي ذكر فيها «الموضع» في باب الإدغام فوجدت أنه يصعب بيان المقصود دون الاحتكام إلى السياق وحده. أما ظهور الجهر في «المجرى» وفق أنيس، أي طريق التنفس من الرئتين إلى الخارج فلا معنى له.

خامسًا: فسّر عبارة «منع النفس» الواردة في تعريف المجهور عند سيبويه، بأنها تدل على اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس، كما يقول<sup>(٥)</sup>. وهذا تفسير بعيد، لأن منع النفس لا يكون على

(٥) انظر: السابق، ص ١٢٥.

مستوى الوترين في الحنجرة - كما يبدو لنا- ولكن على مستوى موضع الحرف (مكانه من جهاز النطق) بسبب استثمار قوّة التصويت التي تعادل (إشباع الاعتماد بالحصر) للهواء وتعويق خروجه.

ويخلص أنيس إلى أنه «دلت تجارب المحدثين على أن سيبويه قد عنى بالمجهور ذلك الصوت الذي يتذبذب معه الوتران الصوتيان في الحنجرة، أي (Voiced)، وأن المهموس هو الذي يصمتان معه، أي (Voiceless)»<sup>(٦)</sup>.

أما تمام حسّان فنفي أن يكون تعريف سيبويه للجهر والهمس موافقاً لمفهوم المحدثين القائم على وظيفة الوترين الصوتيين، لأن سيبويه - كما يقول- لم يكن يعرف هذه الوظيفة، بل لم يكن يعرف تركيب الحنجرة بدليل تسميته إياها أقصى الحلق<sup>(٧)</sup>. ولذلك راح الدكتور حسّان يفسّر تعريف سيبويه بمعزل عن تلك الوظيفة. وخلاصة رأيه هي أن منشأ الاعتماد (الضغط، كما يرى) وموضعه هو الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتين لإفراغ مافيهما من هواء. وهو -أي الاعتماد- واقع على مخرج الحرف حيث ينطق. فالجهر إذن نتيجة لإشباع الاعتماد (تقوية الضغط)، كما أن الهمس نتيجة لإضعافه (إزالة التقوية). وسيبويه -كما يرى حسّان- مع إحساسه بهذا الضغط (الاعتماد) لم يكن يعرف مصدره، ولا

---

(٦) انظر: أنيس، «جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية» مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج(١٥) لعام ١٩٦٢، ص ٤٣.

(٧) انظر: تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٦٢.

طريقته، ومن ثم يكون الربط بين هذا وبين الحجاب الحاجز تفسيرا نحن للظاهرة، وليس تفسير سيويه<sup>(٨)</sup>. ويبدو أن منطلق الدكتور حسان صحيح، وأن فهمه لمعظم عبارات سيويه سديد، غير أن تفسيره الجهر بأنه أثر لضغط الحجاب الحاجز بعيد كما نقدر.

وينبغي أن نتوقف عند مصطلح «صوت الصدر» لأنه وإن لم يرد في تضايف تعريف سيويه للجهر في باب الإدغام استأثر باهتمام بعض الدارسين الذين رأوا أن فيه إيضاحاً لما غمض من كلام سيويه. فقد نقل إبراهيم أنيس وهنري فليش نصاً من شرح السيرافي لكتاب سيويه، يذكر فيه صراحة أن سيويه فرّق بين المجهور والمهموس عن طريق صوت الصدر الذي يرافق المجهورة، ولا يرافق المهموسة من الحروف. لأن المهموسة تخرج أصواتها من مخارجها في الفم، وصوت الفم وحده هو الذي يبرزها، وهي ضعيفة وقابلة للإخفاء دون أن يضيع من خصائصها شيء. أما المجهورة فلا تكتمل إلا إذا رافقها صوت الصدر<sup>(٩)</sup>. وقد علق أنيس وفليش على النص المشار إليه بما يفيد أن «صوت الصدر» هو صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة. وموجز القول: «أن الفرق بين المهموسة والمجهورة هو «صوت

(٨) انظر: السابق، ص ٦٠ - ٦٢.

(٩) انظر: أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١٢١ - ١٢٢، وفليش، العربية الفصحى، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت ١٩٨٣، ص ١٩٨ - ٢٠١.

الصدر» غائب في الأولى- المهموسة- موجود ضرورة في الثانية بسبب ارتفاع الصوت. وهكذا استطاع سيبويه أن يشير بوضوح شديد، وبما كان يملك من وسائل التحليل، إلى ما كان يجهله من دور الحنجرة، وهو ما نطلق عليه الجهر<sup>(١٠)</sup>. ويشار في هذا الصدد إلى أن الأسترابادي وابن يعيش ذكرا في أثناء شرحهما للجهر ما يدل على اطلاعهما على مفهوم صوت الصدر، وجعله معياراً للفصل بين المجهور والمهموس<sup>(١١)</sup>.

وذكر سيبويه في الكتاب، ولكن في موضع متقدم على باب الإدغام «صوت الصدر» في تضاعيف حديثه عن الحروف المشربة. والمشربة عنده قسمان، قسم أُشْرِبَ صُويْتًا، هو صوت يحدث مع حروف القلقله، لأنك «لا تستطيع أن تقف إلا مع الصوت، لشدة ضغط الحرف. وبعض العرب أشدَّ صوتًا، كأنهم الذين يرومون الحركة». وقسم أُشْرِبَ «صوت الصدر»، وهو الذي يرافق حروف النفخ، وهي لم تضغط ضغط الأولى. لكنها حين تخرج بصوت الصدر ينسل آخره وقد فتر من بين الثنايا، لأنه يجد منفذًا، فتسمع نحو النفخة. أما الحروف المهموسة فكلُّها - كما يقول - تقف عندها مع نفخ، لأنهن يخرجن مع التنفس لاصوت الصدر. أما اللام والنون والميم والعين والغين والهزمة فليست من

(١٠) انظر: أنيس، ص ١٢٢، وفليش، ص ٢٠٠، والكلام المقبوس له.

(١١) انظر: شرح الشافية للأسترابادي، ٣/٢٥٨ - ٢٥٩، وشرح المفصل لابن يعيش،

ذنيك القسمين، إذ لا تسمع بعدها في الوقف شيئاً مما ذكر، لأنها لم تضغط ضغط القاف (وأخواتها)، ولا تجد منفذاً، كما وجد في الحروف الأربعة (حروف النفخ) مع الراء. والصحيح هنا هو أن هذه الحروف ليست مشربة<sup>(١٢)</sup>. ويرى غانم قدوري الحمد أنه يترجح من سياق النص أن المقصود بالحروف المشربة هي حروف الجهر، لأنها أشربت صوت الصدر، في مقابل الحروف المهموسة. غير أن سيبويه لم يذكر «المشربة» في سياق تعريفه المجهور في باب الإدغام<sup>(١٣)</sup>. وسبويه لم يذكر إشراب صوت الصدر إلا لحروف النفخ الأربعة، وهي الزاي والذال والضاد والطاء، ثم ألحق بها الراء بعد ذلك. أما أصوات القلقلة فلم يرد فيها صوت الصدر أصلاً. ولذلك يبقى استنتاج الحمد ناقصاً، ولا يصحح إلا على حروف النفخ دون غيرها مما ورد لدى سيبويه. لكننا إذا عددنا ماورد من حروف ضمن «القلقلة»، وهي حروف «قطب جد»، وما ورد من حروف النفخ الأربعة المذكورة آنفاً مع الراء، فهي جميعاً تقع ضمن المجهورات. أما المهموسة التي أشار إليها سيبويه في هذا الموضع فالمراد منها التفريق بين النفخ مع تلك الحروف التي تخرج بصوت الصدر من جهة، والنفخ مع هذه الحروف المهموسة من جهة أخرى. إذ إن النفخ مع المهموسة عام، لأنها تخرج مع التنفس أصلاً.

---

(١٢) انظر: الكتاب، ٤/١٧٤ - ١٧٥. وجاء في الكتاب عن القسم الأخير أنها مشربة في طبعة هارون وبولاق. والسياق يدل على أنها لم تشرب شيئاً. انظر: ط. هارون،

٤/١٧٥ وط. بولاق، ٢/٢٨٤.

(١٣) انظر: الحمد، شرح المقدمة الجزرية، ص ٢٩٠.

ومهما يكن من أمر فإن فهم «صوت الصدر» على أنه صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين شيء مختلف عن فهم تعريف المجهور والمهموس لدى سيبويه في باب الإدغام، إذ لا يمكن تجنب ذلك التعريف الشائك باللجوء إلى بعض النصوص التي لم يكن تحديد الجهر مقصودًا فيها على النحو الوارد في باب الإدغام<sup>(١٤)</sup>. على أنه لا يمنع أن يفهم من صوت الصدر أثر ما، أو صدى لحركة الوترين نحسّ به لقوته، وكأنه نبرة تخرج باجتهاد ترافق بعض الحروف ولا ترافق بعضها الآخر.

وبناءً على ما تقدّم كلّه نرى ضرورة الفصل بين تعريف سيبويه الوارد في باب الإدغام من جهة، وكلامه وما نقل عنه في مواضع أخرى تتحدث عن صوت الصدر من جهة أخرى. ولذلك نرى أن ما ذهب إليه تمام حسّان صحيح، إذ صوّب اهتمامه نحو فهم تعريف سيبويه نفسه، لا توجيهه من خارجه. والخلاصة هي أنّ الاستعانة بصوت الصدر لفهم تعريف سيبويه لا تحلّ المشكلة المتولّدة من غموضه أصلًا.

ورأى كانتينو أن تحديد الجهر والهمس تحديد غامض يمكن التناقش في معناه. وقد قبل بعض الغربيين فهم المجهور والمهموس على أساس «نزير» الوترين الصوتيين، على حين شكّ بعضهم الآخر في صحة هذا الفهم، لأن

---

(١٤) انظر: أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١٢٣، وعبدالصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ط. أولى ١٩٨٧، مطبعة المدني، ص ٢٠٢، وغانم الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ١٣١.

سيبويه وعلماء الأصوات العرب جهلوا الدور المضبوط الذي يقوم به الوتران. ولذلك راح آخرون يفسرون الجهر بمعنى «القوة»، والهمس بمعنى «الضعف» أو «الخفة» كبرافمان (Bravmann)، أو يفسرون الجهر بالضغط، فالمجهورة حروف مضغوطة (présesés)، والمهموسة حروف غير مضغوطة (non présesés) وهو ماذهب إليه كانتينو، وردّ عليه فليش<sup>(١٥)</sup>. ويمكن قبول الرأي الذي يذهب إلى أن المقصود من الجهر الوارد في باب الإدغام هو الوضوح السمعي أو مايعادل مصطلح (Éclatante)، أي رتّان، وأن المقصود من الهمس هو مالا وضوح سمعيًا معه، أي مايعادل مصطلح (Étouffée)، أي مخنوق. وهذا مبني على معيار سمعي، أي يتعلق بالأثر الأكستستيكي الذي تشعر به الأذن عند سماع الصوت المجهور مقارنة بالصوت المهموس<sup>(١٦)</sup>. إذن فليس من الضرورة أن يفهم الجهر والهمس اعتمادًا على حركة الوترين وحدهما، أو بمعزل عن الأثر السمعي الذي يتجلى في رفع الصوت ووضوحه مع المجهور، وضعف ذلك مع المهموس.

إن علماء الأصوات المعاصرين أصبحوا أكثر إدراكًا منذ عقود من الزمان للحاجة إلى بيان معايير نطقية للجهر لا تتوقف على حركة الوترين الصوتيين.

---

(١٥) انظر: كانتينو، ص ٣٤، وقارن بفليش، دراسة في أصوات العربية (بالفرنسية)،

ص ٢٣٣.

(١٦) انظر: كانتينو، ص ٣٤.

وتحظى أنواع التصويت باهتمام كبير يتجلى باستعمال الآلات والمناظير وأجهزة التصوير ونحوها، لمراقبة الحنجرة والمجرى الصوتي بكماله<sup>(١٧)</sup>. ومنذ زمن ليس بالقليل كان هناك تنبه إلى وجود ذبذبات غير حنجرية تحدث نتيجة احتكاك الهواء بالأعضاء الصوتية عند خروجه من الفم أو الأنف<sup>(١٨)</sup>. وسعيًا إلى إيضاح مفهوم الجهر قدّم عبدالرحمن الحاج صالح (١٩٧١م) مساهمة في علم الأصوات التجريبي شرح فيها - بعد التجربة - آلية الجهر، ورأى أنه يقوم على أمرين، هما:

أ- حركة المزمار (الفرجة بين الوترين).

ب- تخفيض الامتصاصات الجدارية.

ويخلص الحاج صالح إلى أن جدران التجويف الحلقومي والفموي التي يكسوها الغشاء المخاطي تستطيل (تنبسط) ويعتريها شدّ قابل لإحداث رنين. إن توتر الغشاء يقلص إلى حدّ ما امتصاصات الطاقة الصوتية، ويزيد بالنتيجة رنين التجاويف (الفراغات). فالرنين الخاص بالمجهورات - إضافة إلى الذبذبات الحنجرية - هو هذا الجرس المميز الذي ينجم عن زيادة مرونة الجدران<sup>(١٩)</sup>.

---

(١٧) انظر: الموسوعة اللغوية، تحرير كولنج، ترجمة محيي الدين حميدي وعبدالله الحميدان، جامعة الملك سعود بالرياض ١٤٢١هـ، مج ١/١٦ - ١٧.

(١٨) انظر: عبدالرحمن أيوب، أصوات اللغة، مكتبة الشباب بالقاهرة، ط. أولى ١٩٦٣، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(١٩) انظر: عبدالرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ٢٠٠٧، ص ٢٧ - ٣٣ من النص الفرنسي آخر الكتاب.

وقدمت جلوريا بوردين (G. J. Borden)، وكاثرين هاريس (K. S. Harris) تحليلاً متكاملًا لدلائل تمييز المجهور من اللامجهور (كذا في الترجمة) يقوم على مايلي:

١- ذبذبة الوترين.

٢- التنفّس.

٣- التردد الأول (هرتز) F<sub>1</sub>

٤- فترة الصمت.

٥- فترة الصائت السابق.

ويامكان الراغب أن يرجع إلى ماقدّمته الباحثان من شروح في كتابها (أساسيات علم الكلام) الذي يضم خلاصة لعدد من تجاربها في مختبرات هاسكنز في الولايات المتحدة<sup>(٢٠)</sup>. وخلاصة الأمر عندهما هو أن الدلائل السمعية لإجهاز الصوامت تعتمد على الآماد النسبية، وتوقيت الحوادث أكثر من اعتمادها على التردد، أو الفروق في الشدة. إن القدرة على تبيّن تمييز متعلق بالجهر على الرغم من غياب ذبذبة الوترين تشير إلى أن التوقيت دليل مهم في إدراك المجهور وغير المجهور في عدة طرق مختلفة. وإذا نحى عمل الوترين جانبًا، فإن الملاحظ هو أن أمد التصويت إذا كان قصيرًا سمع الصوت مجهورًا،

---

(٢٠) انظر: بوردين وهاريس، أساسيات علم الكلام، ترجمة محيي الدين حميدي، دار الشرق

العربي، حلب، بيروت، د.ت.

والعكس صحيح. ولكن الأهم هو أن المجرى الصوتي فوق الحنجري مرنان متغيّر ومصدر صوتي. وهو يضم كل الممرات الهوائية فوق الحنجرة. والفجوات المرنانية الكبيرة، هي: الفجوة البلعومية، والفجوة الفموية، والفجوة الأنفية عندما تكون مفتوحة. والمجرى الصوتي يغيّر شكله وحجمه، ومن ثم يغيّر تردداته الرنينية مع كل صوت. ويطلق على هذه الترددات الرنينية (الرنين غير الدوري) مقابل الرنين الدوري (periodic) الذي يحدث بفواصل زمنية متساوية، ومصدره الحنجرة.

وهكذا يتبين من عمل الباحثين بوردن وهاريس أن رنين المجرى الصوتي يجتمع مع ذبذبة الوترين، إضافة إلى عوامل صوتية أخرى، لإصدار الصوامت المجهورة. وبذلك يكون هناك مصدران لهذه الأصوات، أحدهما في الحنجرة، والآخر في المجرى الصوتي الذي هو دائماً مرنان. ولذلك بات المجهور يوصف بأنه مزيج من الرنين الدوري (في الحنجرة)، واللا دوري (في المجرى الصوتي). أما في الصوامت غير المجهورة فإن الوترين يفتحان على نحو واسع كي نحصل على حجم كافٍ من هواء الرتتين لإيجاد الضوضاء أو الضجيج المطلوب في المجرى الصوتي لإحداث هذه الأصوات التي لها مصدر واحد، هو المجرى الصوتي فوق الحنجري<sup>(٢١)</sup>.

---

(٢١) انظر: السابق، ص ١٧١، ٣٣٠-٣٣٤.

ونخلص بناءً على ماتقدم إلى أن تفسير تعريف سيبويه للمجهور في باب الإدغام ينبغي أن ينطلق من هذا التطور في فهم آلية الجهر، ولا سيما مايتصل برنين المجرى الصوتي، وتأكيد إمكان الجهر من غير ذبذبة الوترين<sup>(٢٢)</sup>. أما «صوت الصدر» الوارد في مكان آخر من كتابه - كما سبقت الإشارات - فلا بأس من أن يؤول بأنه صوت يدل على نبر ناتج عن حركة الوترين التي يتردد رنينها وصدائها في الحنجرة والرغامى ويوحى بدءاً أنه في الصدر بحسب معارف القوم عصرئذ.

وهكذا نستطيع تفسير تعريف سيبويه للمجهور مقتصرين عليه نفسه. فسيبويه - كما نقدر - فهم بما أوتي من دقة وإرهاب أن هناك قوة في التصويت ترافق المجهور نتيجة لحصر الهواء في الحلق أو الفم أو الأنف. إن هذه الحالة «المسموعة» بوضوح تسببها الذبذبات غير الحنجرية على نحو ما فهمنا من كلام عبدالرحمن الحاج صالح وجلوريا بوردن وكاثرين هاريس. ولذلك نرى أن سيبويه لم يقصد هنا - في تعريفه - أي أثر لنبر صادر من موضع الحنجرة أو الصدر. بل كان واضحاً أن هذه العملية تحدث في الحلق والفم والخياشيم نصاً من غير داعٍ إلى استنتاج وحيٍّ لأعناق العبارات، كما فعل تمام حسان، على غير ما عرف عنه من دقة في الاستنباط<sup>(٢٣)</sup>. وإذا كان ضرورياً الرجوع إلى مفردات تعريف سيبويه لشرحها في ضوء تحليلنا، فإن قوله: «حرف أشبع الاعتماد في

(٢٢) انظر: السابق، ص ٣٣٣.

(٢٣) انظر: من هذا النحو، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٦١ - ٦٢.

موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة...»<sup>(٢٤)</sup>. إن هذا القول: «الاعتماد في موضعه»، و«يعتمد لهما» - وهو من أعقد الدلالات عند الدارسين - يدل على اتكاء الناطق على منطقة الحرف لا مخرجه بالحصر والتضييق. أما «أشبع» فهي بمعنى زيد. فليس لإشباع الاعتماد إلا أن يدلّ على زيادة القصد والاتكاء والاتكال على موضع الحرف بالحصر. على حين أن المهموس لا يشهد مثل هذه الزيادة، ولكن قصد الاعتماد موجود، ولا بدّ منه. فالاعتماد هو قصد التصويت في موضع الحرف لا في مخرجه، وهو ناتج عن الحصر، بدليل شرحه للاعتماد في الفم والخياشيم القائم على الحصر وتوليد الغنة، وهي من صفات القوة. أما سائر عبارات التعريف فأمرها أهون ممّا تقدّم بكثير، على أن يفهم «منع النفس» على مستوى المجرى الصوتي فوق الحنجري ضرورة. ولا بد أن يكون هذا الحصر مختلفاً عن حالة الشدة التي يكون معها منع للصوت بتامه من الظهور، إلا بعد انفراج العضوين الحاصرين على مستوى درجات الانفتاح في المخرج.

ويمكن استناداً إلى ماتقدم كلاً أن نخلص إلى أن سيبويه فهم الجهر بمعزل عن أي إيجاء بصوت اهتزاز الوترين، إذ حصر الجهر في الحلق والفم والأنف، أي في المجرى الصوتي فوق الحنجري عن طريق الملاحظة النطقية العملية التي

---

(٢٤) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٤.

تفضي إلى تلقي أثر سمعي واضح. على أن هذا الاستنتاج لا يمنع ألبتة أن يكون سيوييه قد أحسّ بأثر اهتزاز الوترين في ملاحظات نطقية أخرى ضمّنها مواضع من كتابه، ربما جعلها معيارًا عمليًا للفصل بين المجهور والمهموس. وإذا كانت الأمور تتميز بأضدادها، فإنّ تعريفًا للهمس ورد في لسان العرب يكاد يوضح طرفي مفهوم الجهر: «صوت الصدر» ورنين المجرى الصوتي. فالهمس: الكلام الخفي لا يكاد يفهم، ومنه الحديث: كان إذا صلى العصر همس.. وقال شمر: الهمس من الصوت والكلام مالا غور له في الصدر، وهو ما همس في الفم... والهمس والهميس: حسّ الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهازة في المنطق، ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر.. وتهامس القوم: تساروا<sup>(٢٥)</sup>. إذن فالجهر له عنصران مترابطان هنا، هما صوت الصدر، والجهازة في المنطق، ولا شك في أن تعريف سيوييه كان يصف لنا الجهازة في المنطق من خلال آليات النطق. وإذا صحّ ما انتهينا إليه جملة، ولقي قبول الدارسين، كان سببًا لكشف ما غمض من كلام سيوييه على مدى قرون متتالية، وسبقًا يضاف إلى درسه الصوتي الفذّ الذي أحيا به علم الخليل وحفظه للأجيال بهذه الصورة العلمية الرصينة.

---

(٢٥) انظر: لسان العرب، دار صادر، بيروت (مادة همس) ٦/٢٥٠ - ٢٥١، وقد نبه الدكتور غانم قدوري الحمد إلى هذا الموضوع، انظر: شرح المقدمة الجزرية، ص ٢٩١. ويشار إلى أن ابن منظور لم يشر إلى هذا النص في مادة «جهر»، مع أنه نقل نصّ سيوييه بشأن الحروف المجهورة. انظر: اللسان (مادة جهر)، ٤/١٤٩ - ١٥٣.

## أ- الكتب

- ١- ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هندراوي، دار القلم، دمشق ١٩٨٥م.
- ٢- ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسّان الطيان ويحيى مير علم، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣م.
- ٣- ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب ١٩٧٠م.
- ٤- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٥- ابن يعيش، شرح كتاب المفصل للزمخشري، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت.
- ٦- الأستراباذي، شرح الشافية لابن الحاجب مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادى، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦هـ.
- ٧- الأندلسي، أبو حيّان، تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.
- ٨- الأنصاري، زكريا، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق نسيب نشاوي، دار المكتبي بدمشق ١٩٩٥.
- ٩- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. رابعة ١٩٧١م.

- ١٠- أيوب، عبدالرحمن، أصوات اللغة، مكتبة الشباب بالقاهرة ١٩٦٣م.
- ١١- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، نشر رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض ١٩٨٢م.
- ١٢- بشر، كمال محمد، علم اللغة العام «الأصوات»، دار المعارف بمصر، ط. سابعة ١٩٨٠م.
- ١٣- بوردن، جلوريا، وهاريس، كاثرين، أساسيات علم الكلام، ترجمة محيي الدين حميدي، دار الشرق العربي، بيروت وحلب، د. ت.
- ١٤- الحاج صالح، عبدالرحمن، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ٢٠٠٧م.
- ١٥- حسّان، تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة بالدار البيضاء ١٩٧٩م.
- ١٦- اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ثانية ١٩٧٩م.
- ١٧- الحمد، غانم قدّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجديد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد ١٩٨٦م.
- ١٨- شرح المقدمة الجزرية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدّة ٢٠٠٨م.
- ١٩- الخضر اليزدي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق حسن أحمد العثمان، مؤسسة الريان، بيروت ٢٠٠٨م.
- ٢٠- الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٥م.

- ٢١- روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم (٢٢٧)، تشرين الثاني لعام ١٩٩٧م.
- ٢٢- الزجاجي، كتاب الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة بيروت، ودار الأمل بإربد، ط. رابعة ١٩٨٨م.
- ٢٣- السكاكي، كتاب مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧هـ.
- ٢٤- سيوييه، الكتاب، طبعة بولاق بمصر ١٣١٧هـ.
- ٢٥- الكتاب، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- ٢٦- السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي بمصر، د.ت.
- ٢٧- شاهين، عبد الصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مطبعة المدني ١٩٨٧م.
- ٢٨- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. ثانية ١٩٨٥م.
- ٢٩- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم بإيران ١٤٠٥هـ.
- ٣٠- فليش، هنري، العربية الفصحى، تعريب وتحقيق عبدالصبور شاهين، دار المشرق، بيروت ١٩٨٣م.
- ٣١- قَدَّور، أحمد محمد، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، ط. ثانية، دار الفكر بدمشق ٢٠٠٣م.

- ٣٢- مبادئ اللسانيات، ط. ثالثة، دار الفكر بدمشق ٢٠٠٨ م.
- ٣٣- كاتنينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرماضي، الجامعة التونسية ١٩٦٦ م.
- ٣٤- كولنج، الموسوعة اللغوية، ترجمة محيي الدين حميدي وعبدالله الحميدان، جامعة الملك سعود بالرياض ١٤٢١ هـ.
- ٣٥- المبرّد، المقتضب، تحقيق محمد عبدخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٩ هـ.
- ٣٦- مكّي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار المعارف بدمشق ١٩٧٣ م.
- ٣٧- موان، جورج، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، جامعة حلب ١٩٨٢ م.
- ب- الدوريات
- ١- أنيس، إبراهيم، «جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج (١٥)، لعام ١٩٦٢ م.
- ٢- الزليطني، محمد لطفي، «ظاهرة الحرف عند اللغويين العرب القدماء»، مجلة المعجمية العربية، تونس، العدد (٢) لعام ١٩٨٦ م.

## منهج الشريشي في شرحه لمقامات الحريري

د. منار عبد الهادي(\*)

في مطلع القرن السادس الهجري شهد الأدب العربي ولادةً تُحفِّةً فنيّةً جديدةً، أُضيفت إلى نفاثسه وذخائره، تلك هي مقامات الحريري، التي تُعدُّ أهمَّ كتاب ألفه الحريري، وإليها يُعزى كلُّ ما جناه صاحبها من شهرة وفضل في مجال التأليف. ونظرًا لأهمية المقامات وإقبال الناس عليها فقد تناولها العلماء بالشرح والتحليل، واندفعوا يتنافسون في توضيح غوامضها والغوص في أساليبها ومعانيها. وقد أوردَ حاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون» أسماء العلماء الذين شرحوا المقامات، كما ذكر بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» أسماء المخطوطات لتلك الشروح، وأماكن وجودها في مكتبات العالم. وقد وصل عدد الشروح التي ذكرها كل من حاجي خليفة وبروكلمان إلى سبعة وأربعين شرحًا، إضافةً إلى تعليقات ابن الحشّاب وابن برّي.<sup>(١)</sup>

---

(\*) باحثة في الأدب والتراث من سورية.

(١) كشف الظنون ص ١٧٨٧ - ١٧٩١ وبروكلمان ١٤٧:٥ - ١٥٠.

وتلك الشروح ما تزال مخطوطة، ولم يُطبع منها سوى «شرح غريب المقامات الحريرية» للعكبري (ت ٦١٦هـ) بتحقيق محمد رجب ديب<sup>(٢)</sup>، و«شرح مقامات الحريري» للشريشي (ت ٦١٩هـ) بتحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. ولعل الحديث عن المنهج الذي سار عليه الشريشي في شرحه يحتاج إلى التعريف أولاً بالحريري ومقاماته، لأن خصوصية المقامات فرضت على الشارح منهجاً متميّزاً عن الشروح الأخرى للنصوص الأدبية. أولاً - الحريري ومقاماته:

هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري. نشأ في قرية قريبة من البصرة تُسمّى «المشان» سنة (٤٤٦هـ)، وسكن البصرة في محلّة بني حرام. عُرف بالذكاء والفطنة وحُسن السيرة، واتصل بأكابر علماء عصره، فأخذ عنهم الفقه والحديث واللغة والأدب، وأمضى حياته متنقلاً بين المشان والبصرة وبغداد، وتوفي في البصرة سنة (٥١٦هـ).<sup>(١)</sup>

والمقامات في أصل اللغة: جمع مقامة، وهي اسم للمجلس والجماعة من الناس. ثم أُطلق على الأحداث من الكلام، لأنها تُذكر في مجلس واحد، يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها.<sup>(١)</sup>

---

(٢) نُشر هذا الكتاب أيضاً بعنوان: شرح الألفاظ اللغوية من المقامات الحريرية، للعكبري،

في دار سعد الدين بدمشق ٢٠٠٥، بتحقيق الدكتور ناصر حسين علي. [المجلة].

(٣) يُنظر معجم الأدباء ٦: ١٩٥ ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤: ٦٤.

(٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ١٤: ١٢٤.

والمقامات أقاصيص قصيرة، تحكي مغامرات أديب ظريف يتنقل بين البلدان، ويحتال بفصاحته الأدبية على الناس، فيصطاد الأموال ثم ينصرف إلى حيلة أخرى. ولهذا البطل راوية يشهد موافقه، ويرصد أخباره، ويروي ذلك للناس. ويجمع العلماء على أن أول من تصدّى لهذا الفن هو بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ).<sup>(١)</sup> وكان الغرض من تأليفه للمقامات تعليمياً، إذ أراد من خلالها أن يقدم للناشئة والمتعلمين ألفاظ اللغة، وأساليب استعمالها، وطرق تأليفها، في قالب الفكاهة والتسلية.

وقد انتشرت مقامات البديع في أصقاع العالم الإسلامي، في مدة يسيرة. ولقيت من العلماء قبولاً واستحساناً. فراح بعضهم يحاول أن ينسج على منوالها، لكن المحاولات كانت متواضعة، إلى أن جاء الحريري (ت ٥١٦هـ)، فأنشأ مقاماته الخمسين المشهورة، فجاءت نهاية في الحُسن، وأتت على الجزء الوافر من الحظ، وأقبل عليها الخاصّ والعام، حتى أنست مقامات البديع، وصيرتها كالمرفوضة<sup>(٢)</sup>. فالحريري إذن وصل بمقاماته إلى ذروة هذا الفن. وقد تحدّث عن القيمة الفنية واللغوية لمقاماته بقوله: «فأنشأت خمسين مقامةً، تحتوي على جدّ القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودُرره، ومُلح الأدب ونوادره، إلى ما وشحّتها به من الآيات، ومحاسن الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العربيّة،

---

(٥) صبح الأعشى ١٤: ١٢٥.

(٦) صبح الأعشى ١٤: ١٢٥.

واللِّطَائِفُ الْأَدَبِيَّةُ، وَالْأَحَاجِي النَّحْوِيَّةُ، وَالْفَتَاوَى اللَّغَوِيَّةُ، وَالرَّسَائِلُ الْمُبْتَكَّرَةُ، وَالْحُطْبُ الْمُحَبَّرَةُ، وَالْمَوَاعِظُ الْمُبْكِيَّةُ، وَالْأَضْحَاكُ الْمُلْهِيَّةُ، مِمَّا أَمَلَيْتُ جَمِيعَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ، وَأَسْنَدْتُ رَوَايَتَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامِ الْبَصْرِيِّ<sup>(١)</sup>.  
فالمقامات إذن تحفة فنيّة تستمدُّ قيمتها ممّا تضمّنته من مباحث جديدة، وأساليب مُبتكّرة، ومسائل لغوية هامة، وأمثال راسخة، وخطبٍ بليغة، وتحليلات نفسية عميقة لشخصية البطل، إضافة إلى احتوائها على كمّ هائل من الألفاظ، إذ تميّز أسلوب الحريري بالابتعاد عن التكرار، وهذا أدّى إلى اتّساع المعجم اللفظي، كما أدّى إلى اتّساع الأساليب التعبيرية، فالحريري مثلاً في كل مرة يحتاج إلى أن يقول: «فلما حان وقتُ الصُّبح» نجده يُعبّر عن هذا المعنى بغير عبارته الأولى، فتارة يقول: «فلما لاح ابنُ ذُكّاء، وأحُفَّ الجوّ الضّياء»،<sup>(١)</sup> وتارة يقول: «إلى أن أظلَّ التّنويرُ، وجشَّ الصُّبحُ المُنيرُ»،<sup>(٩)</sup> وتارة يقول: «حتّى إذا لألأ الأُفقَ ذنبُ السَّرحان، وأنّ انبلاجُ الفجرِ وحان»،<sup>(١٠)</sup> وحيناً يقول: «فلما قضى الليلُ نحبّه، وعوّرَ الصُّبحُ شُهبه»،<sup>(١١)</sup> وتارة يقول: «إلى أن عطسَ أنفُ الصُّباح،

(٧) الحريري: مقاماته ص ٦ - ٧.

(٨) الحريري ص ٣٧.

(٩) الحريري ص ٤٧.

(١٠) الحريري ص ٩٥.

(١١) الحريري ص ١٣٩.

ولاح داعي الفلاح»<sup>(١)</sup>، وتارة يقول: «فلَمَّا بَلَغَ اللَّيْلُ غَايَتَهُ، وَرَفَعَ الْفَجْرُ رَايَتَهُ»<sup>(٢)</sup>. وهذا - كما قال الصَّفدي - كثير في مقاماته، وهو من القدرة على الكلام.<sup>(٣)</sup> وأهم من ذلك أن المقامات قد تدفقت في تربتها أفضل الأساليب الفصيحة المتنوعة، التي اصطفاها عالمٌ مُتقن هو صاحب «درة الغواص»، ومُتيقظ يضع في حُسابه أن يهاجمَ بسهام النَّقد. ولذلك جاءت أساليبه قِمة في البيان والفصاحة والسحر. فهو تارة يجمع بين الجدِّ والهزل، ومرة يُغرم بالمحسنات البديعية، وحيناً يُرصع كلامه بألوان التشبيه والاستعارات، وتارة يُجري على الطبع فيلامس شغاف القلوب، ويستمطر من العيون الدموع، وتارة ينثني إلى مُداعبة الرُّوح واستحضار البسمات، وأحياناً يلجأ إلى التضمين<sup>(٤)</sup> فيصل فيه إلى حُدود الإعجاز، بجمال النَّقل، وحسن الإشارة، ولطف الملاءمة، وجودة التمهيد.<sup>(٥)</sup>

ثانياً- الشريشي وشرحه للمقامات:

هو: (١) الكمال أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد

(١٢) الحريري ص ١٤٩.

(١٣) الحريري ص ٤٧٦.

(١٤) أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ١: ٤١.

(١٥) تُنظر في التضمين: مجلة التراث العربي العدد ٨٥ ص ٤٩. (ومجلة مجمع اللغة العربية

بدمشق، المجلد / ٥٥ / الجزء الأول والجزء الرابع [المجلة]).

(١٦) تُنظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٠ ص ٧٨٦.

(١٧) نفع الطيب ٢: ٣١٧ ومقدمة تحقيق الشرح الكبير للشريشي ١: ١٧.

المؤمن، القيسي الشريشي. ولد في شريش سنة ٥٧٧هـ، وكانت من أجمل بلاد الأندلس، وأحفلها بالأشجار والزرع. درس العربية وعلومها على يد أكابر علماء عصره كابن جبير الرحالة المعروف، وابن زرقون وغيرهما. ثم مارس الإقراء والتدريس في مدن الأندلس.

له عدد من المؤلفات، منها: شرح الإيضاح للفارسي، ومختصر الجمل للزجاجي، ومجموع شعري يضم قصائد عربية مشهورة، ورسالة في العروض، وكان شاعرًا مطبوعًا شائق اللفظ رشيق المعنى.

ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوق إلى الشام:

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ      فإن قلبي بنار الشوق يستعبرُ  
بعدت عنكم فلا والله بعدكم      ما لذ للعين لا نوم ولا سهرُ  
إذا تذكّرت أوقاتا نأت ومضت      بقربكم كادت الأحشاء تنفطرُ

وله ثلاثة شروح لمقامات الحريري: كبير وهو أدبي، ومتوسط وهو لغوي، وصغير وهو المختصر. رحل إلى المشرق ثم عاد إلى شريش، فتوفي بها سنة ٦١٩هـ.

والشرح الكبير هو موضوع البحث، وهو أهم الكتب التي شرحت المقامات على الإطلاق، إذ لم يترك صاحبها في كتاب من شروحها فائدة إلا استخرجها، ولا فريدة إلا استدرجها، فصار شرحًا يُغني عن كل شرح تقدّمه، ولا يُحتاج إلى سواه في لفظ من ألفاظها<sup>(١٨)</sup>. قال الشريشي: «لم أدع كتابًا ألف في

شَرَحَ ألفاظها، وإيضاح أغراضها، إلا وَعَيْتُهُ نَظْرًا، وَتَحَقَّقْتُهُ مُحْتَبَرًا، وَتَرَدَّدْتُ فِي تَفْهَمِهِ وَرَدًّا وَصَدْرًا، وَعَكَفْتُ عَلَى اسْتِيفَائِهِ بَسِيطًا كَانَ أَوْ مُحْتَصِرًا، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى جَمِيعِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ وَسَعَى مَن فَسَّرَهَا، وَاسْتَوْعَبْتُ عَامَةً فَوَائِدَهُ الْمُمَكِّنَةَ بِأَسْرَهَا. وَلَمْ أَتْرُكْ فِي كِتَابٍ مِنْهَا فَائِدَةً إِلَّا اسْتَخْرَجْتُهَا، وَلَا فَرِيدَةً إِلَّا اسْتَدْرَجْتُهَا، وَلَا نُكْتَةً إِلَّا عَلَّقْتُهَا، وَلَا غَرِيبَةً إِلَّا اسْتَلْحَقْتُهَا، وَلَا غَادِرَتْ فِي مَوْضِعٍ مِنْهَا مُسْتَحْسَنًا يَشُدُّ عَن جَمْعِي، وَلَا مُسْتَجَادًّا يَنْبُو عَنهُ بَصْرِي أَوْ سَمْعِي.

وَأَنَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ أَلْتَمَسُ مَزِيدًا، وَلَا أَسْأَمُ بَحْثًا وَتَقْيِيدًا، إِلَى أَنْ عَثَرْتُ عَلَى شَرَحِ الْفَنَجْدِيِّي<sup>(١٩)</sup> لِلْمَقَامَاتِ، فَرَأَيْتُ فِيهِ الْغَايَةَ الْمَطْلُوبَةَ، وَالْبُغْيَةَ الْمَرْغُوبَةَ، وَالضَّلَالََةَ الَّتِي كَانَتْ عَنِّي إِلَى هَذَا الْأَوَانِ مَطْوِيَّةً مَحْجُوبَةً. فَاسْتَأْنَفْتُ النَّظَرَ ثَانِيًا، وَشَمَّرْتُ عَن سَاعِدِ الْجَدِّ لَا مُتْكَاسِلًا وَلَا وَايًّا، فَاسْتَوْعَبْتُهُ أَيْضًا أَبْلَغَ اسْتِيعَابٍ، وَقَيَّدْتُ مِنْ فَوَائِدِهِ مَا لَمْ أَجِدْ قَبْلَهُ فِي كِتَابٍ<sup>(٢٠)</sup>.

يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ مَدَى الْأَهْمِيَّةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا هَذَا الشَّرْحُ، الَّذِي صَمَّنَهُ صَاحِبُهُ فَوَائِدَ الشُّرُوحِ الَّتِي سَبَقَتْهُ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهِ مَا جَادَتْ بِهِ عِبْقَرِيَّتُهُ وَثِقَافَتُهُ. فَجَاءَ شَرْحًا وَافِيًا جَامِعًا مُحَاسِنَ الْإِشَارَاتِ، وَدَقَائِقَ الْعُلُومِ، وَفُرُوعَ الْاِخْتِصَاصَاتِ،

(١٩) هو: أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود المسعودي الفنجديي

(ت٥٨٤هـ)، وهو منسوب إلى قرية فنجدية من عمل خراسان، شرح مقامات الحريري

في مجلدين، وسمى شرحه: معاني المقامات في معاني المقامات. كشف الظنون ص ١٧٩٠.

(٢٠) الشريشي ١: ٦-٧.

ونوادير الثقافات، حتى أصبح موسوعةً أدبية لغويةً تاريخية.

### ثالثاً- منهج الشريشي في الشرح:

ظهر فيما تقدّم أن المقامات ذات قيمة لغوية أدبية في الدرجة الأولى. وهذا يعني أن الاتجاه اللغوي لا بدّ أن يفرض وجوده في كلّ شرح يتناولها، ثم يأتي دور ثقافة الشارح واختصاصه في تحديد الاتجاهات الأخرى؛ فبعض الشارح يتوسّع في التعليقات النحوية والصرفية، وبعضهم يُغني شرحه بالملاحظات النقدية والبلاغية، وبعضهم يميل إلى التمهيص في الرواة ورواياتهم، وبعضهم يُكثر من الشواهد بحسب محفوظاته واختصاصه، وبعضهم يهتمّ بالمقارنة بين النصّ المشروح ونصوص أخرى، وبعضهم يُفيض في الحديث عن الحوادث التاريخية وأيام العرب، وبعضهم يعتني بالبلدان والأماكن وعادات الشعوب التي لاحظها في أسفاره، وبعضهم يعمد إلى الاستطراد ليُفرغ في الشرح معارفه وما يتميز به عن غيره، يُضاف إلى ذلك ما تفرضه قيمة النص وأهميته عند الناس على الشارح من ضرورة الدقة والتفصيل، أو الإجمال والإيجاز.

والمقامات - كما مرّ سابقاً - نالت شهرةً عظيمة، وإقبالاً مُنقطع النظير، «حتّى لو ادّعى بها [الحريري] الإعجاز لما وجد من يدفع في صدره، أو يرُدُّ قوله، أو يأتي بما يُقارِبها، فضلاً عن أن يأتي بمثلها. ثم رُزقت مع ذلك من الشهرة وبعده الصّيت، والاتّفاق على استحسانها من المُوافق والمُخالف ما استحقت وأكثر». (١)

ونظرًا لأهمية المقامات وعلو شأنها فقد فرضت على الشارحين اهتمامًا بكل لفظة من ألفاظها، فضلًا عن العناية الفائقة بعباراتها وأساليبها وما ضمته من أمثال وحكم وغير ذلك. ومن الطبيعي أن يتوسّع كل شارح من شراحها في عرض ما يتصل باختصاصه من معارف ونوادير وأخبار، رغبة في إظهار ثقافته والإدلاء بدلوه.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الشريشي اطّلع على كل الشروح التي سبقته، ولم يترك فيها فائدة إلا استخراجها وقيدتها، وأضاف إلى شرحه ما لم يجده في الشروح التي سبقته، نستطيع أن ندرك أنه سار في شرحه وفق منهج تكاملي مُعزّز بالاستطراد والتفصيل، بحيث أصبح شرحه الكبير موسوعة لغوية وأدبية وتاريخية. وفيما يلي عرض لمنهج الشرح واتجاهاته.

#### ١ - الاتجاه اللغوي:

اهتمّ الشريشي اهتمامًا كبيرًا بالتفسير اللغوي، لأسباب: أولها يتعلق بأهمية المقامات وقيمتها عند الناس، وهذا جعله لا يُغادر لفظة من ألفاظها إلا أخرجها من أكامها ويبيّن مقاصد الحريري منها، وتحدّث عن موقعها ومسوّغات استعمالها إذا كانت مما يحتمل المناقشة.

والسبب الثاني هو: أن كثيرًا من الألفاظ التي استعملها الحريري في مقاماته يستعصي فهمها على القارئ، وتحتاج إلى تفسير معجمي، إضافة إلى أن كثيرًا من التراكيب ابتدعها الحريري وتحتاج إلى تفسير ما تنطوي عليه من مجاز وعلاقات تركيبية. والسبب الثالث: أن المقامات تضمّنت الكثير من الأمثال والآيات القرآنية

والإشارات الثقافية، التي تحتاج إلى توضيح وتفسير.

وقد تمثل منهج الشريشي، في المستوى اللغوي، بتقسيم المقامة الواحدة إلى مقاطع، حيث يبدأ بعرض مقطع من المقامات، ثم يُتبعه بالتفسير اللغوي، فإذا اقتضى الأمر استطرادًا أو ذكر قصة أو غير ذلك توقّف عن التفسير اللغوي، ثم يعود لاستكماله بعد أن ينتهي من الاستطراد، ومن أمثلة منهج الشريشي في التفسير اللغوي ما جاء في المقامة الأولى (الصنعانية)، وهي مقامة وعظية، حيث عرض مقطعًا منها، ثم أتبعه بالشرح والتفسير على النحو التالي:

«تُوَثِّرُ فَلَسًا تُوَعِيهِ، عَلَى ذِكْرِ تَعِيهِ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ، عَلَى بَرِّ تُولِيهِ، وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ، وَتُعَلِّبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَسْتَهْيِيهِ، عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ. يَوَاقِئُ الصَّلَاتِ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِئِ الصَّلَاةِ، وَمُغَالَاةِ الصَّدَقَاتِ، أَثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ، وَصِحَافِ الْأَلْوَانِ، أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الْأَدْيَانِ، وَدُعَابَةِ الْأَقْرَانِ، أَنْسُ لَكَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ» ( )

«تُوَثِّرُ: تُفَضِّلُ. تُوَعِيهِ: تَجْعَلُهُ فِي وَعَاءٍ. بَرٌّ: إِحْسَانٌ. تُولِيهِ: تُعْطِيهِ وَتُلْصِقُهُ بِمَنْ تَبْرُهُ. هَادٍ: مُرْشِدٌ لَطِيقٌ الْخَيْرِ. تَرْغَبُ عَنْهُ، أَي تَتْرَكُهُ. تَسْتَهْدِيهِ، أَي تَسْتَرْشِدُهُ وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى الْخَيْرِ. وَتَسْتَهْدِيهِ الثَّانِيَّةُ: تَطْلُبُ أَنْ يَهْدِيَ لَكَ هَدِيَّةً. يَقُولُ: تَتْرَكُ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ، فَلَا تَسْأَلُهُ الْهَدَايَةَ، وَتَقْصِدُ أَعْرَاضَ الدُّنْيَا مِنْ

الأطعمة وغيرها، وترغب أن تُعطى منها هدية». ( )

بعد أن عرض الشريشي المقطع السابق من المقامة الأولى، أردفه كما هو ملاحظ بتفسير الألفاظ، ثم ذكّر المعنى العام، علمًا أنه لا يذكر المعنى العام إلا عندما تقتضي الضرورة، أو في حالات خاصة. وقبل أن ينتهي من التفسير اللغوي عرّض تسعة أبيات في الزهد لابن عمران، لوجود مناسبة بين الأبيات وجوّ المقامة التي منها المقطع السابق. ثم تابع التفسير اللغوي على النحو:

«الثواب: المكافأة على الفعل، وأراد به ما يُجازي الله به عبده على إحسانه من الأجر، وهو من ثابَ يثوب إذا رجع، وأثبتَّ الرجلُ: أعطيته الثواب، وهو المكافأة على فعله. قوله «يواقيت»: أي جواهر. الصّلات: العطايا. أعلّق: ألصق. مواقيت: أوقات، وهي جمع ميقات». ( )

ويتصف التفسير اللغوي عند الشريشي بالدقّة، إلى درجة الاقتراب من تفسير المعاجم. وهو يذكر أحيانًا الأصل الذي أخذت منه بعض الألفاظ، كما في حديثه عن أصل الثواب أنه الرجوع. كما يذكر أحيانًا المفرد، إذا كانت الكلمة جمعًا، وهذا كثير، لكنه لا يلتزم به دائمًا.

وحيث تعرّض للشارح مناسبةً فإنه يدع التفسير اللغوي ويستطرد ليستوفيها ثم يعود، ومن أمثلة ذلك هنا أنه لفتت نظره مسألة الجناس بين الصّلاة

---

(٢٣) الشريشي ١: ٦٢.

(٢٤) الشريشي ١: ٦٣.

والصَّلات، فتوقف عندها قائلاً:

«ومَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجْنِيسِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ الْمَدْبُرِّ، وَكَانَ إِذَا  
مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لُغْلَامَهُ: امضِ بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تُفَارِقْهُ حَتَّى  
يُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَلَّهُ. فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْحَمَلِ  
فَاسْتَأْذَنَهُ فِي النَشِيدِ، فَقَالَ: أَعْرِفْتَ الشَّرْطَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَنْشُدْ:

أَرْدْنَا فِي أَبِي حَسَنِ مَدِيحًا	كَمَا بِالْمَدْحِ تُتَجَعُّ الْوُلَاةُ
فَقُلْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا	وَمَنْ كَفَّاهُ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتُ
فَقَالُوا: يَقْبَلُ الْمَدْحَاتِ لَكِنْ	جَوَائِزُهُ إِلَى النَّاسِ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي	عِيَالِي؟ إِنَّمَا الشَّانُ الزَّكَاةُ
فَأَمَّا إِذْ أَبِي إِلَّا صَلَاتِي	وَعَاقَتْنِي الْهُمُومُ الشَّاعِلَاتُ
فِيَأْمُرُنِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا	لَعَلِّي أَنْ تَنْشِطُنِي الصَّلَاتُ
فِيصْلِحُ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي	وَيَصْلِحُ لِي عَلَى هَذَا الْمَاتُ

فضحك واستظرفه، وأمر له ببائة دينار، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من

قول أبي تمام:

هِنَّ الْحَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً      مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ» (٢٥)

فهنا نجد أن الشريشي لم يفوت عليه ذكر طرفة يعرفها، فتوقف عن التفسير

اللغوي، واستطرد إليها واستوفى ذكرها، علماً أن استطاده لم يأت إلا بمقتضى

مناسبة. وكأنه يُريد من وراء هذا المنهج، المتمثل بالتوقف عن التفسير اللغوي واقتناص الطُّرف والنوادر ثم العودة إلى اللغة، يُريد من وراء ذلك ابتداعَ منهج جديد يهدف إلى التخفيف من جفاف المادة اللغوية، ومدّها برحيق الطُّرفة ودماث الخبر. وبعد هذا الاستطراد عاد إلى متابعة التفسير قائلًا:

«قوله «مُغَالاة الصَّدَقَات» أي الزيادة في المهور، وغاليتُ: زدتُ في ثمن السلعة ورددتها غالبيةً. والصدقات: واحدها: صدقة وهي الصداق، قال النبي ﷺ: من يُمنِ المرأةَ تيسير صداقها وخطبتها. قال عروة: وأنا أقول: من أول سُؤمها أن يكثر صداقها. أثر: أفضل وأكثر أثرًا. موالاة: متابعة. صحائف: جمع صحيفة، وهي الورقة يُكتب فيها من الرِّق والقرطاس. دُعابة: مُزاح، وفي فلانٍ دُعابة، وتداعب الرِّجلان: تَمَزَحَا. وفي الحديث: «كانت فيه دُعابة»، وفي حديث جابر رضي الله عنه: «هَلَا بَكَرًا تُدَاعِبُهَا وَتُدَاعِبُكَ».

الأقران: الأصحابُ والأمثال. تلاوة: قراءة، وتلوته: قرأته. واختلفوا في اشتقاق القرآن فقال أبو عبيدة: سُمِّي قرآنًا لأنه يجمع السُّورَ ويضمُّها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] أي إذا جمعنا لك شيئًا فضمَّه واعمَلْ به. وقال قُطْرِب: سُمِّي قرآنًا لأن القارئ يُظهره ويبيِّنُه ويُلقِيه مِن فيه، من قول العرب: ما قرأتِ الناقةُ سَلًا قطًّا، أي ما رَمَت به. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ القُلُوبَ لَتَصْدَأُ كما يَصْدَأُ الحديدُ. قالوا: يا رسول الله ما جلاؤها؟ قال: قراءةُ القرآن». ( )

بهذه الفقرة أنهى الشريشي شرح المقطع المُقْتَبَس من المقامة الأولى. ويُلاحظ على الشرح، إضافة إلى ما سبق عرضُه، أن الشريشي يقدّم الشرح اللغوي تقديمًا مختصرًا بحسب الحاجة، ولا يستطرد في عرض المادة اللغوية، فمثلاً في تفسير كلمة «الأقران» لم يزد على قوله: الأصحاب والأمثال. علماً أن بعض الشّراح يُسهب في عرض أجزاء من المادة اللغوية، فيأتي بالفعل مثلاً وبعض الاستعمالات المتصلة بهادته. وهذا لا يُسهّم في خدمة النصّ، وخاصّةً بعد أن دُوّنت المادة اللغوية في المعاجم وأصبحت معروفة. وقد أحسن الشريشي في تجنّب التفصيل في عرض المادة اللغوية، وكأنه أراد أن يدّخر التفصيل والاستطراد للأموّر البلاغية والأدبية والأخبار وغير ذلك.

ويُلاحظ على الشرح أيضاً إيرادُ بعض الشواهد وخاصّةً من الحديث الشريف، وهذه الشواهد لم يكن الغرض منها خدمة التفسير اللغوي، بل جاءت على سبيل الاستطراد المُفِيد، الذي يُسهّم في تلطيف جفاف المادة اللغوية.

## ٢- الاتجاه الصرفي والنحوي:

تكثر في الشرح الإشارات الصرفية، وخاصّة تلك التي تخدم التفسير اللغوي، كالحديث عن الأصول المصدرية والاشتقاقية لكثير من الأسماء الواردة في المقامات، فقد حاول الشارح في كثير من المواضع ربط أسماء الذات بأصول مصدرية، ذاهباً إلى أن اسم الذات ليس مُرتجلاً كما يرى كثير من الباحثين في علم الصرف، بل له أصول مصدرية أو اشتقاقية يعود إليها، ومن أمثلة ذلك قوله في أصل كلمة (العصا): «سُمِّيَت العَصَا عَصًا لأن اليد والأصابع تشتمل عليها، وهو

من قول العرب: عصوتُ القومَ إذا جمعتهم على خيرٍ أو شرٍّ». ( )

وقد يتطرق في حديثه عن أصل بعض الكلمات إلى قضايا صرفية تتعلق بالوزن وأحرف الزيادة وغير ذلك، كما في قوله: «المدينة: البَلَد، مَنْ أَخَذَهَا مِنْ مَدَنٍ بِالْمَكَانِ يَمْدُنُ، إِذَا أَقَامَ فِيهِ، فَهِيَ فَعِيلَةٌ وَالْجَمْعُ مَدَائِنٌ بِالْهَمْزِ، وَالْمِيمُ أَصْلِيَّةٌ وَالْيَاءُ زَائِدَةٌ، وَمَنْ أَخَذَهَا مِنْ دَانَ يَدِينُ، فَالْمِيمُ زَائِدَةٌ وَالْيَاءُ أَصْلِيَّةٌ، وَهِيَ مَفْعُولَةٌ، يُقَالُ: دِنْتُ الرَّجُلَ: مَلَكَتُهُ، وَدِنْتُ لَهُ: أَطَعْتُ، وَيُقَالُ لِلْأُمَّةِ مَدِينَةٌ، لِأَنَّهَا مَمْلُوكَةٌ». ( )

ومن أمثلة الإشارات الصرفية قوله: «معاذيري: أعذارِي. والعذيرة: العُذْر. ويُقال: عَذِيرَكَ مِنْ كَذَا، بِمَعْنَى هَلَمْ مَعذَرْتِكَ مِنْهُ. وَقِيلَ: الْعَذِيرُ بِمَعْنَى عَاذِرٍ، فَفِعْلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، أَي هَلَمْ لِمَنْ يَعذُرُكَ مِنْهُ. ثَعْلَبُ: الْعَذِيرُ: مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى النَّكِيرِ. وَمَعْنَى عَذِيرِي مِنْهُ، أَي مَنْ يَعذُرُنِي مِنْهُ؟». ( )

وأما الإشارات النحوية فهي قليلة في الشرح، ولم يتعرض لها إلا في حدود ما احتوته المقامات من ذلك. وكأنه لم يشأ التوسُّع في هذا المجال رغبةً منه في تجنُّب ما هو جافٌّ وما لا يفهمه إلا المختصون، فالمقامات ألفتها الحريري لتُتلى على الناس في المجالس، والشريشي أراد فيما أعتقد ألا يخرج عن هذا الغرض، فوضع في حسابانه ألا يُثقل شرحه بما لا يستسيغه عامة الناس في مجالسهم، ولذلك أفاض في الأدب والنوادر والأخبار، وجنح إلى الاختصار في مجال اللغة والنحو.

ومن أمثلة الإشارات النحوية ما جاء في شرحه للمقامة الرابعة والعشرين،

(٢٧) الشريشي ١: ٢٠٦.

(٢٨) الشريشي ١: ٢٧٣.

(٢٩) الشريشي ٤: ٣١٩.

حيث ذكر بعض التوجيهات النحوية تعقيماً على الأحاجي التي ذكرها الحريري،  
فقد ورد في المقامة المذكورة أبيات كان يُغنيها أحد المطربين، ومنها:

«إلام سعادُ لا تصلين حبلي ولا تأوين لي ممأً لأقي  
فإن وصلاً ألدُّ به فوصل وإن صرماً فصرم كالطلاق»<sup>(٣٠)</sup>

فتساءل الحاضرون عن علة نصب «وصلاً» الأولى ورفع الثانية، ونصب  
«صرماً» الأولى ورفع الثانية، واختلفوا في ذلك. قال الشريشي:

«أما صدر البيت الأخير من الأغنية الذي هو: (فإن وصلاً ألدُّ به ...) فإنه  
نظير قولهم: المرء مجزئي بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وهذه المسألة أودعها  
سيبويه كتابه وجوّز في إعرابها أربعة أوجه:

أحدها - وهو أجودها - أن تنصب «خيراً» الأول وترفع الثاني، وتنصب  
شراً الأول وترفع الثاني، ويكون تقديره: إن كان عمله خيراً فجزأؤه خيراً، وإن  
كان عمله شراً فجزأؤه شرّاً. فتنصب الأول على أنه خبر كان، وترفع الثاني على أنه  
خبر مبتدأ محذوف. وقد حذفت في هذا الوجه «كان» واسمها لدلالة حرف  
الشرط الذي هو «إن» على تقديرهما، وحذفت أيضاً المبتدأ لدلالة الفاء التي هي  
جواب الشرط عليه، لأنه كثيراً ما يقع بعدها...»<sup>(٣١)</sup>

### ٣- الاتجاه البلاغي:

أسهب الشريشي في الحديث عن البلاغة بفروعها الثلاثة المعاني والبيان

(٣٠) الحريري: مقاماته ص ٢٣٩.

(٣١) الشريشي ٣: ٢٢٨. وللتوسع في هذه المسألة يُنظر سيبويه: الكتاب ١: ٢٥٨.

والبدیع، والسبب يعود إلى الخصوصية التي تتصف بها المقامات، إذ إنها تمثل لوحة فنيّة ملوّنة بكل ألوان البلاغة.

وجاء حديثه عن المسائل البلاغية ضمن الاستطرادات بصورة مفصّلة، أما ضمن الشرح فلم يكن يتحدّث عن الصُّور البلاغية في الغالب، بل كان يكتفي بالتفسير الذي يخدم الفكرة، تاركًا للقارئ اكتشاف الصورة. ومن أمثلة ذلك ما جاء مثلاً في المقامة الرابعة إذ ورد فيها:

«فَرَأَيْتُ صَحْبًا قَدْ شَقُّوا عَصَا الشَّقَاقِ، وَارْتَضَعُوا أَفَويقَ الوِفَاقِ» ( )

قال الشريشي في الشرح: «رَأَيْتُ: صَحِبْتُ فِي السَّفَرِ. وَالصَّحْبُ: الأصحاب. الشَّقَاقِ: الخِلاف. وَمَعْنَى شَقُّوا عَصَاهُ: أَزَالُوهُ وَطَرَحُوهُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: شَقَّ فُلَانٌ العَصَا، إِذَا تَرَكَ الطَّاعَةَ وَخَرَجَ مُبَايِنًا، قَالَ أَبُو عبيدة: العَصَا تُضْرَبُ مَثَلًا لِلاجْتِمَاعِ، وَانشِقَاقُهَا يُضْرَبُ مَثَلًا لِلانْفِرَاقِ الَّذِي لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهُ. أَفَويقُ: جَمْعُ أَفَواقٍ، وَأَفَواقُ جَمْعُ فُواقٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ. وَالوِفَاقُ: تَرَكَ الخِلافَ، وَقَدْ وَافَقْتَهُ مُوَافَقَةً وَوِفَاقًا» ( )

فهنا يبدو الشريشي وكأنه يتحدّث عن استعمال يصبّ في الحقيقة لا المجاز، إذ لم يذكر حدود الصُّور البلاغية، بل ترك ذلك للقارئ، وركّز على جلاء المعنى وتوضيحه. وهذا يُمكن تعميمه على كلّ الشرح.

أما في الاستطرادات فنراه تحدّث حديثاً مفصّلاً عن مسائل البلاغة وفروعها،

(٣٢) الحريري: مقاماته ص ٣٢.

(٣٣) الشريشي ١: ١٥٩.

ففي شرحه للمقامة التاسعة مثلاً استطرد بذكر أشعار في التشبيه. (٣٤) وفي شرحه للمقامة الثالثة والعشرين استطرد بذكر كثير من المسائل البلاغية، فتحدّث عن: التجنيس والتشبيه والاستعارة والإشارة والإيحاء والتلويح والتعريض والتفخيم والمطابقة والتقسيم والتسهيم والتميم والترديد والتجريد والتتبع والتبليغ والتصدير والاستثناء والالتفات والاعتراض والاستطراد. (٣٥) وفي شرحه للمقامة الرابعة والثلاثين تحدّث عن التضمين. (٣٦) يُضاف إلى ذلك توقُّفه كثيراً عند المحاسن البلاغية للأبيات التي يعرضها في استطراداته، نحو قوله: «وما أحسن ما قال ابنُ اللبّانة يرثي أختَ المرتضى صاحبِ ميورقة، وماتت بعد أخيها:

أَبْنَتِ الْعُلَا جَدَّدَتِ مَنْعِي عَلَى مَنْعِي      مَضَى الْمُرْتَضَى أَصْلًا وَأَتْبَعْتَهُ فَرَعَا  
جَرَى الْمَوْتُ جَرِي الرِّيحِ فِي مَنَبَتَيْكَمَا      فَأَذْوَاكِ رِيحَانًا وَكَسَّرَهُ نَبْعًا». (٣٧)

#### ٤ - الاتجاه النقدي:

الشريشي أديب ظريف بلا منازع، وعالمٌ مُتقن لفنون الأدب، ويشهد بذلك شرحه للمقامات، الذي بثَّ فيه آراءً نقدية هامة، وزينّه بمختارات شعرية وأدبية تُعبّر عن تذوّق عالٍ للأدب، وإدراكٍ عميق لمواطن الجمال في النصوص. ففي المقامة الثالثة والعشرين وهي الشعرية، استغل الشريشي مناسبة اتهام أبي

(٣٤) الشريشي ١: ٣٠٢.

(٣٥) الشريشي ٣: ١٢٣-١٤٩.

(٣٦) الشريشي ٤: ١٤٢.

(٣٧) الشريشي ٥: ١١١.

زيد السروجي ابنه بسرقة شعره، وتخاصمها عند أحد الولاة، ليستطرد في الحديث عن السرقات الشعرية وأنواعها، وهي من القضايا النقدية، فرأى أنها عشرون قسمًا: عشرة منها محمودة، وعشرة مذمومة. ومن أمثلة الأولى قول حسان بن ثابت:

يُغشونَ حتى ما تهرَّ كلابهم لا يسألونَ عن السَّوادِ المُقبِلِ

الذي أخذه أبو نواس وزاد في لفظه دون معناه فقال:

إلى بيتِ حانٍ لا تهرُّ كلابهم عَليّ، ولا يحشونَ طولَ ثوائي<sup>(٣٨)</sup>

وفي السرقات المذمومة قال الشريشي: «الثالث: نقل ما حسن معناه ومبناه إلى ما قبح معناه ومبناه، كقول امرئ القيس:

ألم تَرياني كلِّما جئتُ طارقًا وجَدتُ بها طيبًا، وإن لم تَطيَّبِ

فأتى بما لا يعلم وجوده في البشر، من وجود طيبٍ ممن لم يمسَّ طيبًا، وجاء بيت في مراده، حسن النظام مُستوفى التمام، أخذه كثيرٌ فقال:

فما روضةٌ بالحسنِ صبيبةُ الثرى يمجّ الندى جثجاؤها وعراؤها

بأطيبَ من أردانٍ عزة موهنا إذا أُوقِدَتِ بالمندلِ الرطبِ نارها

فطوّل وحسن، وقصّر غاية التقصير، وأخبر أنها إذا تطيّبت كالرّوضة في طيبها، وذلك مما لا يُعَدَم في أقلّ البشّر تنظيفًا» ( ).

وفي شرح المقامة ذاتها تحدّث عن توارد الخواطر في الشعر، وهذا من القضايا النقدية أيضًا، ويقصد بتوارد الخواطر، أو ما يُسمّيه بعضهم وقّع الحافر على الحافر، أن

(٣٨) الشريشي ٣: ٨٥.

(٣٩) الشريشي ٣: ٨٦.

يتَّفَقُ شاعران في بيتين مع اختلاف بسيط في اللفظ، من دون أن يكون أحدهما قد نقل عن الآخر أو تأثر به، قال الشريشي: «ومن توارد الخواطر قول ربيعة بن مقروم:

لو أَنَّمَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ      عَبَدَ إِلَهَ صَرُورَةٍ مُتَّبِلٍ

وقال النابغة: صَرُورَةٍ مُتَّعِبِدٍ»<sup>(١)</sup> فكلا الشاعرين أتى بنفس الألفاظ على

نفس البحر، ولا فرق إلا في كلمتي: متبتل ومتعبد، وهما مترادفتان أيضًا.

ويكثر الشريشي من المقارنة بين الأشعار المشابهة في الموضوعات، وقد يُعلِّق

عليها مُظهِرًا ما بينها من تفاضل وما تتَّصف به من حُسن، ولكنه في الغالب يكتفي

بإيرادها دون تعليق تاركًا للقارئ حرية الحُكم، وابتعاده عن التعليق لسببين فيما أعتقد:

أولهما أنه لا يختار إلا ما يعدُّه من أفضل ما قيل في بابه، وبهذا تشهد كلُّ مُحْتاراته

الشعرية، وفي هذه الحالة يكون قد استعمل خبرته في النقد قبل تثبيت الاختيار في

الشرح. والسبب الثاني احترامه للأدباء جميعًا، وحرصه على ألا يغض من قيمة أحد،

ويدل على ذلك ثناؤه على جميع الأدباء واستعماله عبارات الترحم على من تُؤيُّ منهم.

ومن أمثلة مقارناته بين الأشعار التي تتفق في موضوعاتها، ما أورده من

أشعار قيلت في أسباب الشيب: «وقال ابن الملح السُّبلي:

طَلَعَ الْمَشِيبُ بِلِمَّتِي فَتَعَجَّبُوا      مِنْ كَدِّهِ، وَتَعَجَّبُوا مِنْ مُهْلَتِهِ

مَا سَبَبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ مَنْ يَبْتُ      دَنْفًا وَمُشْتَاقًا يَشِبُّ مِنْ لَيْلَتِهِ

وقال أبو عثمان الخالدي:

فَدَيْتُكَ مَا شَبْتُ مِنْ كَبْرَةٍ      وَهَذِي سِنِّي وَهَذَا الْحِسَابُ

وَلَكِنْ هَجَرْتِ فَحَلَّ الْمَشِيبُ      وَلَوْ قَدْ وَصَلَتْ لِحَلِّ الشَّبَابِ» (٤١)

ومن أمثلة الإشارات النقدية في الشرح قول الشريشي معلقاً على بيت امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

«أجمع أهل العلم بالشعر كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي أن أحسن التشبيه

ما يقابل به تشبهان في بيت واحد، وأن أحداً لم يقل ذلك كبيت امرئ القيس...

وقال بشار: ما زلت مذ سمعتُ قوله: كأن قلوب الطير، أراود نفسي أن أشبهه

شيئين بشيئين ولا أستطيع ذلك، إلى أن قلت:

كَأَنَّ مِثَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا      وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

ويا بعد ما بين البيتين، على أن بيت بشار غريب، ولا أحفظ للبيتين ثالثاً» ( )

ومن أمثلة الإشارات النقدية أيضاً قول الشريشي: «وباب التجنيس فاق

الناس فيه حبيب، والناس له تبع، كما انفرد بحسن القطع في آخر قصائده، فلا

يكاد الشاعر الماهر يزيد بيتاً في آخر قصائده في الغالب. كما انفرد الحسن بحسن

الابتداء، فله ابتداءات لا يجارى فيها. كما انفرد ابن المعتز بجودة التشبيه، يكاد على

كثرته في شعره ألا يسقط له تشبيه واحد. كما انفرد المتنبي بلطف التخلص من

التغزل إلى المديح» ( )

(٤١) الشريشي ٤ : ٢٨٠.

(٤٢) الشريشي ٣ : ١٢٨.

(٤٣) الشريشي ٣ : ١٢٥. وحبيب: هو أبو تمام. والحسن: هو أبو نواس.

## ٥- المختارات الأدبية:

أكثر الشريشي من المختارات الشعرية والنثرية في شرحه، وقد جاءت على صورة استطرادات دعت إليها مناسبات. ففي المقامة الثامنة والثلاثين مثلاً أورد الشريشي نصوصاً في زجر الطير والتفاؤل، ثم أورد نصوصاً في وجوب قضاء حوائج الناس منها الحديث الشريف: «خُلِقَان يُحِبُّهُمَا اللهُ وَهُمَا: السَّخَاءُ وَالسَّاحَةُ، وَخُلِقَان يُبْغِضُهُمَا اللهُ وَهُمَا: البُخْلُ وَسُوءُ الخُلُقِ. وإذا أراد الله بعبده خيراً استعمله على قضاء حوائج الناس». (١)

والشريشي لا يهتم بتوثيق النصوص والأخبار، وكأنه أراد بذلك ألا يطول حجم الشرح دون فائدة، فهو يُورد الحديث الشريف من دون سند أو تخريج كما في الحديث السابق، ويُورد النصوص في الغالب دون ذكر مصدرها نحو: «قال خالد بن صفوان: لا تسأل الحوائج ثلاثاً: كذوباً فيُقربَ بعيداً ويُبعدَ قريباً، ولا أحمق فإنه يُريد أن ينفَعَكَ فيضُرَّكَ، ولا رجلاً له إلى صاحبك حاجة فإنه يُصير حاجتك بطانةً لحاجته». (٢) ويُورد الأشعار دون ذكر مصدرها وأحياناً دون ذكر قائلها، نحو: «وقال آخر:

أَلَا رَبَّ بِيضَاءِ المَحَاجِرِ طَفَلَةٍ      تُسَاقُ إِلَى وَغْدٍ مِنَ القَوْمِ تَنبَالِ  
يَقُولُونَ جَرَّتْهَا إِلَيْكَ قَرَابَةٌ      فَوَيْحَ العَدَارَى مِنْ بَنِي العَمِّ وَالخَالِ» (٤٦)

(٤٤) الشريشي ٤: ٢٦٢.

(٤٥) الشريشي ٤: ٢٦٢.

(٤٦) الشريشي ٤: ٧٤.

وتدلّ المختارات الأدبية على الذوق الأدبي الرفيع للشارح وسعة اطلاعه، فهو لم يُضْمَنَّ شرحه إلا أحسنَ ما قيل في بابه من شعر وحكمة وطُرفة وغير ذلك، نحو قوله: «قال بُزْرَجْمَهْر: إذا أقبَلت عليك الدُّنيا فأنفق منها فإنها لا تَفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنَّها لا تَبقى. أخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

لا تَبخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ      فليس يُنْقِصُهَا التَّبْذِيرُ وَالسَّرْفُ  
فإن تَوَلَّتْ فأحرى أن تجودَ بها      فالحمدُ منها إذا ما أدبرت خَلْفُ» (٤٧)

ويذكر الشريشي أحياناً مصادرَ شرحه، ففي حديثه عن السرقات الشعرية مثلاً، ذكّر أنه أخذها من كتاب «المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي» لابن وكيع. (١) وفي حديثه عن التشبيه ذكر أنه استقى مادته من كتاب «الخصائص» لابن جنبي. (٢) هذا مع التذكير بأن معظم النصوص أوردها على صورة محفوظات ذهنية دون توثيق.

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من مُختاراته الأدبية لا تخلو من فكاهاة أو طُرفة أو حكمة أو جواب مُعجِب، وكأنه أراد من وراء ذلك أن يجعل مادة الشرح مما يُستساغ في المجالس، كما تقدّم سابقاً. ومن ذلك حديثه عن بعض نواذر المعلمين: «الجاحظ: كان في المدينة رجلٌ معلّمٌ صبيان، يُفرط في ضربهم. فلاموه على ذلك،

---

(٤٧) الشريشي ٤ : ٢٧١.

(٤٨) الشريشي ٣ : ٨١.

(٤٩) الشريشي ١ : ٣٠٥.

فساءني حاله معهم [فذهبت إليه لأرى حقيقة الأمر]، فاستفتح صبيّ وقال: يا معلّم ﴿وإنّ عليك اللّعة إلى يوم الدين﴾ ما بعده؟ فقال: بل عليك وعلى والديك لعائنُ الله تترى. وجاء آخر فقال: يا معلّم ﴿اخرج منها فإنك رجيم﴾ ما بعده؟ قال: ذاك أبوك الكشخان. وجاء آخر فقال: يا معلّم ﴿ما لنا في بناتك من حق﴾ ما بعده؟ فقال: لا ولا رأيتهنّ. فقال: على هذا أضربهم، أتعذرونني؟ قلت: نعم. (٥٠)

ومن أمثلة الأجوبة اللطيفة النادرة قول أبي نواس:

«كُتِبْتُ إِلَى الْحَبِيبِ بَيْتِ شِعْرِ أُعَاتِبُهُ فَأَغْضَبَهُ كِتَابِي  
أَجِنِّي يَا مَلُوءٌ عَلَى كِتَابِي فَإِنَّ النَّفْسَ تَسْكُنُ بِالْجَوَابِ  
فَوْقَ فِي الْكِتَابِ: تُزَادُ هَجْرًا وَإِبْعَادًا إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ» (٥١)

#### ٦- الإشارات التاريخية والتراجم والبلدان:

يكثر في الشرح عرضُ الحوادث التاريخية وأيام العرب وتاريخ البلدان وتراجم الأعلام، إذ يتلقّف الشارح كلّ إشارة تاريخية أو ذكر لأحد الأعلام والبلدان، وردت في المقامات، ويستطرد في الحديث عنها. ففي المقامة الثامنة عشرة (السّنجارية) مثلاً تحدّث عن تاريخ الشام وفضلها على سائر البلدان، وتعرّض لأنساب بني نُمير، وقدم وصفاً لمدينة سنجار، ثم عرض قصة ثمود،

(٥٠) الشريشي ٥: ٢١٠.

(٥١) الشريشي ٥: ٢٥٤.

وقصة موسى وهود عليهما السلام، وتحدّث عن تاريخ بابل، وترجم للمغني المشهور  
معبّد وإسحاق الموصلي، ولبعض الجاريات المتأدّبات، ولسطيح الكاهن الجاهلي.<sup>(١)</sup>  
ويتّصف منهجُه في التراجم والتعريف بالبلدان بالدقة والتفصيل والاعتماد  
على المصادر الموثوق بها، أما في التاريخ فيتّصف بقبول كثير من الروايات دون  
تححيص في الغالب، فهو لم يكن يهتمّ بالتحري عن الخبر ونقده بمقدار اهتمامه  
بالقصاص، ولذلك ضمّن شرحه كلّ ما يصلح مادةً للمجالس، ومن أمثلة ذلك ما  
جاء في حديثه عن مدينة بابل حيث قال: «وهي أقدم بناء بُني بعد الطوفان،  
ونُسب السحر لها لأن بها هاروت وماروت معلّمي السحر...».<sup>(٢)</sup> وسرد قصة  
هاروت وماروت مع المرأة التي مُسخت لأنها أغوتها وأصبحت كوكب الزهرة،  
أما الملكان فما زالا يُعذبان ببابل ويُعلّمان الناس السحر، مع العلم أن هذه القصة  
ليست حقيقية، بل هي من الإسرائيليات.<sup>(٣)</sup>

#### ٧- الاستطراد:

يتّصف الشرح عامة بكثرة الاستطرادات وتنوعها، فحين يذكر الحريري في  
مقاماته بلدةً يستطرد الشريشي في وصفها والحديث عن تاريخها، وحين يذكر علمًا  
من الأعلام يستطرد في الترجمة له، وحين يأتي بمثلٍ يستطرد في شرحه وذكر

(٥٢) الشريشي ٢: ٢٦٤-٣٥٢.

(٥٣) الشريشي ٢: ٢٩٠.

(٥٤) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ١: ٤٩٨.

قصته. يُضاف إلى ذلك أن الشارح يقتنص المعاني والمناسبات لِيَسْتَطِرِدَ بذكر ما يتصل بذلك من أشعار وأخبار وقِصَص ونوادِر.

وفي كثير من المواضع لا يستوفي الحديث عما استطرِد إليه في موضع ما، فيعود لاستكمال حديثه في موضع آخر، وكأنه أراد أن يحتذي أسلوب القرآن الكريم في تناول القصص والأخبار، أي أن يذكر جزءاً من القصة في موضع ثم يستكملها في مواضع أخرى بحسب ما تقتضيه المناسبات.

ومن أمثلة ذلك أنه تحدّث عن دمشق في شرحه للمقامة الثانية عشرة، فعرض بعض ما قيل في وصفها نحو «وقال شيخنا ابن جبير: مدينة دمشق هي جنة المشرق، ومطلعُ حُسنه المونق، وعروس المدن... قد أهدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر، واكتنفتها اكتناف الأكام للزهر، وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر... ولقد صدق القائلون عنها: إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك منها، وإن كانت في السماء فهي بحيث تُسامتها وتُحاذيها» (١)

ثم ذكر بعد صفحات قليلة وصفاً مفصلاً لباب جِبرون وللجامع الأموي الكبير، ومما أورده في وصف الجامع نقلاً عن ابن جبير: «هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حُسنًا وإتقانَ بناء، وغرابةً صنعة، واحتفالَ تنميق وتزيين. ومن عجيب شأنه أنه لا يُلَمُّ به نسج العنكبوت، ولا تُلَمُّ به الطيرُ المعروفة بالخطاف...» (٢)

(٥٥) الشريشي ٢: ٣٤.

(٥٦) الشريشي ٢: ٣٨.

ثم عاد في شرحه للمقامة الثامنة عشرة إلى الشام ودمشق، فتحدث عن بعض ما قيل في فضل الشام ومنها دمشق، نحو: «وقالوا: الشامُ صفوةُ بلاد الله». ( ) يُضاف إلى ذلك ما ذكره من أخبار دمشق لدى الترجمة لبعض الأعلام الذين عاشوا فيها أو مرُّوا بها.

\*\*\*\*\*

مما سبق يتضح أن الشريشي اعتمد المنهج التكاملي في شرحه. وهذا المنهج يقوم على تناول النصّ المشروح من زوايا اللغة والنحو والصرف والبلاغة والنقد الأدبي والتاريخ. يُضاف إلى ذلك إغناؤه الشرح بالاستطرادات التي جعلت منه موسوعة لغوية وأدبية وتاريخية، مع الحرص على أن تكون الاستطرادات مما يستسيغه عامة الناس في المجالس. ولذلك مأل إلى الاختصار في مجال علوم اللغة، وأفاض في الأدب والنوادر والأخبار.

### المصادر والمراجع

- ١- بروكلمان: تاريخ الأدب العربي. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٥.
- ٢- الثعالبي: يتيمة الدهر. تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.
- ٣- حاجي خليفة: كشف الظنون. دار الفكر، بيروت ١٩٩٠.

- ٤- الحريري: مقامات الحريري. دار الفكر، دمشق، دون تاريخ.
- الحموي، ياقوت: معجم الأدياء. تحقيق: الدكتور عمر الطباع، ط١، مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٩٩.
- ٥- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط. بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢.
- ٦- ابن خلكان: وفيات الأعيان. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
- ٧- سيبويه: الكتاب. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨.
- ٨- الشريشي: شرح مقامات الحريري. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا ١٩٩٨.
- ٩- الصفدي، صلاح الدين: أعيان العصر وأعوام النصر. تحقيق: الدكتور علي أبي زيد ورفاقه، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨.
- ١٠- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا. شرح وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
- ١١- مجلة التراث العربي، العدد ٨٥، لعام ٢٠٠٢.
- ١٢- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٠ لعام ٢٠٠٥.

مُداخلات الأفغاني  
في صَوْغ المصطلح العلميّ  
في مجمع القاهرة

د. يوسف الجوارنة \*

مقدّمة

يعدّ المجمعيّ سعيد الأفغاني (١٩٠٩-١٩٩٧) رحمه الله واحداً من الأعلام المعاصرين، ممّن كان لهم حضور مشهود في ميدان الدراسات اللغويّة؛ فقد استوفى رحمه الله أدوات العلم التي كوّنها منهاجاً متكاملًا، شكّلت نهضة علميّة في علوم العربيّة، وتميّزت بالأصالة والجدّة والمرجعيّة. لذلك، فقد لفت جدُّ الأفغاني وتميّزه، وإسهاماته الكبيرة تأليفاً وتحقيقاً في ميادين الحضارة العربيّة ورحابها الواسعة - المؤسسات العلميّة اللغويّة أن يكون أحد أعضائها البارزين.

---

(\* باحث في الأدب والتراث من الأردن).

وقد أُنتخب عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦١م،<sup>(١)</sup> إذ كان يعمل رئيساً لقسم اللغة العربية في جامعة دمشق منذ سنة ١٩٥٨م، ثم انتخب فيه - على ما ذكر الدكتور شوقي ضيف رحمه الله<sup>(٢)</sup> - عضواً مؤازراً. ونظراً لجهود الأفغاني في خدمة العربية، اختاره مجمع القاهرة عضواً مراسلاً<sup>(٣)</sup> في الثالث من آذار سنة ١٩٧٠، ثم أعيد انتخابه فيه عضواً عاملاً في السادس عشر من شباط سنة ١٩٩١، ليحل محل الدكتور حسني سبوح رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق، الذي وافته المنية يوم الحادي والثلاثين من كانون الأول سنة ١٩٨٦ - مع أربعة أعضاء آخرين كان الأفغاني المتحدث باسمهم في حفل الاستقبال.

وما فتئ الأفغاني منذ اختياره عضواً مراسلاً في مجمع القاهرة، يشارك في مؤتمراته السنوية، ويكتب بحوثه اللغوية؛ إن على مستوى الألفاظ والأساليب، وإن على مستوى الأصول، وإن على المستوى اللهجي إلخ. ولا يخفى أن الحركة النشطة التي يتمتع بها مجمع القاهرة في سيره الحثيث في الحفاظ على سلامة اللغة العربية والارتقاء بها، إنما يعود إلى ثلثة من العلماء المخلصين الذين نذروا أنفسهم لخدمة العربية، فانتظموا في اللجان التي ألفت<sup>(٤)</sup> منذ نشأة

(١) انظر: مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٨، ص ٤٣٧، ١٩٦١.

(٢) شوقي ضيف، الأستاذ سعيد الأفغاني، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ٧٢، ١٩٩٣، ص ١٥٧.

(٣) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج ٢٦، ١٩٧٠، ص ٢٣٢.

(٤) ألفت في الجلسة العشرين من الانعقاد الأول للمجمع سنة ١٩٣٤ إحدى عشرة لجنة، انظر: شوقي ضيف، مجمع اللغة في خمسين عاماً (١٩٣٤-١٩٨٤)، ط ١، ١٩٨٤، ص ٤٢.

المجمع في الربع الثاني من القرن العشرين، ثم أخذت تنمو وتتكاثر مع اتساع آفاق العلوم والآداب والفنون والحضارة واللغة في شتى مناحيها وتخصصاتها.<sup>(٥)</sup>

### مداخلات الأفغاني

كانت للأفغاني مداخلات جادة على أعمال لجان المصطلحات وما تُقدّمه للمجمع من مصطلحات في مختلف الفنون والعلوم، استطعت أن أرصد منها (٨٠) ثمانين مداخلة في ستّ دورات مجمعيّة، موزّعة على الحقول المعرفيّة الآتية:

- ألفاظ الحضارات القديمة والوسطى<sup>(٦)</sup>: له مداخلة واحدة.
- ألفاظ الحضارة الحديثة<sup>(٧)</sup>: مداخلتان.
- ألفاظ ومصطلحات التاريخ<sup>(٨)</sup>: ثلاث مداخلات.
- ألفاظ ومصطلحات التاريخ الحديث والمعاصر<sup>(٩)</sup>: مداخلة واحدة.
- ألفاظ الحضارة<sup>(١٠)</sup>: مداخلة واحدة.
- مصطلحات الفيزياء (الفيزيقا)<sup>(١١)</sup>: ثلاث عشرة مداخلة.
- مصطلحات الجيولوجيا<sup>(١٢)</sup>: مداخلة واحدة.

(٥) انظر: السابق، ص ٤٨ وما بعدها.

(٦) الجلسة السادسة: ١٩٧٤/٣/٣.

(٧) الجلسة الخامسة: ١٩٨١/٣/١.

(٨) الجلسة السادسة: ١٩٧٩/٣/٥.

(٩) الجلسة الخامسة: ١٩٧٥/٣/١.

(١٠) الجلسة السادسة: ١٩٧٨/٣/٢٠.

(١١) انظر: محاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٤، ص ٦٩٥، ومحاضر جلسات المجمع في الدورة

٤٥، ص ٨٠٤، ومحاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٧، ص ٦٤٠.

(١٢) الجلسة التاسعة: ١٩٨١/٣/٧.

- مصطلحات الهدرولوجيا (المياهيات)<sup>(١٣)</sup>: خمس مداخلات.
- مصطلحات الكيمياء والصّيدلة<sup>(١٤)</sup>: ستّ مداخلات.
- مصطلحات علم النفس والتّربية<sup>(١٥)</sup>: عشرون مداخلات.
- مصطلحات القانون<sup>(١٦)</sup>: مداخلتان.
- مصطلحات علم النبات<sup>(١٧)</sup>: ثماني مداخلات.
- مصطلحات علم الحيوان<sup>(١٨)</sup>: خمس مداخلات.
- مصطلحات التربية الرياضيّة<sup>(١٩)</sup>: مداخلتان.
- مصطلحات طب الأسنان<sup>(٢٠)</sup>: ثلاث مداخلات.
- مصطلحات التكليف<sup>(٢١)</sup>: ست مداخلات.
- المعجم الفلسفي<sup>(٢٢)</sup>: مداخلات واحدة.

وكانت مداخلاته رحمه الله محلّ نظر لجان المجمع واهتمامها. ويعود ذلك لما يتمتّع به من غيرة على العربيّة وحرصٍ منه أن تبقى لغة حيّة غير مشوبة، يشاركه في

---

(١٣) انظر: مؤتمر الدورة ٤١ لمجمع اللغة العربية في القاهرة، ص ٣٢.

(١٤) انظر: محاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٤، ص ٧١٢.

(١٥) انظر: محاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٤، ص ٧٢٩.

(١٦) محاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٤، ص ٧٥٠.

(١٧) محاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٥، ص ٨٠٨.

(١٨) محاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٥، ص ٩٠٠.

(١٩) محاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٥، ص ٨٥٨.

(٢٠) محاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٥، ص ٨٧١.

(٢١) محاضرات وبحوث مؤتمر المجمع في الدورة ٥٠، ص ١٦٢.

(٢٢) انظر: مؤتمر الدورة ٤٠ لمجمع اللغة العربية في القاهرة، ص ٢٠٤.

مثل هذه السّاحة والأريحيّة الأستاذ محمّد بهجة الأثريّ (١٩٠٢-١٩٩٦) من العراق، يدلّ على ذلك أنّ رئيس المجمع الدكتور إبراهيم مذكور (١٩٠٢-١٩٩٦) كان يثني ثناءً عظيمًا على الملحوظات التي يتقدّم بها الأفغاني إلى اللجان المختصة؛ ففي الجلسة الثانية من جلسات المجمع في الدورة الخامسة والأربعين المنعقدة في السابع والعشرين من شباط سنة ١٩٧٩، للنظر في مصطلحات علم النبات قال: «لا يفوتني هنا أنّ أسجّل شكري الخالص للزميلين الأستاذ محمّد بهجة الأثري، والأستاذ سعيد الأفغاني، على ما قدّمنا من ملاحظات حول هذه المصطلحات»<sup>(٢٣)</sup>.

وفي الجلسة الرابعة من جلسات المجمع في الدورة نفسها المنعقدة في الأول من آذار سنة ١٩٧٩، للنظر في مصطلحات التربية، شكر الدكتور مذكور في بداية هذه الجلسة الأستاذ الأفغاني على ملاحظاته المفيدة التي أرسلها إلى اللجنة<sup>(٢٤)</sup>.

وكم كان يُسرّ الأفغاني عند النظر في مصطلحاتٍ بذلت فيها اللجان جهدًا مضنيًا، تُقارب فيها بين المفهوم والصّيغة الدالّة عليه، منسجمة انسجامًا كبيرًا مع القواعد العامّة لوضع المصطلحات ومراعاتها، قال في مصطلحات ألفاظ الحضارة: «أودّ مع الشكر للأستاذ المقرّر أنّ أسجّل أنّ هذه القائمة أدخلت على نفسي السّرور لمزايا ثلاث: التوفيق النّاجح بين المصطلح ومدلوله، والإيجاز مع الإيضاح، وسلامة اللغة ودلالاتها على تملكه العربيّة السّليمة»<sup>(٢٥)</sup>.

(٢٣) انظر: محاضر جلسات المجمع في الدورة ٤٥، ص ٨٠٨ وما بعدها.

(٢٤) انظر: المصدر السابق، ص ٨٣٦ وما بعدها.

(٢٥) انظر: المصدر السابق، ص ٧٦٨.

وبعد أن فرغتُ من جَمْع المداخلات وحصَرها، قمتُ بترتيبها وتصنيفها، ووجدت أنها يتنظمها خطوط عامّة ومعايير منهجيّة انطلق منها الأفغاني في مداخلاته وحواراته، وتدور في مجملها حول: التّصحيح النّحوي والصّرفي، والحذف، والتّغيير، والإضافة، والإبدال، والغموض، ومداخلات متفرّقات، وتساؤلات بقصد الإيضاح. ورأيت أن أبدأ كلّ مداخلته بفعل مستوحى من مداخلته الأفغاني نفسها، فإذا ابتدأت بـ: اقترح الأفغاني، فهذا يعني أنّه ابتدأ مداخلته بـ: اقترح، وإذا ابتدأت بـ: رأى الأفغاني، فهذا يعني أنّه ابتدأ مداخلته بـ: أرى، وإذا ابتدأت بـ: تساءل الأفغاني، فهذا يعني أنّه ابتدأ مداخلته بسؤال، وهكذا. وقد عرضت (٦٧) سبعا وستين مداخلته من أصل الثمانين، وما أغفلته منها فيه ملحوظات عابرة آثرت حذفها، وأؤكد هنا عدم تمكّني من الاطلاع على مداخلته في مؤتمريّ الدورتين المجمعيتين الثانية والأربعين سنة ١٩٧٦، والثالثة والأربعين سنة ١٩٧٧ م.

وبعد، فأرجو من الله العليّ القدير أن يتقبّل أعمالنا بقبولٍ حسنٍ، وأن تكون خالصةً لوجهه الكريم، إنّه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

### بيان المداخلات

أولاً: التّصحيح النحوي والصرفي، ويندرج تحته:

أ- تصحيح نحوي في تعريف المصطلح:

١- اقترح الأفغاني أن يقال في تعريف المصطلح: قاعدة «بانيني» للامتصاص (بلورات) (Babinet Absorption Rule)، من مصطلحات الفيزياء، ويُعرّف بـ: (قاعدة مؤدّاها أنّه في حالة انكسار المزدوج للضوء، يكون امتصاص البلورات الموجبة أحاديّة المحور للمركبة غير المعتادة أكبر منه للمركبة

المعتادة، أمّا في حالة البلورات السّالبة فالعكس صحيح. والمصطلح منسوب إلى العالم الفيزيقي «بانيني» - اقترح أن يقال: «الأحادية المحور»، بدلاً ممّا جاء في التعريف: «... الموجبة أحادية المحور...». ووفق له على ذلك.

٢- وتساءل الأفغاني في المصطلح: لوتيسيوم = لوتيتيوم ( Lutecium = Lutetium)، من مصطلحات الكيمياء والصّيدلة، ويُعرّف بـ: (أحد فلزّات المجموعة الأرضية النادرة، رقمه الذريّ (٧١)، ووزنه الذريّ (١٧٤.٩٩)، وهو ثلاثي ورباعي التكافؤ، وينسب اسمه إلى مدينة باريس (لوتيسيا))، تساءل: ما المقصود بثلاثي ورباعي التكافؤ؟ الواردة في التعريف، فانتبه لذلك الدكتور مذكور رئيس المجمع فقال: نقول: «ثلاثي التكافؤ ورباعيّه،... إلخ.» فوفق على هذا التعديل.

٣- ومثله ما ورد في تعريف المصطلح: تربية وطينية (Civic Education)، من مصطلحات التربية، وهو: (منهج أو نشاط تربويّ تقوم به المدرسة لتربية روح المواطنة والاستعداد لتحمل مسؤولياتها، وفي تعليم الكبار يدور المنهج والنشاط بصفة خاصّة حول المسائل العامّة والمشكلات القائمة لترشيد وتبصير الرأي العام)؛ إذ فضّل الأفغاني أن يقال: «... والمشكلات الاجتماعية القائمة لترشيد الرأي العام وتبصيره، فوفق على ذلك».

٤- واقترح الأفغاني عند عرض المصطلح: سقف (Stege)، من مصطلحات علم الحيوان، وهو: (الطبقة الداخليّة من عصي «كورتى» «Corti» والتي بقوقعة الأذن)، أن تُحذف الواو الواردة في التعريف، فنقول: «... التي بقوقعة الأذن». فوفق على ذلك.

٥- واقترح أن يقال في تعريف المصطلح: الحتمية الثقافية ( Cultural

(Determinism)، من مصطلحات علم النفس والتربية، ويعني: (وجهة النظر التي تؤكد دور الثقافة في تكوين شخصية الفرد، وفي شيوع سمات ثقافية معينة في الجماعات المختلفة): «وجهة نظر... إلخ.» وقال الدكتور مدكور: الكلمة الأجنبية هنا يمكن أن نقابلها بكلمة «نظرية»، فطلب الدكتور عبد العزيز السيد (١٩٠٧-) أن يوافق على ذلك، فكانت موافقة.

#### ب- تصحيح صرفي في المصطلح:

٦- اقترح الأفغاني في ملاحظاته تعديل المصطلح: اللسان المفلوج ( Bifid Tongue)، من مصطلحات طب الأسنان، ومعناه: (لسان مشقوق)، ليكون «اللسان الأفلج» بدلاً من «اللسان المفلوج»، وذلك لأن المفلوج قد يظن أنه قد صار هكذا بفعل فاعل، أمّا «الأفلج» فإنه يوكد هكذا. فووفق على أن يكون المصطلح «اللسان الأفلج» وأن يظلّ التعريف كما عرض.

٧- واقترح الأستاذ الأثري والأستاذ الأفغاني في ملاحظتهما أن يقال في المصطلح: مكنة تقوير (Boring Machine)، من مصطلحات طب الأسنان، وهو: (آلة تجويف جسم مصمت)، اقترحا كلمة «مقورة» بدلاً من «مكنة تقوير»، ووافقت اللجنة على هذا الاقتراح. فووفق على أن يكون المصطلح «مكنة مقورة».

#### ج- تصحيح صرفي في تعريف المصطلح:

٨- اقترح الأفغاني في المصطلح: انحراف (ضوء) (Deviation)، من مصطلحات الفيزياء، وهو: (انعطاف شعاع الضوء عن مساره بسبب الانكسار أو الحيود)، كلمة «مسيره» بدلاً من «مساره». وما رأته اللجنة - على ما يرى الأستاذ علي النجدي ناصف - صحيح، لأنّ كلاً من اسمي الزمان والمكان من

مثل الفعل (سار) يجوز أن يكون على (مَفْعَل) و (مَفْعَل) فيما يقول ابن القوطية في كتاب «الأفعال». فووفق على بقاء المصطلح كما عُرِضَ.

٩- وتساءل عن الكاف في كلمة (ديناميكي) الواردة في تعريف المصطلح: طاقة حرّة «كيمياء فيزيقيّة» (Free Energy)، من مصطلحات الفيزياء، ويعني: الجهد الحراري الديناميكي، ويستدلّ عليه بدالّة «جيبز» (Gibbs)، وأحياناً بدالّة «هلمهولتز» (Helmholtz) للطاقة الحرّة): هل الكاف فيها أصلية أو أنّها للنسب؟ ويرى أنّها إذا كانت للنسب فلم لا يقال: «دينامي»؟

١٠- وفضّل: استعمال كلمة «الأخلاق» بدلاً من «المخاليط» الواردة في تعريف المصطلح: ضعيف الانفجار = متفجّر ضعيف (Low Explosive)، من مصطلحات الكيمياء والصّيدلة، وهو: (وصف لمجموعة من الموادّ الكيميائية أو المخاليط غير الثابتة التي تنفجر انفجاراً ضعيفاً عند طرّقها أو تسخينها مثل مسحوق البارود)؛ لأنّ هذا الجمع موضع خلاف. غير أنّ الدكتور مدكور خشي أنّ تكون الكلمة لها دلالة خاصّة، خصوصاً في التفكير اليوناني الأوّل، فيما يتعلّق بالعناصر الأربعة المعروفة، وطلب أنّ يستأذن في ذلك اللغويون. فانبرى الأستاذ علي النّجدي ناصف وقال: لا مانع من جمع «مفعول» على «مفاعيل» إذا غلبت عليه الاسميّة، فووفق على بقاء المصطلح وتعريفه كما عُرِضَ.

١١- واقترح في المصطلح: مَعِدِي فَمِي (Stomatogastric)، من مصطلحات علم الحيوان، وهو: (وصف لما يتعلّق بالمعدة والفم معاً، مثل مجموعة الأعصاب الحشويّة التي تعصب الجزء الأمامي من القناة الهضميّة في الفقاريات) أنّ يقال: مَعِدِي فمويّ بحسب القاعدة. غير أنّ الدكتور مهدي علام أمين المجمع قال: فَمِيّ

وفَمَوِيّ كلاهما صحيح لغويًا. فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.

١٢- واعرَض الدكتور محمد محمود صيَّاد على أخذ لجنة «الفيزياء» باقتراح الأفغاني الذي تلاه الدكتور سيّد رمضان هدّارة الخبير باللجنة، واقترح فيه تعديل «... الشديدة النفاذية» الواردة في تعريف المصطلح: شفاف حراري (حرارة) (Diathermanous)، وهو (صفةٌ للمادّة الشديدة النفاذية للأشعة تحت الحمراء)، إلى «... الشديدة الإنفاذ»- وقال -أي الدكتور صيَّاد- متسائلًا: لماذا أخذت اللجنة برأي الأستاذ سعيد الأفغاني في استعمال كلمة «الإنفاذ» بدلاً من «النفاذية»؟ فأجابه الدكتور الخبير: المقصود هنا «الإنفاذ» لأنها تُنفذ الأشعة. فردّ الدكتور صيَّاد: حين نقول: هذا صخرٌ «شديد المسامية»، فنحن نقصد أن هذه المسامية خاصية في الشيء، وكذلك الحال بالنسبة للنفاذ والنفاذية، فهي أيضًا خاصية، فدخل بينهما الدكتور محمود مختار وقال: الواقع أن هذه المادّة «شديدة الإنفاذ»، وأرى أن لفظ «الإنفاذ» أوضح لأنها تُنفذ الأشعة، لذلك نفضّل أن نقول «شديدة الإنفاذ». فووفق على كلمة «الإنفاذ» كما عدلتها اللجنة.

١٣- واستحسن الأفغاني أن يستفاد من النحت في المصطلح رقم (١١): فوق رسغي (Super Carpal "a")، من مصطلحات علم الحيوان، وهو: (وصف لما يقع فوق الرسغ)، فنقول: «فَوْرُسْغِي»، بدلاً من «فوق رسغي» في هذا المصطلح، وكذلك «فَوْأُذْنِي» بدلاً من «فوق أذني» في المصطلح (٢٨). فأجابه الدكتور مذكور: المجمع كان يستسيغ المركّب المزجي، ولكنه عدل عنه؛ لأنّ اللفظ يتخذ صورة بعيدة الصلة عن الأصل العربيّ أو الأجنبي، وقللنا من استعمال المركّبات، وأفضّل استعمال «فوق رُسْغِي» و«فوق أذني» في كلا المصطلحين. فووفق على بقاء المصطلحين كما عرضا.

د- الإشارة إلى الضبط الصّر في ليتّضح المعنى:

١٤- ورد في المصطلح: كلال (ميكانيكا) (Fatigue)، من مصطلحات الفيزياء، وهو: (حالة إعياء تتاب الفلز فتجعله مهينًا للكسر عندما يتعرّض لإجهادٍ متردّدٍ تقلّ قيمته عن الحدّ الأقصى لإجهاد الكسر)، كلمة (مهينًا) تحتل اسم الفاعل واسم المفعول، ودلالة أحدهما في التعريف هي المطلوبة، فأشار الأفغاني إليها وتساءل: هل المقصود «مهينًا» - بالكسر - أم «مهينًا» - بالفتح - ؟ فردّ الدكتور سيّد رمضان هدّارة الخبير بلجنة الفيزياء وقال: هي «مهينًا» بالفتح. وتمّ ضبطها.

ثانيًا: الحذف، ويندرج تحته:

أ- حذف كلمة في صيغة المصطلح:

١٥- فضّل الأفغاني في المصطلح: «التطهير بسكب الماء»، من ألفاظ الحضارات القديمة والوسطى، وهو: (شعيرة من شعائر المصريين القدماء، فقد كانوا يطهّرون بها موتاهم وقرابينهم)، أن يكون اللفظ: «التطهير بالماء». فووفق على ذلك، وأصبح تعريف المصطلح: التطهير بالماء: (شعيرة من شعائر المصريين القدماء، فقد كانوا يطهّرون بها موتاهم وقرابينهم).

١٦- وأشار الدكتور محمود مختار إلى اقتراح الأستاذ سعيد الأفغاني تعديل المصطلح: إضاءة المرئي مع إعتام الخلفية (ضوء) (Dark field) Illumination، من مصطلحات الفيزياء، وهو: (وسيلة لإظهار الخطوط أو الجسيمات الدّقيقة جدًّا للمرئي بواسطة ميكروسكوب، وذلك بإسقاط الضّوء عليها بزوايا لا تسمح بالدخول المباشر للضّوء خلال الشّيئية فتظهر بذلك تفاصيل الجسم مضيئة على خلفية مظلمة)، ليكون «إضاءة بإعتام الخلفية» بدلاً من «إضاءة المرئي مع إعتام الخلفية». فووفق على ذلك.

١٧- واقتراح الأفغاني في المصطلح: شبه خَيْمي (Subumbellate)، وهو: (وَصَفَ لِنُورَةٍ تَشْبَهُ الْخَيْمَةَ مِثْلَ بَعْضِ نَبَاتَاتِ الْفَصِيلَةِ الْوَرْدِيَّةِ)، وفي المصطلح: شبه مُتْرَاكِب (Succubous)، وهو: (وَصَفَ لِلْأَوْرَاقِ النَّبَاتِيَّةِ الَّتِي يَغْطِي كُلُّ مِنْهَا جِزْءًا مِنَ الْوَرَقَةِ الَّتِي تَلِيهَا)، وكلاهما من مصطلحات النبات - اقترح الاستغناء عن كلمة «شبه» الواردة في المصطلحين، ولم يُوافق على ذلك لأن كلمة «شبه» كما يقول الدكتور المذكور لها دلالتها العلميّة، وقد جرى استعمالها في كثير من المصطلحات العلميّة.

١٨- واقتراح أن يُكْتَفَى في المصطلح: أُذَيْنَةٌ دَقِيقَةٌ ( = Stipellum ) (Stipella)، من مصطلحات علم النبات، وهو: (زائدة صغيرة على عنق وريقات الورقة المركّبة) - ب (أُذَيْنَةٌ)، كما تلاه الدكتور عبد العظيم حفني صابر الخبير بلجنة علوم الأحياء والزراعة، الذي عبّ على اقتراح الأفغاني بقوله: نحن نريد تصغير التصغير، فهل نقول «أُذَيْنَةٌ»؟ فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.

١٩- وعندما عُرِضَ المصطلح: ذُو سُؤَيْقَةٍ (Stipitate)، من مصطلحات علم النبات، وهو: (ما له سُؤَيْقَةٌ)، رأى عبد الله بن محمد بن خميس أنّها «ساق» والجمع «سُوق» ولا داعي للتصغير، فأجابه الدكتور أحمد عمّار: أنّ التصغير هو المقصود هنا، فاقترح الأفغاني أن يقال: «سُؤَيْقِي»، فذلك أسلم، فختم الدكتور حامد جوهر قائلاً: هذا يلتبس بما يُنسب إلى السُؤَيْقَةِ. فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.

ب- حذف كلمة في تعريف المصطلح ليستقيم المعنى:

٢٠- اقترح الأفغاني حذف كلمة «مسؤوليّة» الواردة في تعريف المصطلح: مجلس الأمناء (Board of Trustees)، من مصطلحات التربية، وهو: (مجلس

يتولّى مسؤوليّة الإشراف على شؤون مؤسّسة تعليميّة، وتوجيهها)، لعدم ضرورتها، وأثنى على ذلك الدكتور المذكور وقال: ما دام يوجد في التعريف كلمة «يتولّى» فلا داعي لكلمة «مسؤوليّة». ووفق على ذلك.

٢١- وأشار الطبيب اللغوي الأديب محمّد داوود التّنير الخبير بلجنة المصطلحات الطبيّة عند عرض المصطلح: الخَبْز المنخفض (Bisque, Low)، وهو: (عملية الخَبْز في درجات الحرارة المنخفضة). والمصطلح: الخَبْز العالي (Bisque, High)، وهو: (عملية الخَبْز في درجات الحرارة المرتفعة)، وكلاهما من مصطلحات طبّ الأسنان - إلى رأي الأستاذ الأفغاني في حذف كلمة «عملية» من تعريف المصطلحين، ووفق على ذلك.

٢٢- واقترح الأفغاني أن يقال في تعريف المصطلح: المصروفات غير المباشرة (Overhead (Indirect Expenses)، من مصطلحات التكاليف، ويعني: (النّفقات أو المصروفات التي تستلزمها عمليّات الإنتاج ولا يمكن تحميلها على الوحدات المنتجة، وإنّما تُوزّع على هذه الوحدات كافّة وفقاً لمعدّلات تحميل معيّنة): «النّفقات التي تستلزمها عمليّات الإنتاج»، وتحذف «أو المصروفات». غير أن الدكتور حسين عامر شرف خبير لجنة الاقتصاد الذي تولّى الرّد على الملاحظات قال: «Expenses» لفظ له معانٍ متعدّدة، فإذا قلت: دفعت أجراً فهذا «Expenses»، والإهلاك ليس نفقة مصروفة، فالعامل يحصل على أجر، والآلة إهلاك، وكلاهما نفقة، فالأجر شيء مدفوع يخرج من «الجيب»، في حين أن الإهلاك لا يخرج، بل هو مصروف ويطلق عليه نفقة الإنتاج وهي غير نقدية. وقد آثرنا أن نضع النّفقة والمصروف كمترادفين، حتى يستطيع الباحث أن يفهم معنى المصطلح لذلك، ووفق على بقاء المصطلح وتعريفه دون تعديل.

ثالثاً: التغيير، ويندرج تحته:

أ- تغيير صيغة المصطلح:

٢٣- اقترح الأفغاني في المصطلح: الغجر (Gypsies)، من مصطلحات التاريخ الحديث والمعاصر، وهو: (عشائر متنقلة يقال إنّ أصلها يرجع إلى الهند، وقد وفدت إلى الشرق الأوسط وأوروبا منذ الألف الثالث قبل الميلاد، واشتهرت بتقديم بعض الألعاب والفنون الشعبيّة، ولم تندمج في أيّ الأقطار التي عاشت فيها)، أن يقال «الرُّطّ»: كما يقال عنهم في الكتب القديمة، وخاصّة أنّ هذا الاسم لا يزال يطلق عليهم في الشّام. بيد أنّ الدكتور المذكور رأى الإبقاء على المصطلح كما عرضته اللجنة على أن يكون التعريف كما يلي: «جماعات متنقلة وفدت إلى الشرق... إلخ». فووفق على ذلك.

٢٤- وفضّل أن يقال: «الملعب المكشوف» و«الملعب المسقوف» في المصطلحين: الملعب الداخلي المغطّى (Indoor Field)، من ألفاظ الحضارة، وهو: (ملعب قانوني يحيط به جدران ومغطّى بسقف)، وملعب خارجي (Outdoor Field)، من ألفاظ الحضارة، وهو: (ملعب قانوني في الهواء الطلق). وفضّل الدكتور حامد جوهر: أن يقال: «ملعب مستوفٍ للشروط» بدلاً من «قانوني»، واقترح الدكتور أحمد عز الدين عبد الله أن يقال: «ملعب مستوفٍ لشروط قانون اللعبة». فووفق على أن يكون المصطلحان وتعريفهما كما يلي: الملعب المغطّى (Indoor Field): ملعب مستوفٍ لشروط قانون اللعبة، يحيط به جدران ومغطّى بسقف. والملعب المكشوف (Outdoor Field): ملعب في الهواء الطلق، مستوفٍ لشروط قانون اللعبة.

٢٥- وكان المصطلح: سوء التوافق التعليمي (Maladjustment, Educational)، من مصطلحات التربية ويعني: (عدم استطاعة التلميذ الوصول إلى المستويات التربوية التي تحددها المستويات التعليمية، أو حالة من عدم الرضا تنشأ بسبب التفاوت بين ميول التلميذ وقدراته، وبين نوع التعليم الذي ينخرط فيه)، مدار جدل بين أعضاء المجمع؛ فقد فضل الدكتور عمر فروخ أن يقال في المصطلح: «التنافر التعليمي»، لأن عدم التوافق هو التنافر. واقترح الأفغاني أن يقال في المصطلح: «الإخفاق التعليمي»، لأن التعريف ينصب على سوء التوافق في التعليم، ورأى الدكتور مهدي علام أن «عدم التوافق» أقرب إلى المعنى المقصود. بيد أن الدكتور أحمد كمال عاشور الخبير بلجنة التربية قال: مصطلح «سوء التوافق» شائع، ويؤخذ به في التربية وعلم النفس، كما أنه مقابل للمصطلح الأجنبي «Maladjustment»، فووفق على أن يبقى المصطلح وتعريفه كما عرضا.

٢٦- وطالب الأفغاني استبدال كلمة «الرقاص» المستعملة في سورية (النواس المستعملة في العراق) بـ «البندول» الواردة في مصطلح: البندول القذفي (ميكانيكا) (Ballistic Pendulum)، من مصطلحات الفيزياء، ويعني: (كتلة كبيرة معلقة في قضيب يتحرك حول محور أفقي)، غير أن رئيس المجمع الدكتور إبراهيم مدكور قال في رده على هذه المداخلة: «البندول كلمة قديمة ومعروفة، وهي من الكلمات التي ترجع إلى خمسة قرون مضت أو أكثر، فيجب أن نضع ذلك في الاعتبار، ونترك الاستعمال الإقليمي»، لذلك ووفق على بقاء المصطلح وتعريفه كما عرضا.

- ٢٧- وفَضْلُ أَنْ يُقَالَ فِي الْمِصْطَلَحِ: أَمَانَةٌ صَوْتِيَّةٌ «صوت» (Fidelity, Sound)، من مصطلحات الفيزياء، ويعني: (درجة تطابق الصّوت المستعاد والصّوت الأصلي في جهاز صوتي): «تطابق صوتي» بدلاً من «أمانة صوتية»، لأنّها تطابقت كما ورد في التعريف. فردّ الدكتور محمود مختار أنّ كلمة «أمانة» استعملت كثيراً مقابلاً لكلمة (Fidelity)، فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.
- ٢٨- وقال في مصطلح: كَرْبَنَةٌ (Carbonation-Carbonatation)، من مصطلحات الجيولوجيا، وهو: (عملية كيميائية تتحد فيها الصخور أو المعادن بثنائي أكسيد الكربون من الجوّ أو من الماء، فتتحوّل إلى معادن أخرى، كتحوّل الصّوديوم والبوتاسيوم الذي يوجد بمعظم المعادن إلى كربونات)، قال: أرى أنّ كلمة «كَرْبَنَةٌ» أفضل لأنّها مأخوذة من الكربون، إلّا إذا كان لها معنى آخر في الجيولوجيا، فردّ عليه محبباً الدكتور سليمان محمود سليمان خبير اللجنة: لقد أخذنا كلمة «كَرْبَنَةٌ» مقابل (Carbonization)، أمّا «كَرْبَنَةٌ» فهي من الكربونات. ثمّ فضّل الدكتور مذكور أنّ يقال: «تَكَرُّبُنٌ»، فاعترض الدكتور أحمد عمّار وقال: كلمة «كَرْبَنَةٌ» أفضل؛ فأرجو الإبقاء عليها. فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.
- ٢٩- واقترح في المصطلح: التَحَاتُّ الدَرَنِيّ (Tuberculation)، من مصطلحات الهيدرولوجيا، وهو: (حالة تنشأ فوق السطوح الداخلية لخطوط الأنابيب بسبب وجود موادّ حاتّة في المياه الجارية في الأنبوب، وتؤدي إلى تكوين نتوءات صغيرة على جدران الأنبوب تأخذ شكلاً نصف كروي تقريباً، ومن ثمّ تزداد المقاومة بالاحتكاك)، أنّ يقال: (التدرن)، فأجابه الدكتور مذكور بأنّ المقصود هنا «التحاتّ»، وثنى الدكتور أحمد عمّار قائلاً: «التدرن» هو مرض السّل، والمقصود هنا «التحاتّ». فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.

٣٠- واقترح في المصطلح: المواد المصدرية (مصادر المواد) (Materials, Source)، من مصطلحات التربية، وهو: (النشرات والمطبوعات، أو الأدوات السمعية والبصرية، المستعملة لتوسيع الخبرات التربوية للمتعلم وإثرائها)، أن يقال: (مصادر الكتب)، وفضل الدكتور المذكور: الاستغناء عن «المواد المصدرية» والاكتفاء بمصطلح «مصادر المواد»، فووفق على أن يكون المصطلح «مصادر المواد»، ويبقى التعريف بدون تعديل.

٣١- وفضل استبدال «مدرّس رئيس» بـ «المدرّس الأول» الورد في المصطلح: المدرّس الأول (Master Teacher)، من مصطلحات التربية، ويعني: (المدرّس الذي يشرف على مجموعة من المدرّسين بمدرسة في تخصص معين، ويرشدهم ويوجههم بحكم خبرته التدريسية الطويلة، أو مهارته ومؤهلاته العلمية)، ذلك أن كلمة «الأول» التي يوصف بها «المدرّس» غير دقيقة كما يقول الدكتور عمر فروخ الذي اقترح بديلاً لها «الشيخ» كما سماه ابن خلدون، أو «المربي». غير أن الدكتور المذكور استدرك قائلاً: لقد شاع هذا التعبير -أي المدرّس الأول- في مصر، وناصره الخبير الدكتور أحمد كمال عاشور ورأى أن تعبير ابن خلدون غير شائع، وفضل أن يُبقي المجمع على ما شاع عندنا. فووفق على بقاء المصطلح وتعريفه دون تعديل.

٣٢- وثار جدل حول صيغة المصطلح: أقلاميّ (Styliferous)، من مصطلحات علم النبات، ويعني: (الجزء الذي يحمل الأقلام من الجسم)، ففي حين قال الأفغاني: كنت قد اقترحت في ملاحظاتي أن نقول «مقلم» بدلاً من «أقلاميّ»، باعتبارها اسم مكان، ردّ الدكتور عبد العظيم حفني صابر الخبير بلجنة علوم الأحياء والزراعة فقال: المراد هنا حامل الأقلام، فداخل الدكتور حامد جوهر مقرّر

اللجنة فقال: يقال: «مَقْلَم» في بعض الاستعمالات، و«مُقْلِم» في استعمالات أخرى، وهنا نقول: «مُقْلِم» أي الجزء الذي يحمل الأقلام، فاعترض الدكتور الخبير فقال: «مُقْلِم» تفيد كثرة الأقلام، وهو ليس كذلك، والمراد هنا أنه يحمل أقلاماً. لذلك داخل الدكتور محمد محمود الصياد قائلاً: لا غبار على «مَقْلَمَة» أو «مَقْلَم»، فاقترح الدكتور محمود حافظ أن يقال: «حامل الأقلام»، فثمن اقتراحه الدكتور مذكور وقال: هذا أوضح في الدلالة. فووفق على المصطلح «حامل الأقلام» بدلاً من «أقلامي».

ب- تغيير تعريف المصطلح:

٣٣- رأى الأفغاني في تعريف المصطلح: اختزال الإلماع (CueReduction)، من مصطلحات علم النفس والتربية، ويعني: (عملية يصبح فيها جزء من المثير قادراً على استصدار استجابة كان المثير كله يستصدرها من قبل)، رأى أن يقال: «قيام جانب من المثير بما كان يقوم به المثير كله»، وثمن الدكتور مذكور رئيس المجمع هذا الرأي لأنها تؤدّي المعنى، فأصبح المصطلح وتعريفه كما يلي: اختزال الإلماع (Cue Reduction): قيام جزء من المثير بما كان يقوم به المثير كله.

٣٤- ورأى في تعريف المصطلح: معين سمعي (Aid, Audio)، من مصطلحات التربية، ويعني: (أداة يمكن بواسطتها تيسير عملية التعلّم عن طريق حاسة السمع)، أنه يمكن إيجاز التعريف في كلمات قليلة، ليصبح: «تيسير التعلّم عن طريق السمع»، فووفق على تعديل التعريف ليكون: «أداة تُيسّر التعلّم عن طريق حاسة السمع».

٣٥- واقترح في تعريف المصطلح: تسهيل راجع (Facilitation Retroactive)، من مصطلحات علم النفس والتربية، ويعني: (تقوية ترابط سبق أن اتّصل تكوينه بترابط تكوّن بعده)، أن يكون على النحو التالي: «تقوية ترابط سابق بترابط لاحق»، فووفق على هذا التعديل.

٣٦- واقتراح في تعريف المصطلح: بحث أساسي (Basic Research)، من مصطلحات علم النفس والتربية، ويعني: (البحث الذي يتجه إلى الكشف عن علاقات الارتباط بين التجربة الحسية الواقعية، وبين البنية المفاهيمية بطريقة تؤدي إلى أن تكون النتائج متكاملة ومقنعة)، أن يكون: «البحث الذي يتجه إلى الكشف عن علاقات الارتباط بين التجربة الحسية الواقعية، وبين بنية المفاهيم بطريقة تؤدي...»، فووفق على هذا التعديل.

ج- تغيير كلمات في تعريف المصطلح:

٣٧- تساءل الأفغاني في تعريف المصطلح: الرقائق (Leads)، من مصطلحات ألفاظ الحضارة الحديثة، ويعني: (مساظر من السبكية يقل ارتفاعها عن ارتفاع الحروف، يبدأ سمكها من بنط واحد إلى ثلاثة أبناط، توضع بين السطور لتزيد ما بينها من بياض)، قائلاً: ألا توجد كلمة أخرى بدلاً من «بنط» و«أبناط»؟ فقال الدكتور تمام حسان: نقول: «عيار».

بيد أن الأستاذ إسماعيل شوقي الخبير باللجنة تولى الرد على الملاحظات قال: لقد استقرت كلمة «بنط» و«أبناط» في الاستعمال، وإذا استعملنا غيرها فلن يؤخذ بها، فأثنى الدكتور المذكور وقال: إذن، لا ضرر من استعمال كلمة مُعَرَّبَةٌ ما دامت قد استقرت. فووفق على بقاء المصطلح وتعريفه كما عرض.

د- الاكتفاء بكلمة في المصطلح دون مرادفها:

٣٨- اقترح الأفغاني استعمال «مختبر» بدل «معمل» في المصطلح: معمل «مختبر» (Laboratory)، من مصطلحات الكيمياء والصيدلة، ويعني: (المكان المخصص لإجراء التجارب العلمية)، إذ قال: كلمة «معمل» لها معنى خاص آخر،

أمّا كلمة «مختبر» فقد شاعت في الاستعمال بالمعنى الموجود في التعريف، لذلك أرى الاكتفاء بكلمة «مختبر»، فأجاب الدكتور مهدي علام قائلاً: إذا كان للكلمتين نفس الاستعمال، فما الداعي للتغيير؟ خصوصاً أننا لو أحصينا من يستعملون كلمة «معمل»، لوجدنا أنهم أكثر ممن يستعملون كلمة «مختبر»، فاعترض الدكتور عبد الرزاق محيي الدين وقال: البلاد العربيّة جميعاً تقول «مختبر»، فردّ عليه الدكتور مهدي وقال: إنّ أهل مصر العربيّة يقولون كلمة «معمل». هنا، اكتفى رئيس المجمع الدكتور مذكور بالقول: نضع الكلمتين جنباً إلى جنب. فووفق على ذلك.

رابعاً: الإضافة، ويندرج تحته:

إضافة كلمة في تعريف المصطلح:

٣٩- واقترح في المصطلح: شبه مُعْتَق (Subpetiolate)، من مصطلحات علم النبات، ويعني: (وَصَفَ للأزهار أو الأوراق ذات العنق القصير لا يكاد يُرى)، أن يقال في نهاية التعريف: «... القصير الذي لا يكاد يُرى»، وأثنى الدكتور مذكور على ذلك وقال: لا مانع من هذا التعديل لأنّ المقصود به العنق، وتمّت الموافقة على التعديل المقترح.

٤٠- ولما طلب الأفغاني إضافة كلمة «فيه» إلى نهاية تعريف المصطلح: قابل للتشوّك (Spirulescent)، من مصطلحات علم الحيوان، وهو: (وَصَفَ لما يميل إلى تكوّن الأشواك)، تساءل الدكتور مهدي علام: هل تتكوّن الأشواك فيه، أو هو الذي يكوّن الأشواك؟ فأجابه الدكتور الخبير بأنّه هو الذي يكوّن الأشواك، فقال الدكتور علام في تعريفه: «وَصَفَ لما يميل إلى تكوين الأشواك فيه»، فووفق على هذا التعريف.

خامساً: الإبدال، ويندرج تحته:

أ- إبدال كلمة بأخرى في المصطلح:

٤١- تساءل الأفغاني عن إمكان استعمال «عمود اللوحة» بدلاً من مصطلح: طنبور اللوحة (Plate Cylinder)، من ألفاظ الحضارة الحديثة، ويعني: (الأسطوانة التي تُشدّ عليها لوحة الأوفست تمهيداً لدوران المكنة وبدء الطبع)، ذلك أنّ كلمة «أسطوانة» - على ما يقول الدكتور إسحاق موسى الحسيني - شائعة في مقابل «Cylinder». ومع أنّ الأستاذ إسماعيل شوقي الخبير باللجنة أكدّ أسطوانيتها، استدرك بأنه يطلق عليها «طنبور»، ووافقته على ذلك من مصر الدكتور محمود مختار وقال: كلمة «طنبور» وردت في المعجم الوسيط، وهي مستعملة في مصر. لذلك اكتفى المجمع بهذه المداخلات ووافق على بقاء المصطلح كما عرض.

٤٢- وقال الأفغاني: ذُكر في تعريف المصطلح: المشع التام «ضوء» ( Full Radiator)، من مصطلحات الفيزياء، وهو: (جسم افتراضيّ يمتصّ جميع الأشعة الساقطة عليه، ولا يعكس شيئاً منها، ويطلق عليه كذلك «الجسم الأسود» ( Black Body)، أنّه يمتصّ جميع الأشعة الساقطة عليه، ولا يعكس شيئاً منها...، فرأى أنّ يقال في المصطلح: «الامتص التام» أو «كامل الامتصاص». فردّ الدكتور سيّد رمضان هدارة الخبير بلجنة الفيزياء وقال: الأصل أنّه يشعّ، ولكن إذا سقط عليه شعاع فإنّه لا يعكسه؛ أي إنّ الإشعاع يكون داخلياً. لذلك، قرّر الدكتور مذكور الإبقاء على المصطلح كما هو، فووفق على ذلك.

٤٣- ورأى أنّ تعريف المصطلح: نفثة غازية «ميكانيكا» (Gas Jet)، من مصطلحات الفيزياء، وهو: (غاز مندفع من فتحة ضيقة)، يقتضي أن نقول في

المصطلح «دفعة» أو «دفقة» بدلاً من «نفثة»، فأجابه الدكتور محمود مختار بقوله: الأصل أنها مستمرة مثل الطائفة النفاثة، فعقب الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش مقترحاً القول: «نفث غازي» بدلاً من «نفثة غازية»، فأجابه الدكتور محمود مختار: «نفثة» تؤدّي معنى نفث الغاز الخارج، وأردف الأستاذ محمد عبد الغني حسن قائلاً: «نفثة» هنا مصدر وليست اسم مرّة، فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.

٤٤ - ورأى الأفغاني أن تعريف المصطلح: الحيازة بالواسطة ( Possession Par Intermediaire)، من مصطلحات القانون، ويعني: (حيازة ينوب فيها عن الحائز شخص آخر)، يقتضي أن يكون «الحيازة بالنيابة» وليس «بالواسطة». بيد أن هذا الاقتراح لم يُستحسن إذ عقب الدكتور أحمد عز الدين عبد الله مقرر اللجنة فقال: النائب وسيط بالمعنى العام، ولكن في المعنى القانوني هو نائب، وقد تقيّدنا بالمقابل الفرنسي بالنسبة للمصطلح ووضحنا ذلك في التعريف فقلنا: «... ينوب فيها...»، ويمكن أن نضيف للمصطلح بين قوسين (أو بالنيابة)، وأردف الأستاذ عباس حسن أن كلمة «الواسطة» في موقعها صحيحة ولا غبار عليها، واعترض الأستاذ مصطفى مرعي على إضافة كلمة «بالنيابة» التي اقترحها المقرر، لأنه قد لا تكون هناك نيابة ولا داعي لها. فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.

٤٥ - واستحسن أن يقال في المصطلح: ضيق المدى الضوئي (Stenophotic)، من مصطلحات علم النبات، وهو: (وصف للنبات الذي يحتاج إلى كمية من الضوء ثابتة أو طفيفة التغير): «ضوئي» بدلاً من «ضيق المدى الضوئي»؛ لأن «ضوئي» أسهل في الاستعمال؟ فردّ الدكتور عبد العظيم حفني صابر الخبير بلجنة علوم الأحياء والزراعة قائلاً: التصغير لا يؤدّي المعنى المطلوب، وبقي المقابل كما اقترحه اللجنة.

ب- إبدال كلمة بأخرى في تعريف المصطلح:

٤٦- رأى الأفغاني أنّ كلمة «النسك» الواردة في تعريف المصطلح: المرابطون (Almoravides)، من مصطلحات التاريخ، ويعني: (جماعةٌ من النسك اتخذوا لأنفسهم رباطاً للجهاد والنسك في جزيرة على نهر السنغال، واستطاعوا أن يقيموا لهم دولة كبيرة بشمال إفريقيا في القرن الحادي عشر الميلادي، وكان أشهر أمراءهم يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش المغربية، الذي استولى على الأندلس وقضى على ملوك الطوائف بها)، رأى أنّها تجعل التعبير غير واضح، فاقترح الدكتور المذكور أن يقال: «جماعة دينية». فووفق على ذلك.

٤٧- وفضل الأفغاني أن يقال في تعريف المصطلح: عناصر البلورة (بلورات) (Crystal Elements)، من مصطلحات الفيزياء، ويعني: (مجموعة الزوايا والنسب بين الأطوال المحصورة من محاور البلورة، وهذه العناصر هي التي تعين وضع أي وجه في البلورة)، فضل أن يقال في التعريف: «... التي تعين وضع كل وجه في البلورة» بدلاً من «... أي وجه...».

وقد اعترض الأستاذ عباس حسن على اقتراح الأفغاني وقال: لقد رجعتُ إلى المراجع اللغوية ووجدتُ أنّ «أي» صحيحة وليست بها أية شائبة. فووفق على بقاء المصطلح وتعريفه كما عرضاً.

٤٨- وفضل أن يقال في تعريف المصطلح: مادةً فركهريّة «كهريّة» (Ferroelectric Material)، من مصطلحات الفيزياء، ومعناه: (مادة مستقطبة كهرياً استقطاباً ذاتياً وإن لم تكن في مجال كهري)، فضل أن يقال: «... إذا كانت في مجال كهري»، بدلاً من: «... وإن لم تكن في مجال كهري»، واقترح الدكتور

إبراهيم أدهم الدمرداش أن يقال: «... دون أن تكون ...». وقد تولّى الردّ عليها الدكتور سيّد رمضان هدارة الخبير بلجنة الفيزياء، فقال: هي مادة مستقطبة كهربياً سواء أكانت في مجال كهربيّ أم لم تكن. لذلك، قرّر الدكتور مذكور أنّ التعريف كما ورد أفضل وأوضح، فووفق على بقاء المصطلح وتعريفه كما عرضا.

٤٩- وقرّر أنّ كلمة «تدفّق» الواردة في تعريف المصطلح: زحف التربة ( Soil Creep, or Solifluxion)، من مصطلحات الهدرولوجيا، ومعناها: (تدفّق بطيء لمسافات تكون في العادة قصيرة نسبياً، يُصيب كتلة من التربة بفعل الجاذبيّة الأرضيّة. ويُطلق المصطلح عادة على هذه الظاهرة حين تكون أبطأ وأصغر في الحجم والمدى من ظاهرة الانزلاق الأرضي)، تفيد السرعة، لذلك اقترح أن يقال: «تحرك بطيء». فأجابه الأستاذ المهندس أحمد عبده الشرباصي مقرّر اللجنة، قائلاً: التدفق سريع، والبُطء هنا في الحركة على الأرض. فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.

٥٠- وفضّل في المصطلح: عفنص (Gall)، من مصطلحات الكيمياء والصيدلة، ويعني: (ثؤلول يتكوّن على الأغصان الصّغيرة للبلوط العفصي، غنيّ بالتانين، يستعمل قابضاً، وفي الصباغة، والدباغة، وصناعة الأحبار)، أن يقال «الحبر» بدلاً من «الأحبار» الواردة في نهاية التعريف، فووفق على ذلك.

٥١- واقترح في المصطلح: تخلف ثقافي (Cultural Lag)، من مصطلحات علم النفس والتربية، ويعني: (بقاء عناصر في الثقافة بعد أن تتغيّر الظروف بحيث لا تستطيع هذه العناصر التواءم معها)، أن يقال: عجز عناصر في الثقافة إلخ. واعترض على ذلك الدكتور مذكور رئيس المجمع بأنّ ما اقترحه الأفغاني من عجز عناصر الثقافة ليس عجزاً، بل هو بقاء عناصر ثقافيّة لا تستطيع التواءم

مع الظروف الجديدة. فووفق على ذلك، وأصبح المصطلح وتعريفه كما يلي:  
تخلّف ثقافي: بقاء عناصر ثقافية لا تتواءم مع الظروف الجديدة.

٥٢- واقترح في المصطلح: خلية صلبة (Steroid)، من مصطلحات علم النبات، ويعني: (خلية مُلجّنة من النسيج الدعامي)، أن يقال: «خلية مُلجّنة» بدلاً من «خلية مُلجّنة»، ووافقه على ذلك الأستاذ عباس حسن. ورأى الدكتور مذكور أن «مُلجّنة» كلمة أعجمية، ووافقه الدكتور أحمد عمّار وقال: «مُلجّنة» من «الجّنين»، أمّا «مُلجّنة» فهي من «الجّن». وعليه، فقد ووفق على بقاء المصطلح كما عرض.

٥٣- واعترض الأفغاني على كلمة «الأخصائي» الواردة في تعريف المصطلح: الملاحظة من بُعد (Observation, Nonparticipant)، من مصطلحات التربية، ويعني: (نوع من الملاحظة يحدّث بأن يرصد الباحث أو الأخصائي الجماعات التي تحت الملاحظة من بُعد، دون أن يشارك في حياتها أو فاعليتها)، لأنّها كلمة لا تعني «متخصّصاً»، واعترض عليه الدكتور مذكور إذ رأى أن كلمة «أخصائي» استعملت وشاعت، لذلك ووفق على المصطلح وتعريفه كما عرضاً.

٥٤- واقترح أن يقال في تعريف المصطلح: حماة (Sura "n")، من مصطلحات علم الحيوان، ومعناه: (بطن السّاق (سمانها)): «لبّة السّاق». فردّ الدكتور مذكور عليه قائلاً: اللبّة تكون في الرّقبة. فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.  
سادساً: الغموض، ويندرج تحته:

الإشارة إلى ضبابية في تعريف المصطلحات:

٥٥- اعترض الأفغاني وأشار إلى ضبابية في تعريف المصطلح: الكثيب الرّمليّ (Sand Dune)، من مصطلحات الهدرولوجيا، ويعني: (موجة رملية ذات مقطع عرضيّ مثلث تقريباً (في مستوى رأسيّ وفي اتجاه التدفق) تُكوّنها

الرياح أو المياه الجارية، ويكون انحدارها بسيطاً في الأمام وحاداً في الخلف، وتنتقل الموجة للخلف بتحريك المواد الرسوبية من فوق الانحدار الأمامي وترسبها فوق الانحدار الخلفي)، إذ قال: جاء في التعريف: «... ويكون انحدارها بسيطاً»، وتساءل عما يعنيه هذا التعبير: أيكون الانحدار واسعاً أم خفيفاً؟ فاقترح الدكتور مذكور أن يقال: «ويكون انحدارها خفيفاً في الأمام وحاداً في الخلف...»، ثم اقترح الأستاذ المهندس أحمد عبده الشرباصي أن يقال في التعريف: «... ويكون انحدارها قليلاً في الأمام، وحاداً في الخلف...»، فووفق على ذلك.

٥٦- وبيّن الأفغاني أن تعريف المصطلح: التماوت (Death Feining)، من مصطلحات التربية، ويعني: (جمودٌ في الحركة يصيب الإنسان أو الحيوان عندما يواجه ما يهدّد حياته)، غير واضح؛ لأنّ التماوت هو إظهار الموت. لذلك اقترح رئيس المجمع الدكتور مذكور أن يُردّ المصطلح إلى اللجان لاستكمال إيضاحه. فووفق على ذلك.

٥٧- ورأى أن تعريف المصطلح: سلوك السّيطرة (Chavior, Dominance)، من مصطلحات علم النفس والتربية، ويعني: (سلوك يصدر عن شخص يضع نفسه موضع الموجه للآخرين المنخضع لرغباته) مطوّل، واقترح أن يقال: «... من يُخضع غيره لرغبته». وقد استحسّن الدكتور مذكور هذا الاقتراح فقال: هل يمكن أن يقال: «... محاولاً إخضاع الآخرين لرغباته؟» واستحسّنه الدكتور عبد العزيز السيّد وقال: نقول إذن: «محاولاً إخضاعهم لرغباته»، ورجا وضع عبارة «... يضع نفسه موضع توجيه للآخرين...» بدلاً من «... يضع نفسه موضع الموجه للآخرين...». فووفق على أن يكون تعريف المصطلح على النحو التالي: «سلوك يصدر عن شخص يضع نفسه موضع توجيه للآخرين محاولاً إخضاعهم لرغباته».

٥٨- ورأى أنّ تعريف المصطلح: الدرجة المتوسطة (العلامة المتوسطة) (Mark, Average)، من مصطلحات التربية، ويعني: (درجة تمثل المتوسط أو الوسيط الخاص بتوزيع الدرجات لمجموعة من التلاميذ في مادة دراسية معينة) يحتاج إلى توضيح.

وقد انبرى الدكتور أحمد كمال عاشور الخبير بلجنة التربية لتوضيحه فقال: المقصود أنّ مجموعة من الطلبة حصلوا على درجة في اختبار ما، وهذه الدرجات تُجمع ثم تقسم على عدد هؤلاء الطلاب فيحصل كلُّ منهم على الدرجة المتوسطة.

٥٩- وقال في تعريف المصطلح: الدرجة النسبية (العلامة النسبية) (Mark, Relative)، من مصطلحات التربية، ومعناه: (درجة تمثل التقدير الذي حصل عليه التلميذ مقارنةً بالتقديرات التي حصل عليها زملاؤه في نفس المجموعة المختبرة)، قال: لقد قرأت هذا التعريف ولم أفهمه. وقد تصدّى الدكتور أحمد كمال عاشور الخبير بلجنة التربية لتوضيحه فقال: التعريف معناه باختصار: أنّه بعد الفصل في درجة الطالب يمكن ترتيب الكلّ ترتيباً تنازلياً الأول فالثاني... إلخ، فووفق على بقاء المصطلح وتعريفه كما عرض.

٦٠- واقترح في المصطلح: أ/ يوسف: فاكهة اليوسف المعروفة ب/ مندرين (Mandarine)، من مصطلحات الكيمياء والصيدلة، ومعناه: (أحد أصباغ الأزو ويعرف باسم أورانج، يصبغ به القطن بلون برتقالي)، اقترح أنّ يعرف (اليوسفي) تعريفاً علمياً، كأن تذكر مثلاً فصيلته النباتية، فأجابه الدكتور مذكور أنّ هذا من شأن لجنة الأحياء.

سابعاً: مداخلات متفرقات، ويندرج تحته:

أ- الإشارة إلى خطأ في التعريف:

٦١- أشار الأفغاني إلى خطأ ورد في تعريف مصطلح: المدجنون (Madezars)، من مصطلحات التاريخ، ويعني: (المسلمون من رعايا المسيحيين في إسبانية بعد القرن

الثالث عشر الميلادي، وقد أهملوا لسانهم العربيّ ودينهم، وقوانينهم، وتجمّعوا أخيراً في (الموريسكوس)، وهو أنّ المدجّنين ليسوا مسلمين كما ورد في التعريف. لذلك اقترح رئيس المجمع الدكتور مدكور إعادة المصطلح إلى اللجنة، فووفق على ذلك.

ب- اجتهاد الأفغاني في فهم التعريف:

٦٢- اقترح الأفغاني في تعريف المصطلح: سوبرين (Suberin)، من مصطلحات علم النبات، ويعني: (مادّة تتكوّن في الجدار الغليظ للخليّة النباتيّة الذي تميّز به الأنسجة الفلّينيّة فتجعله صامداً للماء) أن يقال: «مادّة الخليّة النباتيّة التي تتكوّن في جدارها الغليظ الذي تميّز به الأنسجة ... إلخ»، فردّ عليه الدكتور عبد العظيم حفني صابر الخبير بلجنة علوم الأحياء والزراعة، أنّ المقصود هو المادّة التي تتكوّن في جدار الخليّة. لذلك قال الدكتور مدكور: إذن نبقى على التعريف كما عرض. فووفق على ذلك.

٦٣- ورأى الأفغاني أنّ المصطلح: نظام التكاليف التاريخيّة ( Standard Costing)، من مصطلحات التكاليف، ويعني: (نظام يقوم على حصر التكلفة التي حدثت فعلاً بعد الانتهاء من الإنتاج أو إنجاز العمل)، بناء على تعريفه يؤدّي نفس المعنى المراد في المصطلح: نظام التكاليف المعيارية (النمطيّة) (Historical) Costing، من مصطلحات التكاليف، ويعني: (نظام يقوم على تحديد التكلفة مقدّمًا على أسس علميّة - لكلّ عنصر من عناصر التكلفة، والموازنة بينها وبين التكلفة الفعلية، ثمّ تحليل الانحرافات إلى أسبابها)- وهو التكلفة الفعلية؛ فلو سمّي المصطلح «التكلفة الفعلية» وأدمج المصطلحان في مصطلح واحد لكان هذا أفضل، ولا داعي للتكرار. وردّ الدكتور حسين عامر شرف خبير لجنة الاقتصاد بأنّ المصطلحين مختلفان تمامًا، ففي تعريف المصطلح (نظام التكاليف التاريخيّة) هناك عبارة «...»

بعد الانتهاء من الإنتاج أو إنجاز العمل»، وذلك يؤكد أهمية كلمة «التاريخية»، وإبراز نهاية تاريخ معين. أما المصطلح (نظام التكاليف المعيارية (النمطية)، فيعبر عن نظام آخر تُقدّر فيه التكاليف قبل البدء في الإنتاج، أو إنجاز العمل. فووفق على أن يظلّ المصطلحان كما عرضا.

ثامناً: تساؤلات

٦٤- تساءل الأفغاني عن كلمة (شراي) الواردة في تعريف المصطلح: لوبانين (Lupanin)، من مصطلحات الكيمياء والصيدلة، ويعني: (قلواني من بذور نبات الترمس (Lupinus Angustifolius)، وهو سائل أصفر شراي القوام، يتألق بلون أخضر، وهو قليل الذوبان في الماء). فأجاب الدكتور أحمد مدحت إسلام الخبير: كلمة «الشراي» تعني أنه ليس سائلاً تماماً، وإنما به بعض اللزوجة. فووفق على إبقاء المصطلح وتعريفه كما عرضا.

٦٥- وتساءل عن ضرورة التكرار الوارد في تعريف مصطلح: التصيد (Drawing)، من مصطلحات التربية الرياضية، ويعني: (فتح الملاكم ثغرة ليسدّد لكمةً لمنافسه، ثمّ تصيده في وضعه الجديد ويلكمه لكمةً مناسبة)، قال: جاء في التعريف: «فتح الملاكم ثغرةً ليسدّد لكمةً... ويلكمه لكمةً مناسبة»، فهل هذا التكرار ضروري؟ فأجاب الأستاذ بدر الدين أبو غازي مقرّر اللجنة بقوله: هو يهرب منه ليستعدّ لضربه مرّة ثانية. لذلك اقترح الدكتور عمر فروخ أن يقال في المصطلح «الاستدراج» بدلاً من «التصيد». فأجاب رئيس المجمع الدكتور مدكور بأنّ المصطلح يتضمّن معنى الاستدراج، وأفضّل لذلك: «التصيد». فووفق على بقاء المصطلح كما عرض.

٦٦- وتساءل الأفغاني في تعريف المصطلح: طريقة المخصّص المستثمر للإهلاك (الاستهلاك) (Sinking Fund Method)، من مصطلحات التكاليف، ويعني: (طريقة تحميل حساب التشغيل أو حساب الأرباح والخسائر مبلغاً ثابتاً -

بطريقة دورية - لمواجهة إهلاك الأصل مع استثمار هذا المبلغ في أوراق مالية، بحيث تكون جملة هذه المبالغ المستثمرة مع فوائدها المركبة المتجمعة حتى نهاية العمر الإنتاجي للأصل الثابت معادلة للتكلفة. وتستهدف هذه الطريقة أساساً توفير المال السائل لاستبدال الأصل)، تساءل عن العبارة الواردة في نهاية التعريف، هل هي: «لاستبدال الأصل» أم «بالاستبدال للأصل»؟ فأجاب الدكتور حسين عامر شرف خبير لجنة الاقتصاد بأن المقصود بها إبداله بأصل جديد.

لذلك قال الأفغاني: إذن نقول: «إبداله بأصل جديد». فردّ الدكتور أحمد عزّ الدين عبد الله بأن اللام هنا للتعليل «لاستبدال الأصل»؛ فالمعنى المقصود هو أنّ هذه الطريقة تستهدف أساساً توفير المال السائل لاستبدال الأصل، فلسنا هنا بصدد ترك شيء وإحلال شيء محله. وذهب الأستاذ عبد السلام هارون إلى أنّه يمكن القول: «توفير المال السائل لإبدال الأصل». وبعد هذه المناقشة ووفق على أن يظلّ المصطلح وتعريفه كما عرضا.

٦٧ - وكانت للأفغاني ملاحظات على مصطلحات المعجم الفلسفي، ذكر جزءاً منها الدكتور إبراهيم مذكور، قال: «الحقيقة أنّ زميلين من السادة الزملاء تقدّما بملاحظات على الموادّ التي وزّعت...، أمّا الزميل الأستاذ سعيد الأفغاني فهو يريد بالفلسفة أن تكون أدباً ونحن لا نريد لها ذلك، وله ملاحظات على الأخطاء المطبعية، وقد تمّ تصحيحها. أمّا ما يتّصل بالتعبير الأكثر وضوحاً فنحن نرحّب به دائماً. وشيءٌ آخر أنّه يريد استعمال كلمة «الغيبيات» مقابل «الميتافيزيقا»، التي شاعت وعاشت في مصطلحاتنا». (٢٦)

## مُصْطَلَحُ «المُطَارِحَةِ» أُصُولُهُ، وَتَطَوُّرُهُ

د. يس أبو الهيجاء (\*)

اجتذَبَ نَظْرِي مَحْطُوطٌ لابنِ إِيَّازِ البَغْدَادِيِّ مَوْسُومٌ بِ«بِقَوَاعِدِ المُطَارِحَةِ»<sup>(١)</sup>، وهو عُنْوَانٌ طَرِيفٌ لَا نَكَادُ نَقَعُ عَلَى مِثْلِهِ فِي التُّرَاثِ اللُّغَوِيِّ.

وَمِنْ أَوَائِلِ المِصْنَفَاتِ المَعْجَمِيَّةِ الَّتِي نَقَعُ فِيهَا عَلَى ذِكْرِ لِلْمُطَارِحَةِ «جَوَاهِرُ الأَلْفَاظِ» لِقُدَامَةَ بِنِ جَعْفَرِ الكَاتِبِ (ت ٣٣٧هـ)؛ إِذْ ذَكَرَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ «المَخَاصِمَةِ وَالمُشَاقَّةِ»<sup>(٢)</sup>، جَاءَ فِيهِ: «مَا زَالَ يُطَارِحُهُ الكَلَامَ وَيُرَاجِمُهُ أَشَدَّ مِنْ وَخْزِ السَّهَامِ وَوَقَعَ الحُسَامِ».

وَمِنْ قَبْلِ قُدَامَةَ بِنِ جَعْفَرٍ نَجِدُ هَذِهِ المَادَّةَ فِي مُعْجَمِ «العَيْنِ»، إِذْ يَمُرُّ بِهَا لِإِمَامًا، وَكُلُّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ عِنْدَهُ: «طَرَحْتُ الشَّيْءَ فَأَنَا أَطْرَحُهُ طَرَحًا، وَالمَطْرُوحُ: الشَّيْءُ المَطْرُوحُ، لَا حَاجَةَ لِأَحَدٍ فِيهِ. وَالمَطْرُوحُ: البَعِيدُ، نَحْوُ البَلَدَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا.

---

(\*) باحث في علوم اللغة والتراث من الأردن.

(١) هو الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله البغدادي، نحوي من أهل بغداد، اشتغل بالمستنصرية حتى ترأس مشيخة النحو فيها، له «قواعد المطارحة»، و«المحصول في

شرح الفصول»، و«الإسعاف في مسائل الخلاف» توفي سنة ٦٨١هـ.

(٢) جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر: ٣٧٦.

وَجَاءَ فِي «جَمَهْرَةِ اللُّغَةِ» لابنِ دُرَيْدٍ (ت ٣٢١هـ) فِي «بَابِ مَا جَاءَ عَلَى أَفْعُولَةٍ»<sup>(٣)</sup>:  
أَطْرُوْحَةٌ: مَسْأَلَةٌ يَطْرَحُهَا الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ. وَهَذَا مَعْنَى - كَمَا سَنَرَى -  
مُسْتَحَدَّثٌ سَجَّلَهُ ابْنُ دُرَيْدٍ.

والأزهريُّ (ت ٣٧٠هـ) فِي «تَهْدِيبِ اللُّغَةِ» يَعْرِضُ لَهَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ؛ إِذْ  
يَقُولُ: «الليثُ: طَرَحْتُ الشَّيْءَ أَطْرَحُهُ طَرَحًا. قَالَ: وَالطَّرْحُ: الشَّيْءُ الْمَطْرُوحُ  
لِاحْتِجَاجَةٍ لِأَحَدٍ فِيهِ، وَالطَّرُوحُ مِنَ الْبِلَادِ: الْبَعِيدُ. أَبُو عُبَيْدٍ: الطَّرْحُ: الْبُعْدُ، وَقَالَ  
عُرَامٌ: نِيَّةٌ طَوْحٌ وَطَرَحٌ: أَيُّ بَعِيدَةٍ. وَقَالَ غَيْرُهُ: قَوْسٌ طَرُوحٌ: يَبْعُدُ ذَهَابُ  
سَهْمِهَا. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: سَيْرٌ طَرَاحِيٌّ: شَدِيدٌ. وَيُقَالُ: طَرَحَ بِهِ الدَّهْرُ كُلَّ  
مَطْرَحٍ إِذَا نَأَى بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ. ثَعْلَبٌ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: طَرِحَ الرَّجُلُ إِذَا  
سَاءَ خُلُقُهُ، وَطَرِحَ إِذَا تَنَعَّمَ تَنَعُّمًا وَاسْعَاً».

وهنا نرى أن ما ذكره قدامته لم يذكره صاحب «العين»، ولا «الجمهرة»، ولا  
«التّهذيب»، فهو انحرافٌ، لما يُلتفت إليه، وإن كان ابنُ دُرَيْدٍ قد وَقَفَ عَلَى شَيْءٍ  
آخَرَ مِنْهُ، وَهُوَ ذَكَرَهُ لِلْأَطْرُوْحَةِ.

وَجَاءَ الْجَوْهَرِيُّ (ت ٣٩٣هـ) فِي «الصَّحَاحِ» بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَزْهَرِيُّ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ  
عِبَارَةً مُنْبَتَةً، لَمْ يَقِفْ عَلَيْهَا الْأَزْهَرِيُّ، وَهِيَ قَوْلُهُ<sup>(٤)</sup>: «وَمُطَارَحَةُ الْكَلَامِ مَعْرُوفٌ»،  
وَهُوَ يُشِيرُ - عَلَى الْأَغْلَبِ - إِلَى مَا ذَكَرَهُ قَدَامَتُهُ أَنفًا. وَتَقَلَّ هَذِهِ الْعِبَارَةُ بِنَصِّهَا نَشْوَانُ

(٣) جمهرة اللغة، لابن دريد ٣/٣٧٩.

(٤) الصحاح: «طرح».

الحَمِيرِيُّ (ت ٥٧٣هـ) في «شمس العلوم» دُونَ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهَا أَيضًا<sup>(٥)</sup>. وَتَبَعَهُ الرَّازِيُّ فِي «مَخْتَارِ الصَّحاحِ» (ت ٦٦٦هـ) وَابْنُ مَنْظُورٍ (ت ٧١١هـ) فِي «اللَّسَانِ». وَالْفَيْرُوزُ أْبَادِي (ت ٨١٧هـ) فِي «القاموس»، وَالزَّيْدِيُّ (ت ١٢٠٥هـ) فِي «التاج»<sup>(٦)</sup>.

وَجَعَلَ صَانِعُو «المعجم الوسيط» مُطَارَحَةَ الكَلَامِ عَلَى مَعْنَى المَحَاوَرَةِ وَالمُبَادَلَةِ، وَلَمْ يُشِيرُوا إِلَى أَيِّ مِنَ المَعْنِيَيْنِ السَّالِفَيْنِ، وَكَذَا جَاءَ فِي المَعْجَمِ العَرَبِيِّ الأَسَاسِيِّ<sup>(٧)</sup>، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرُوهُ مَعْنَى مُحَدَّثٌ. أَمَّا المَعْجَمُ الوَجِيزُ فَقَدْ جَاءَ فِيهِ: «طَارَحَهُ الحَدِيثَ وَنَحْوَهُ»: حَاوَرَهُ وَبَادَلَهُ. وَجَاءَ فِي دَائِرَةِ مَعَارِفِ القَرْنِ العِشْرِينَ<sup>(٨)</sup>: «طَارَحَهُ الكَلَامَ: جَاوَبَهُ وَنَاطَرَهُ».

وَالخَلِيقُ بِالذِّكْرِ ههنا أَنَّ الرَّازِيَّ يُضِيءُ هَذَا المَعْنَى فِي «مَخْتَارِ الصَّحاحِ»؛ إِذْ يَذْكَرُ بِوَضُوحٍ مَعْنَى المِشَارَكَةِ فِي هَذَا المِصْطَلَحِ؛ فيقول: «المُطَارَحَةُ إِلقاءُ القَوْمِ المَسَائِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ». وَهَذِهِ أَوَّلُ إِشَارَةٍ بَيِّنَةٍ إِلَى اسْتِعْمَالِ مُصْطَلَحِ «المُطَارَحَةِ» عَلَى هَذَا الوَجْهِ، وَهِيَ أَيْنُ مِمَّا رَأَيْنَا عِنْدَ الزَّخْشَرِيِّ. وَتَبَّهَ إِلَيْهِ الزَّيْدِيُّ فِي «التاج»؛ فَأوردَ: «وَتَطَارَحُوا أَلْقَى بَعْضُهُم المَسَائِلَ عَلَى بَعْضٍ».

### مِرَاةُ المِصْطَلَحِ:

إِذَا اسْتَقْرَأْنَا نُصُوصَ كُتُبِ التَّرَاثِ، وَقَابَلْنَا مَا جَاءَ فِيهَا بِمَا سَجَّلَهُ أَرْبَابُ المَعْجَمَاتِ، وَجَدْنَا بَادئًا أَنْ اسْتِعْمَالَ مُصْطَلَحِ «المُطَارَحَةِ» عَزِيزٌ مَا خِلا مَا جَاءَ فِي

(٥) شمس العلوم لنشوان الحميري ٧/ ٤١٠٢.

(٦) مختار الصحاح واللسان والقاموس المحيط والتاج: «طرح».

(٧) المعجم العربي الأساسي «طرح».

(٨) دائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٧٠٠.

كتاب «الأغاني». ومن أوائل من نجدهم يعرضون لهذا المصطلح أشجع السلمي (ت ١٩٥ هـ)، إذ يقول<sup>(٩)</sup>:

وَكَأَنَّ صَوْتَ الْمَاءِ فِي حَافَتِهِ زَجَلُ الْقِيَانِ تُطَارِحُ الْأَصْوَاتَا  
وِيلِيهِ مَا ذَكَرَ الْجَاحِظُ (ت ٢٥٥ هـ) مِنْ مَعْنَى «الْمَطَارِحِينَ» فِي «رَسَائِلِهِ»؛ إِذْ  
جَاءَ فِي «كِتَابِ الْقِيَانِ» يَصِفُ الْقَيْنَةَ<sup>(١٠)</sup>: «ثُمَّ لَا تَنْفَكُ مِنَ الدَّرَاسَةِ لِصِنَاعَتِهَا  
مُنْكَبَةً عَلَيْهَا، تَأْخُذُ مِنَ «الْمَطَارِحِينَ» الَّذِينَ طَرَحَهُمْ كُلَّهُ تَجْمِيشٌ<sup>(١١)</sup> وَإِنْشَادُهُمْ  
مُرَاوَدَةٌ». وَمَا نَقَلَ عَنْهُ النُّوَيْرِيُّ (ت ٧٣٣ هـ) فِي «نَهَايَةِ الْأَرْبِ»<sup>(١٢)</sup>: «الْبُلْبُلُ  
مَوْصُوفٌ بِحُسْنِ الصَّوْتِ وَالْحَنْجَرَةِ. وَمِنْ شَأْنِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ حَازِقٍ أَنْ يُطَارِحَهُ  
إِنْسَانٌ بِشَكْلِ صَوْتِهِ، فَيَتَدَرَّبُ وَيَتَعَلَّمُ وَيَحْسُنُ صَوْتَهُ».

إِنَّ مُصْطَلَحَ «الْمَطَارِحَةِ» كَمَا نَرَى فِي هَذِهِ النُّصُوصِ هُوَ مُصْطَلَحُ غِنَائِي بَيْنٌ، وَهُوَ  
- عَلَى الْأَعْلَبِ - أَوَّلُ انْحِرَافٍ يَدْخُلُ دَائِرَةَ الْمِصْطَلَحِ مِنْ هَذَا الْمَشْتَقِّ، وَقَدْ ذَكَرَهُ  
الْأَصْفَهَانِيُّ (ت ٣٥٦ هـ) فِي «الْأَغَانِي» كَثِيرًا، وَلَمْ يَعْرِضْ لِشَيْءٍ مِنْ مَعْنَاهُ، نَحْوُ<sup>(١٣)</sup>:  
«حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْخَرَّازِ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ مُنَازِرٍ: وَيْحَكَ! لَسْتُ أَرَى نِسَاءً ثَقِيفٍ  
يُنْحَنَ عَلَى عَبْدِ الْمَجِيدِ نِيَاحَةً عَلَى اسْتِوَاءٍ، قُلْتُ: فَمَا تُحِبُّ؟ قَالَ: تَخْرُجُ مَعِيَ حَتَّى

(٩) ينظر: أشجع السلمي، حياته وشعره: ١٩٤. ومحاضرات الأدباء ٤/٤٥٢.

(١٠) رسائل الجاحظ ٢/١٧٦.

(١١) التجميش: المغازلة.

(١٢) نهاية الأرب ١٠/١٥٣-١٥٤.

(١٣) الأغاني ١٨/١٨٤.

أَطَارِحَكَ، فَطَارَحَنِي الْقَصِيدَةَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَدَّ رُكْنًا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ

هَدَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ رُكْنِي وَقَدْ كُنْتُ بِرُكْنِ أَبِوِّ مِنْهُ شَدِيدِ

قَالَ: فَمَا زِلْتُ حَتَّى حَفِظْتُهَا وَوَعَيْتُهَا، وَوَضَعْنَا فِيهَا لِحْنًا، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ

الَّتِي يُنَاحُ بِهَا عَلَى عَبْدِ الْمَجِيدِ فِيهَا، صَلَّى لَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، ثُمَّ

خَرَجْنَا إِلَى دَارِهِمْ، وَقَدْ صَعِدَ النِّسَاءُ عَلَى السَّطْحِ يَنْحَنُ عَلَيْهِ، فَسَكَنَ سَكَنَةً هُنَّ،

فَانْدَفَعْنَا أَنَا وَهُوَ نَنُوحُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعْنَا أَقْبَلْنَ يَلْطَمْنَ وَيَصْحَنَ، حَتَّى كِدْنَ

يَنْقَلِبْنَ مِنَ السَّطْحِ إِلَى أَسْفَلِ، مِنْ شِدَّةِ تَشْرِيفِهِنَّ عَلَيْنَا، وَإِعْجَابِهِنَّ بِمَا سَمِعْنَهُ مِنَّا.

وَعَلَى طَوْلِ هَذَا النَّصِّ، فَإِنَّهُ يُظْهِرُ مَفْهُومَ الْمُطَارَحَةِ مُصْطَلَحًا غِنَائِيًّا. وَلَمْ نَرَ

أَحَدًا تَعَرَّضَ لَهُ مَا خِلا الزَّمْحَشَرِيِّ، الَّذِي التَّقَطَّ هَذَا الْمُصْطَلَحَ وَسَجَّلَهُ، وَلَمْ يُجَلِّ

كَلَامُهُ مِنْ غُمُوضٍ، فَقَدْ رَأَيْنَاهُ يَقُولُ: «وَطَارَحْتُهُ الْعِلْمَ وَالْغِنَاءَ وَتَطَارَحْنَاهُ»، وَلَا

يُقْبَلُ هَذَا الْجَمْعُ بَيْنَ مُطَارَحَةِ الْعِلْمِ وَمُطَارَحَةِ الْغِنَاءِ إِلَّا تَجَوُّزًا، إِنْ سَلَّمْنَا بِدِقَّةٍ

نَقَلَ هَذَا النَّصَّ عَنِ الزَّمْحَشَرِيِّ.

وَقَدْ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ الْبُسْتَانِيُّ عِبَارَةَ الزَّمْحَشَرِيِّ فزَادَهَا التَّبَاسًا؛ إِذْ قَالَ فِي

«الْبُسْتَانِ»: «تَطَارَحُوا: أَلْقَى بَعْضُهُمْ مَسَائِلَ الْعِلْمِ وَالْغِنَاءِ عَلَى بَعْضٍ». وَجَاءَ

الْعَلَامَةُ سَعِيدُ الشَّرْتُونِيُّ فِي «ذَيْلِ أَقْرَبِ الْمَوَارِدِ» فزَادَ الْأَمْرَ التَّبَاسًا فَوْقَ التَّبَاسِ؛

فَقَالَ<sup>(١٤)</sup>: «طَارَحَهُ الْكَلَامَ وَالشُّعْرَ وَالْغِنَاءَ مُطَارَحَةً نَاطِرَةً وَجَاوِبَةً، وَأَلْقَى كُلَّ

مِنْهُمْ الْأَسْئَلَةَ عَلَى الْآخَرِ، وَتَطَارَحْنَا الْعِلْمَ وَالْغِنَاءَ: أَلْقَى بَعْضُنَا مَسَائِلَ الْعِلْمِ

(١٤) ذَيْلِ أَقْرَبِ الْمَوَارِدِ «طَرَح».

والغناء على بعضٍ». وهذا خلطٌ شديدٌ لهذه المصطلحات، واختصارٌ مُجَلِّ لفاهيمها. ولَسْنَا نَدْرِي مَا مَسَائِلُ الْغِنَاءِ الَّتِي يُتَطَارَحُ فِيهَا؟! إِلَّا إِنْ كَانَ قَرَأَ عِبَارَةَ الزَّمْخَشَرِيِّ فَالتَّبَسَّ عَلَيْهِمَا الْمَعْنَى، وَهُوَ الظَّاهِرُ.

وَلَا نَقَعُ عَلَى مَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْمِصْطَلِحِ بَعْدَ الزَّمْخَشَرِيِّ، إِلَّا مَا ذَكَرَهُ رِينَهَارَتُ دُوزِي (ت ١٨٨٣ م)؛ إِذْ فَسَّرَ<sup>(١٥)</sup>: «طَارَحَهُ الْغِنَاءُ» ب: «عَلَّمَهُ لَحْنًا مِنْ الْغِنَاءِ»، وَهَذَا - فِيمَا أَرَى - بَعْضُ مَفْهُومِ هَذَا الْمِصْطَلِحِ، فَالْمُطَارَحَةُ - مُصْطَلِحًا غِنَائِيًّا - يُمْكِنُ اسْتِنْتَاجُ دَلَالَتِهَا مِنْ النُّصُوصِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ عَلَى أَنَّهَا تَعْنِي: التَّلْحِينَ وَالْمُحَاكَاةَ وَالتَّرْدَادَ، وَهِيَ مَعَانٍ ظَاهِرَةٌ فِي كُلِّ النُّصُوصِ الَّتِي حَشَدَهَا الْأَصْفَهَانِيُّ<sup>(١٦)</sup>. وَذَكَرَ مِنْهَا أَيْضًا الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ (ت ٣٨٤ هـ) فِي «نَشْوَارِ الْمَحَاضِرَةِ»<sup>(١٧)</sup>. وَقَدْ جَعَلَ دُوزِي «الْمُطَارِحَ» الْمَغْنَى؛ إِذْ قَالَ<sup>(١٨)</sup>: «مُطَارِحٌ» الَّتِي وَرَدَتْ فِي بَيْتِ ذَكَرَهُ الْمُقْرِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تُتْرَجَمَ إِلَّا بِمَا مَعْنَاهُ «مُغْنٍ»، وَهُوَ يَعْنِي مَا رَوَاهُ الْمُقْرِي مِنْ قَوْلِ الرَّصَائِيِّ<sup>(١٩)</sup>:

و«مُطَارِحٌ» مِمَّا تَجَسُّ بِنَانُهُ      لَحْنًا أَفَاضَ عَلَيْهِ مَاءَ وَقَارِهِ  
يُثْنِي الْحَمَامَ فَلَا يَرُوحُ لُوْكَرِهِ      طَرَبًا، وَرَزُقُ بَيْنِهِ فِي مِنْقَارِهِ

(١٥) تكملة المعاجم العربية ٣١ / ٧.

(١٦) ينظر الأغاني: طارح: ٣٤٨ / ١٥، طارحها: ٣٦٣ / ٨، طارحته: ٣٦٣ / ٨...

(١٧) نشوار المحاضرة ١٣١ / ٧.

(١٨) تكملة المعاجم العربية: ٣١ / ٧.

(١٩) نفح الطيب ١٣٨ / ٤.

وَكَلَامٌ دُوْرِي دَقِيْقٌ إِلَى حَدِّ بَعِيْدٍ، وَهُوَ يَنْطَلِقُ هَهُنَا مِنْ نَظَرٍ تَطْبِيقِيٍّ إِلَى هَذَا الْمُصْطَلِحِ.

وَالجاذِبُ لِلنَّظَرِ أَنَّ مُصَنَّفِي الكُتُبِ التي عَرَضَتْ لِلْمَوْسِيقَا العَرَبِيَّةِ والغناء وَأَرَّخَتْ لها وَلِنَشَأَتِها، وَلِفَنونِها وَمُصْطَلِحَاتِها - فِيمَا أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِ - مُنْذُ العَصْرِ الجَاهِلِيِّ لَمْ يَتَوَقَّفُوا عِنْدَ هَذَا المِصْطَلِحِ، عَلى قَدَمِهِ وَأَصَالَتِهِ<sup>(٢٠)</sup>. وَعَلى رَأْسِ هؤُلاءِ المَحْقِقِ أَحْمَدِ تيمور<sup>(٢١)</sup> فِي مِصْنَفِهِ «المَوْسِيقَا والغناء عِنْدَ العَرَبِ»، وَأَلْمَبِهِ «مُعْجَمُ المَوْسِيقَا العَرَبِيَّةِ»، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ عَلَيْهِ<sup>(٢٢)</sup>.

وَلَعَلَّ هَذَا المِصْطَلِحَ العِغْنَائِيَّ بُنِيَ عَلى ما ذَكَرَهُ أَبُو الحَسَنِ الهُنَائِيَّ (ت ٣١٠هـ) فِي «الْمُنْجِدِ فِي اللُّغَةِ»<sup>(٢٣)</sup>، وَالصَّاحِبُ ابْنُ عِبَّادٍ (ت ٣٨٥هـ) فِي «المَحِيطِ فِي اللُّغَةِ»<sup>(٢٤)</sup>، وَالجَوْهَرِيُّ (ت ٣٩٣هـ) فِي «الصَّحاحِ»<sup>(٢٥)</sup> مِنْ مَعْنَى «التَّطْرِيحِ» فِي حَبِّ الفَرَسِ، وَهُوَ بُعْدُ القَدْرِ فِي الأَرْضِ، وَمَا يَحْمِلُ هَذَا المَفْهُومُ مِنَ الإيقاعِ وَالتَّكْرارِ.

(٢٠) ينظر: تاريخ الموسيقى في الجزيرة العربية والأندلس، و«تاريخ الموسيقى العربية حتى

القرن الثالث عشر الميلادي»، و«موجز تاريخ الموسيقى والغناء العربي».

(٢١) ينظر: الموسيقى والغناء عند العرب: ٦٥، ١٦٦.

(٢٢) معجم الموسيقى العربية: ٩٨.

(٢٣) المنجد في اللغة: ١٥١.

(٢٤) المحيط في اللغة: «طرح».

(٢٥) الصحاح: «طرد».

وَنَرَى عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ الْبَيْهَقِيِّ (ت ٣٢٠هـ) فِي «الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي» مَفْهُومًا جَدِيدًا لـ «الْمَطَارَحَةِ»؛ إِذْ يَرَوِي<sup>(٢٦)</sup>: «ثُمَّ اتَّخَذَ الرَّشِيدُ الْحَسَنَ اللَّؤْلُؤِيَّ بَعْدَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ عَلَى الْمَأْمُونِ، فَبَيَّنَّا هُوَ يُطَارِحُهُ شَيْئًا مِنْ الْفِقْهِ إِذْ نَعَسَ الْمَأْمُونُ. فَقَالَ لَهُ اللَّؤْلُؤِيُّ: نِمْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ! فَقَالَ الْمَأْمُونُ: سُوقِيَّ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ! خُذُوا بِيَدِهِ». وَبَيِّدُوا بَيِّنًا أَنَّ «الْمَطَارَحَةَ» هَهُنَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ بَابِ إِقَاءِ الْمَسَائِلِ.

وَنَجِدُ هَذَا الْمَفْهُومَ عَلَى لِسَانِ الْقَاضِي الْجُرْجَانِيِّ (ت ٣٦٦هـ)؛ إِذْ يَقُولُ فِي مَعْرِضِ كَلَامِهِ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ<sup>(٢٧)</sup>: «وَلَوْ كَانَ التَّعْقِيدُ وَعُمُومُصُ الْمَعْنَى يُسْقِطَانِ شَاعِرًا لَوَجَبَ الْأَيْرَى لِأَبِي تَمَّامٍ بَيْتٌ وَاحِدٌ؛ فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ لَهُ قَصِيدَةً تَسَلَّمَ مِنْ بَيْتٍ أَوْ بَيْتَيْنِ قَدْ وَفَرَ مِنَ التَّعْقِيدِ حَظُّهُمَا؛ وَأُفْسِدَ بِهِ لَفْظُهُمَا، وَلِذَلِكَ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ فِي مَعَانِيهِ، وَصَارَ اسْتِخْرَاجُهَا بَابًا مُنْفَرِدًا؛ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ، وَصَارَتْ تُنْتَظَرُ فِي الْمَجَالِسِ مُطَارَحَةَ آيَاتِ الْمَعَانِي، وَالْغَازِ الْمُعْمَى». «وَالْمَطَارَحَةُ» هَهُنَا أَيْضًا هِيَ مِنْ بَابِ إِقَاءِ الْمَسَائِلِ، وَقَدْ رَأَيْنَاهُ يَجْعَلُهَا تَسْعُ لِتَسْتَوْعِبَ الْأَلْغَازَ.

وَنَرَى نَصًّا ثَالِثًا لِأَسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ (ت ٥٨٤هـ) فِي كِتَابِهِ «الْبَدِيعِ فِي نَقْدِ الشُّعْرِ»؛ إِذْ يَذْكُرُ «بَابَ الْاِلْتِقَاطِ»؛ فَيَقُولُ<sup>(٢٨)</sup>: «اعْلَمْ أَنَّ «الْاِلْتِقَاطَ» هُوَ مَا

(٢٦) المحاسن والمساوي: ٦٤٢.

(٢٧) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤١٧.

(٢٨) البديع في نقد الشعر: ٢٨٨.

يَتَطَارَحُهُ الْعُلَمَاءُ وَالشُّعْرَاءُ وَالْكَتَّابُ بَيْنَهُمْ، وَهُوَ أَنْ يُطْرَحَ بَيْتٌ وَيُؤَلَّدَ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُ بَيْتٌ، أَوْ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، مِثْلَ مَا ذَكَرَ فِي كِتَابِ الصَّنَاعَتَيْنِ التَّفْهِيمِ وَالِاتِّقَاطِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ مُلَفَّقًا مِنْ أَيْبَاتٍ قَبْلَهُ. وَالْمَطَارَحَةُ هَهُنَا أَيْضًا تَحْمَلُ الْمَفْهُومَ نَفْسَهُ الَّذِي وَرَدَ فِي النَّصِّينِ السَّابِقَيْنِ. فَهِيَ نَمَطٌ مِنَ الْحِوَارِ، أَوْ فَلَنْقُلَ مِنَ الْحِوَارِ الْمَلْحَقِ بِمِصْطَلَحَاتِ الْحِجَاجِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي صُلْبِهَا؛ لِأَنَّهَا تَتَنَاوَلُ الشَّكْلَ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الْحِوَارُ لَا مَضْمُونَهُ كَالْمِغَالِطَةِ وَنَحْوِهَا.

وَإِذَا عُدْنَا إِلَى الْمَعْجَمَاتِ رَأَيْنَا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سَجَّلَ هَذَا الْمَفْهُومَ لـ «الْمَطَارَحَةِ» إِنَّمَا هُوَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي «الْمُحَكَّمِ»، وَلَيْتَنَ قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ «وَأَرَاهُ مُؤَلَّدًا»، وَتُنَوَّقَلُ ذَلِكَ عَنْهُ، فَحَنُّ نَقُولُ: هُوَ مُؤَلَّدٌ يَقِينًا، وَيَبْدُو أَنَّهُ ظَهَرَ بَعْدَ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ، وَوَلَّعَلَّ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ. وَمِنَ الْمُرْجَحِ أَيْضًا - كَمَا ذُكِرَ - أَنَّ «الْمَطَارَحَةَ» - مُصْطَلَحًا غِنَائِيًّا - أَسْبَقُ مِنْ هَذَا الْمَفْهُومِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ، فَجَعَلُوا الْغِنَاءَ أَسْبَقُ مِنْ بَزْوِغِ النَّشَاطِ الْعِلْمِيِّ، وَإِنْ كَانَ الْمِصْطَلَحُ بِهِذِهِ الدَّلَالَةِ وَهَذَا الْمَفْهُومُ قَدْ شَهِدَ اضْمِحْلَالَ وَانْحِسَارًا، وَلَمْ نَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ الْمَعْجَمَاتِ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ قَبْلَ الرَّمَخْشِرِيِّ، وَلَا بَعْدَهُ، إِلَّا مَا وَجَدْنَا عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ. فَإِنَّ الْمِصْنَفَاتِ فِي الْغِنَاءِ وَفَنُونِهِ بَقِيَتْ مَحْدُودَةً، وَالسَّبَبُ جَلِيٌّ. وَقَدْ قَالَ بَطْرُسُ الْبُسْتَانِيُّ فِي «مُحِيطِ الْمَحِيطِ»<sup>(٢٩)</sup>: «وَأَصْلُ الْمَطَارَحَةِ فِي الْغِنَاءِ»، وَلَمْ يُعَقَّبْ، وَلَمْ يَقِفْ عَلَى دَوَاعِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ.

(٢٩) محيط المحيط: «طرح».

وقد ذكر أبو حيان التَّوحيديُّ معنى لـ«مطارحة» لم تقف عليه المعجماتُ القديمة ولا الحديثة، إذ قال في «الإمتاع والمؤانسة»<sup>(٣٠)</sup>: «هذا من الفوائد التي كنتُ أحنُّ إليها، وأستبعدُ الظفرَ بها، وما أنفعَ المطارحةَ والمفاتيحةَ وبَثَّ الشكِّ واستمِحةَ النَّفسِ، فإنَّ التَّغافلَ عما تمسُّ إليه الحاجةُ سوءٌ اختياريٌّ، بل سوءٌ توفيقِيٌّ». فـ«المطارحةُ» ههنا تعني بَثَّ ما في النَّفسِ، ومُفاتيحةَ الأقرانِ بما يُخالجُها. وذكرَ هذا المعنى من المتأخِّرين المَقريُّ (ت ١٠٤١هـ) في «نَفْحِ الطَّيْبِ»؛ إذ قال<sup>(٣١)</sup>: «وإنما قَصَدْتُ بالمعابَةِ ما تحتها مِنَ المطارحةِ والمداعِبَةِ».

ولم يُكتَبْ لـ«مُطارحةٍ» من هذه المعاني المذكورةِ الذُّيوعُ والسَّيرورةُ إلا معنى إلقاءِ المسائلِ. ولم يَقِفْ الأمرُ عندَ هذا، بل جعلَ المتأخرونَ من هذا المشتقِّ فَنًّا، وأقبلوا عليه. ويبدو أنَّ أولَ شُيوعِ هذا المصطلحِ في التَّأليفِ الفِقهِيَّةِ، والمنطقيَّةِ، وما تفضي إليه من المسائلِ، وقد رأينا شيئاً من ذلك في نَصِّ البيهقيِّ.

وجاءَ في «أبجدِ العُلومِ»: «وللشيخِ العالمِ بُرهانِ الإسلامِ الزَّرَنوجِيِّ (ت ٦١٠هـ) كِتَابُ سَمَاءِ» تعليمِ المتعلِّمِ طريقَ التَّعلُّمِ «وَجَعَلَهُ فُصُولاً، ومَّا جَاءَ فِيهِ: ولا بُدَّ مِنَ المَذَاكِرَةِ والمُنَاطِرَةِ والمُطَارِحَةِ...، قيلَ: مُطَارِحَةٌ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ تَكَرَّارِ شَهْرٍ»<sup>(٣٢)</sup>. وذكرَ بدرُ الدِّينِ الزَّرَكَشِيُّ (ت ٧٩٤هـ) في مُصنَّفِهِ «المنثور في القواعدِ» أنواعَ

(٣٠) الإمتاع والمؤانسة: ١١٤/٢.

(٣١) نَفْحِ الطَّيْبِ: ١٩٤/٤.

(٣٢) كشف الظنون/٢/١٢٥٧، وينظر: أبجد العلوم ١/١٣٠-١٣٢، وانظر/١/٢٤٣.

الفقه، فأحصى منها عشرةً، جعل رابعها «المطارحات»، وعرفها بأنها مسائلٌ عويصةٌ يقصدُ بها تنقيحُ الأذهان<sup>(٣٣)</sup>. وجاء في كشفِ الظنون: «ذَكَرَ الإِسْنَوِيُّ (ت ٧٧٢هـ)<sup>(٣٤)</sup> في «مَطَالِعِ الدَّقَائِقِ»: أَنَّ المَطَارِحَةَ بِالمَسَائِلِ ذَوَاتِ المَاخِذِ المُؤْتَلَفَةِ المُتَّفِقَةِ، والأجوبةِ المُخْتَلَفَةِ المُفْتَرَقَةِ مما تُشِيرُ أَفْكَارَ العُلَمَاءِ، قَالَ: وَقَدْ رَأَيْتُ لِأَصْحَابِنَا فِي هَذَا المَعْنَى تَصَانِيفَ، ذَكَرَ مِنْهَا: «كِتَابُ المَطَارِحَاتِ» لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ القَطَّانِ (ت ٤٠٧هـ). وَمَا ذَكَرَهُ أَيضًا صَاحِبُ «كَشْفِ الظُّنُونِ» «كِتَابُ المَطَارِحَاتِ» لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ حُسَيْنِ بْنِ القَطَّانِ الشَّافِعِيِّ (ت ٤٢٠هـ)، وَضَعَهُ لِلْمَاتِحَانِ، يَتَطَارَحُ بِهِ الفُقَهَاءُ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِمْ، وَ«المَطَارِحَاتُ فِي المَنْطِقِ وَالحِكْمَةِ»، لِأَبِي الفَتْوحِ شِهَابِ الدِّينِ السَّهْرَوَرْدِيِّ (ت ٥٨٧هـ)<sup>(٣٥)</sup>، وَذَكَرَ لَهُ صَاحِبُ «أَبْجَدِ العُلُومِ» «التَّلْوِيحَاتِ وَالمَطَارِحَاتِ» فِي المَنْطِقِ<sup>(٣٦)</sup>. كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُ كَشْفِ الظُّنُونِ كِتَابَ «جَامِعِ المَبَادِيِّ وَالمَغَايَاتِ فِي عِلْمِ المِيقَاتِ» لِأَبِي عَلِيٍّ المُرَاكِشِيِّ (ت ٦٧٤هـ)، وَهُوَ - عَلَى مَا قَالَ - أَعْظَمُ مَا صُنِّفَ فِي هَذَا الفَنِّ، وَقَدْ رَتَّبَهُ مُصَنِّفُهُ عَلَى أَرْبَعَةِ فُنُونٍ، الرَّابِعُ مِنْهَا فِي المَطَارِحَاتِ؛ لِتَحْصُلِ بِهَا الدَّرَبَةُ وَالقُوَّةُ عَلَى الاسْتِنْبَاطِ<sup>(٣٧)</sup>.

(٣٣) المنشور في القواعد ١٢/١-١٣.

(٣٤) هو جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، فقيه أصولي، انتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره، توفي سنة ٧٧٢هـ.

(٣٥) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي: ٤١/٢٨٦.

(٣٦) أبجد العلوم: ٢/٥٢٩.

(٣٧) كشف الظنون: ١/٥٧٢.

وَنَقَفُ ههنا على مُصَنَّفِ ابنِ إِيَّازَ «قَوَاعِدِ المِطَارِحَةِ» المذکورِ آنفًا. وإنَّما نتوقَّف على هذا الكتابِ، لِعَرِفَةِ شَيْءٍ عن المنهَجِ التَّطْبِيقِيِّ في استعمالِ هذا المِصْطَلَحِ، فَهُوَ مَنْهَجٌ فَرِيدٌ في التَّصْنِيفِ اللُّغَوِيِّ. وابنُ إِيَّازَ بادئًا لا يُوطِّئُ لِكِتَابِهِ بِمَقْدَمَةٍ يُوضِّحُ فيها شَيْئًا عَن استعمالِهِ لهذا المِصْطَلَحِ، إلا ما كانَ من قولِهِ في المَقْدَمَةِ المَقْتَضِبَةِ<sup>(٣٨)</sup>: «فلم يَزَلْ يَعتَلِجُ في صَدْرِي، وَيتردَّدُ في فِكْرِي... أنْ أضعَ كتابًا في قَوَاعِدِ المِطَارِحَةِ، وَأَنصَحَ فيه الطَّالِبِينَ حَقَّ المُنَاصِحَةِ، وَأُرْتَبُهُ ترتيبًا يُقَرِّبُ بِهِ نَفْعَهُ». وقد استعمل هذا المِصْطَلَحَ في مُصَنَّفِهِ مرَّةً واحِدَةً، جاءَ فيها على صُورَةٍ اسمِ الفاعِلِ المِجْمُوعِ؛ إذ قالَ في تَعْلِيقٍ لَهُ على كَلَامِ لابنِ جَنِي<sup>(٣٩)</sup>: «وَهُوَ مَجْزُورٌ، وَيَكْثُرُ ذلِكَ في عِبارةِ المِطَارِحِينَ». ومِصْطَلَحُ «المِطَارِحِينَ» يَشِي بِشِيعِ هذا النَّمَطِ مِنَ الحِوَارِ إِبَّانَ عَهْدِ ابنِ إِيَّازَ، وَبِوُجُودِ مَنْ عُرِفَ بِمِزاوِلَةِ هذا الفَنِّ.

وهو يَبِينِي مَنْهَجَهُ في هذا الكِتابِ على مَفْهُومِ «المِطَارِحَةِ» في إلقاءِ المسائلِ، وهو يَعْنِي بها - كما هو مَوْجُودٌ في كِتابِهِ - تَدَاوُلَ طَرَحِ الأَسْئَلَةِ في المَوْضُوعَاتِ النُّحُويَّةِ أو الصَّرْفِيَّةِ التي يَخُوضُ فيها، وهي أَسْئَلَةٌ مُفْتَرَضَةٌ، تَخْطُرُ بِإِلِ القَارِي،

(٣٨) «قواعد المطارحة» كتاب مخطوط، وهو أيضًا في نسخة «القواعد في النحو»، للحسين بن

بدر بن إياز بن عبد الله البغدادي، وهو ثلاث صور محفوظة في مركز المخطوطات في

معهد إحياء التراث التابع لجامعة أم القرى، والتوثيق من النسخة الأصل، وهي

نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية برقم «٢٢»: (ظ ١).

(٣٩) قواعد المطارحة: (ظ ٢٩).

فِيَادِرُ إِلَى طَرَحِهَا، فِي أُسْلُوبِ حِوَارِيٍّ. وَيَتَّصَمَنُ مَعْنَى «المطارحة» فِي مُصَنَّفِهِ  
الامْتِحَانِ أَيْضًا؛ إِذِ السُّؤَالُ قَائِمٌ عَلَى امْتِحَانِ الْمَسْئُولِ، وَمَعْرِفَةِ رَدِّهِ، وَمَقْدَارِ  
عِلْمِهِ. وَهُوَ يَشْتَجِرُ فِي كَثِيرٍ مِنْ وُجُوهِهِ مَعَ مُصْطَلَحِ يُقَارِبُهُ، وَهُوَ مُتَأَخَّرٌ أَيْضًا،  
أَلَا وَهُوَ مُصْطَلَحُ «المَفَاتِشَةِ»<sup>(٤٠)</sup>، الَّذِي يُقُومُ عَلَى سَبْرِ غُورِ الْحِصَمِ، وَمَعْرِفَةِ  
حُدُودِ عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ.

وَالكِتَابُ - كَمَا يَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ - نَسِيحٌ وَحِدِهِ؛ إِذِ يَقُولُ فِي الْمَقْدَمَةِ: «وَيَبْسُطُ  
عُذْرِي فِي تَقْصِيرِ يَقَعُ، أَنَّهُ تَأْلِيفٌ مُخْتَرَعٌ، وَنَمَطٌ أَنَا فِيهِ مُتَّبِعٌ». وَابْنُ إِيَّازٍ يَعْنِي بِهَذَا  
النَّمَطِ الْمَبْتَدَعَ شَيْئَيْنِ؛ الْأَوَّلُ: عِلْمُ النَّحْوِ بِوَجْهِ خَاصٍّ، وَالثَّانِي: مَنَهْجُهُ فِي التَّأْلِيفِ  
فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَإِلَّا فَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّهُ مَسْبُوقٌ فِي مَسْأَلَةِ «المَطَارِحَاتِ» بِتَصَانِيفِ الْفِقْهِ،  
وَالْمَنْطِقِ. بَلْ هُوَ يَحْتَدِي تَصَانِيفَ الْفِقْهِ، فِي هَذَا النَّمَطِ، وَقَدْ رَأَيْنَا كَلَامَ الزَّرْكَشِيِّ  
أَنْفَاءً. وَهُوَ يَصِفُ مَنَهْجَهُ فِي تَأْلِيفِ مُصَنَّفِهِ هَذَا بِكَلِمَاتٍ مَعْدُودَاتٍ وَحَسْبُ؛ إِذِ  
يَقُولُ<sup>(٤١)</sup>: «وَقَدْ وَضَعْتُهُ عَلَى خَمْسِ مُقَدِّمَاتٍ وَنَتِيجَةٍ». وَهَذِهِ الْمَقَدِّمَاتُ الْخَمْسُ، وَمَا  
تَلَاهَا مِنْ نَتِيجَةٍ قَائِمَةٌ عَلَى مَفْهُومِ «المَطَارِحَةِ» مِنْ إِقَاءِ الْأَسْئَلَةِ، وَالرَّدِّ عَلَيْهَا.

وَنَذْكُرُ هَهُنَا نَمُودَجًا مِنْ مَنَهْجِ ابْنِ إِيَّازٍ فِي مُصَنَّفِهِ، إِذَا جَاءَ فِي كَلَامِهِ عَلَى أَسْمَاءِ  
الْأَفْعَالِ<sup>(٤٢)</sup>: ... فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا كَانَتْ أَسْمَاءٌ فَكَيْفَ دَلَّتْ عَلَى الزَّمَانِ الْمُحْصَلِ؟  
أَجِبْتُ: حَصَلَ ذَلِكَ لَهَا بِالنِّيَابَةِ، لَا بِاسْمِيَّتِهَا الْمَطْلَقَةِ. فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْأَكْثَرُ فِيهَا هَلْ

(٤٠) يَنْظُرُ: الْفَرْجُ بَعْدَ الشَّدَّةِ ٣/ ٢٦٠، وَالْفُصُولُ وَالْغَايَاتُ: ٩٥، وَمَجْمَعُ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ

٣/ ٣٦٩. وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ: ٧/ ٣٦٣.

(٤١) قَوَاعِدُ الْمَطَارِحَةِ: (ظ ١).

(٤٢) قَوَاعِدُ الْمَطَارِحَةِ: (و ١٣).

الأمرُ أو الخبرُ؟ أجبتُ: بأنَّ الأمرَ هو الكثيرُ؛ وذلكَ لأنَّهم يستغنونَ فيه عن الفعلِ الصَّريحِ فيسقطونه بغيرِ عوضٍ، كقولك: لِمَن أشالَ السَّوطُ: (زيدًا)، ولِمَن وضعَ يده على ما تُريدُه: (يدك)، تُريدُ: «أضربُ»، و«ارفعُ». والخبرُ ليسَ كذلكَ. فإن قيلَ: فلمَ بُنيتُ؟ أجبتُ: لوقوعِها موقِعَ فعلِ الأمرِ أو الماضيِ.

وليس ثمةَ مُصنَّفٍ في علومِ اللِّغةِ - فيما وَقَعْتُ عليه - نَحَا مَنحَى ابنِ إِيَّازٍ في مَنهَجِهِ، أو عُنْوَانِ مُصنَّفِهِ. إلا أنَّ السُّيوطيَّ بنى كِتَابَهُ «الأشْبَاهِ والنِّظَائِرِ» على سَبْعَةِ فُنُونٍ، جَعَلَ الخَامِسَ مِنْهَا «في الأَلْغَازِ والأَحَاجِيِّ والمِطَارِحَاتِ والمِمتَحِنَاتِ»، وأردَفَ قَائِلًا: «جَمَعْتُهَا كُلَّهَا في فَنٍّ؛ لِأَنَّهَا مُتَقَارِبَةٌ»<sup>(٤٣)</sup>. وَهُوَ يَسْمُ هذا البَابَ كُلَّهُ بـ «الطَّرَازِ في الأَلْغَازِ». والذي يَحْتَلِقُ التَّوَقُّفَ عَلَيْهِ ما ذَكَرَهُ السُّيوطيُّ في المَقْدِمَةِ مِنْ سَبَبِ تَأليفِ الكِتَابِ؛ إذ يَقولُ<sup>(٤٤)</sup>: «واعلمَ أنَّ السَّبَبَ الحَامِلَ على تَأليفِ ذلكَ الكِتَابِ الأوَّلِ أَنِّي قَصِدْتُ أَنْ أُسَلِّكَ في العَرَبِيَّةِ سَبِيلَ الفِقهِ، فيمَا صَنَعَهُ المُتَأخِرُونَ فِيهِ، وألْفُوهُ مِنْ كُتُبِ الأَشْبَاهِ والنِّظَائِرِ... وَأوَّلُ مَنْ فَتَحَ هذا البَابَ سُلْطَانُ العُلَمَاءِ شَيْخُ الإِسْلامِ عَزُّ الدِّينِ بِنُ عَبْدِ السَّلَامِ». وهذا لا يَدْعُ مَجَالًا لِلشُّكِّ بِأَنَّ هذا المِصْطَلَحَ، على هذه الدَّلَالَةِ فَهْمِي الأَصْلِ.

وَمَنْ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ ثَمَّةَ مُصْطَلَحًا مُتَأخِّرًا مَنحُوًّا يُفْضِي إلى هذا المِصْطَلَحِ، وإنَّ لم تُكْتَبْ لَهُ الشُّهْرَةُ والذِّيوْعُ، وَهُوَ «الفَنَقَلَةُ»<sup>(٤٥)</sup> وَهُوَ يَقومُ على

(٤٣) الأشباه والنظائر في النحو ١/٣-٤.

(٤٤) نفسه: ٤-٥.

(٤٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ٢٩٤. والمصطلحات العلمية، لشوقي ضيف، مجلة مجمع القاهرة، عدد ٨١، والمعجزات والغيبات ٢١/٤٤٣.

مَبْدَأُ السُّؤَالِ وَالْإِجَابَةِ؛ فـ«الْفَنْقَلَةُ» مَنَحُوْتُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَإِنْ قُلْتَ كَذَا... قُلْتُ كَذَا... . وقد بنى أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) كتابه «أسرار العربية» على نمط «الْفَنْقَلَةُ»، على أنه لا يشير في مقدمته القصيرة إلى شيء من هذه المصطلحات.

ونرى هذا المصطلح يأخذ وجهًا أدبيًا عند المتأخرين، وإن لم يسبقوا إليه، إلا أنهم أذاعوه، وأكثروا من استعماله، وهو عندهم يتعلّق بالشعرِ بوجهٍ خاصٍّ؛ إذ نراه يكثرُ في مُصنِّفاتهم، يصفون فيه نمطًا من المحاورات الشعرية، تُظهرُ مقدرة كلِّ من المتحاورين على ارتجالِ أبياتٍ يردُّ فيها على مُحاوره، كِفاحًا أو مُراسلةً، وأقلُّ من ذلك ما جاء نثرًا وترسلاً<sup>(٤٦)</sup>.

على أن هذا المفهوم لم يكن غائبًا عند الأقدمين، بل هو مُوغَلٌ في القَدَمِ، ولعلَّ من أوائل ما جاء من ذلك ما روي عن امرئ القيس وعبيد بن الأبرص، التي بدأها عبيد بقوله<sup>(٤٧)</sup>:

ما حَبَّةٌ مَيْتَةٌ أَحْيَتْ بِمَيْتِهَا      دَرْدَاءٌ مَا أُنْبِتَتْ سُنًّا وَأَضْرَاسًا

فَأَجَابَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

تلك السَّعِيرَةُ تُسْقَى فِي سَنَابِلِهَا      فَأَخْرَجْتُ بَعْدَ طُولِ الْمَكْثِ أَكْدَاسًا

غير أن الكثير من هذا عندهم مَوْسُومٌ بما يُسمونه «المساجلة»<sup>(٤٨)</sup> التي تقوم على المُفَاخَرَةِ، والمباراة، وكثيرًا ما تكونُ بِقَصِيدَةٍ كَامِلَةٍ. ومنها أيضًا ما يُسمونه

(٤٦) ينظر: مجمع الزوائد ١٢١/٨، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة

١/١، ٢٢٦، ٣٥١. والضوء اللامع ١/١٤٩.

(٤٧) ينظر: ديوان امرئ القيس، واللسان «مجس».

(٤٨) انظر البيان والتبيين ٦/٣.

المعاية<sup>(٤٩)</sup>، وإن كانت هذه في الأصل من باب التعمية والألغاز. ومنها أيضًا ما يذكرونه من الإجازة<sup>(٥٠)</sup>. وإن كانت الإجازة تقوم على بيت أو أبيات تبدو ناقصة المعنى، فيقوم المجيز بإكمالها. جاء في الأغاني: «حدثنا أبو زيد عن أحمد بن معاوية: قال: قال لي رجل: تصفحت كتبًا، فوجدت فيها بيتًا جهدت جهدي أن أجد من يجيزه، فلم أجد، فقال لي صديق: عليك بعنان جارية الناطفي، فحيتها فأنشدتها: وما زال يشكو الحب حتى رأته تنفس في أحشائه وتكلمها فما لبثت أن قالت:

ويبكي فأبكي رحمة ليكائه إذا ما بكى دمعا بكيت له دما  
وينظّمها جميعًا أنها قائمة في أصل وضعها على المحاورّة، والرّد. على أن «المطارحة الأدبية» أوسع فضاء من ذلك، وأن الجانب الشعري منها - وهو الكثرة الكاثرة من المطارحات - يحكمه إطار واحد، بل إن جّل المطارحات الشعرية تؤلف في نهاية الأمر ما يشبه القصيدة الواحدة.

وقد جعل المتأخرون من «المطارحة الأدبية» فنًا مستقلًا، وأكثروا منه. بل إننا نجد من صنّف فيه، فقد جمع الطالوي (ت ١٠١٤هـ) شعره وترسلاته في كتاب سماه «سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر»<sup>(٥١)</sup>. كما جمع ابن الملا

(٤٩) الأغاني: ٢٣/٩٥، والتاج «عوي».

(٥٠) انظر: الأغاني ٢٣/٩٤.

(٥١) وهو درويش بن محمد الطالوي، أديب دمشقي، له شعر وترسل، توفي سنة ١٠١٤هـ،

ينظر: خلاصة الأثر: ١/٤١٣، وإيضاح المكنون ٣/٦٢١، والأعلام: ٢/٣٣٨.

الحلبي (ت ١٠٢٠هـ) مکتوباته ومُطارحاته مع أبناء عصره ووسمها بـ«حلبة المناضلة وحلية المناضلة في المطارحة والمراسلة»<sup>(٥٢)</sup>.

فالمطارحة الأدبية ليست من قبيل المطارحة الفقهية أو المنطقية أو اللغوية، التي قوامها الأسئلة وأجوبتها، وهي أوسع من المفهوم الذي ذكره المحدثون لهذه «المطارحة»؛ إذ ترى عبد الله البستاني يعرفها بقوله: «طارحة الشعر والغناء وغيره ناظرة وماتنه»<sup>(٥٣)</sup> فلا المناظرة ولا المماننة تصف المطارحة الشعرية، تلك التي عفل عنها أصحاب المعجمات، ولم يسجلها إلا البستاني. فالمناظرة تحمل معنى الجدال، والسعي لإثبات الحجة، وهي أعلق بمسائل البحث، ولئن اندرجت بعض المطارحات الأدبية تحت «المناظرة» فإن جُلها على غير ذلك. والمماننة ليست بعيدة من المناظرة، ف«المطارحة الأدبية» أبعد مأخذاً وأوسع مدى من المساجلة والمناظرة والمماننة، ويربط بين المتطارحين من الوشائج والعلائق ما لا يربط بين المتناظرين والمتماننين.

وقد ذهب رينهارت دوزي «بالمطارحة» الأدبية مذهباً بعيداً، إذ المطارحة عنده<sup>(٥٤)</sup>: «ما يتبادلُهُ الأديباء ويتراسلونهُ من رسائل وأشعار»، وهذه دائرة مُنداحة، قد تفوق المعنى الأدبي للمطارحة في كثير من وجوهها، وإن كانت

(٥٢) انظر كشف الظنون: ١/٦٨٧.

(٥٣) البستان: «طرح» ويقال: ماتن فلان فلاناً إذا عارضه في جدل أو خصومة.

(٥٤) تكملة المعاجم العربية: «طرح».

أَقْرَبَ التَّعْرِيفَاتِ لِمَفْهُومِهَا. وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا مَا جَاءَ فِي الْمَعْجَمِ الْأَسَاسِيِّ؛ إِذْ هِيَ فِيهِ<sup>(٥٥)</sup>: «طَارَحَهُ الشُّعْرَ، جَاءَ مِنْ مَحْفُوظِهِ بِشُعْرٍ، يَبْنِيهِ عَلَى مَا ذَكَرَ فَلَانٌ مِنَ الشُّعْرِ». فَهَوَّ تَقْيِيدُ بـ«المحفوظ»، وفيها التباسٌ، وليسَ هذا مَسْلَكَ «المطارحةِ الأدبيَّةِ» كما عَلِمْنَا.

وَقَدْ خَصَّصَ - مِنَ الْمَعَاصِرِينَ - حَسَنُ مُحَمَّدٍ نَوْرُ الدِّينِ مُصَنِّفًا فِي «المَطَارِحَاتِ الشُّعْرِيَّةِ فِي جَبَلِ عَامِلٍ»، وَهِيَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ<sup>(٥٦)</sup>: «تَدُلُّ عَلَى الْمُشَارَكَةِ؛ أَيُّ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ وَتَبَادُلِ الْكَلَامِ وَالتَّحَاوُرِ وَالتَّنَاطُرِ، وَمِنْ ثَمَّ التَّرَاسُلِ وَالِإِلْقَاءِ وَالتَّلْقِي، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فِي مَجْلِسٍ أَوْ غَيْرِ مَجْلِسٍ، شَرْطٌ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْمَطَارِحِينَ مَوْضُوعٌ مُعَيَّنٌ وَنَتِيجَةٌ مُعَيَّنَةٌ». وَهَذَا حَدُّ رَكِيكٍ مُضَبَّبٌ لِلْمَطَارِحَةِ الشُّعْرِيَّةِ، يَشْفُ عَنْ مَفْهُومٍ غَيْرٍ وَاضِحٍ لَهَا. وَهُوَ مَحْشُوءٌ بِالْأَلْفَاظِ الْعَامَّةِ، كَتَبَادُلِ الْكَلَامِ وَالِإِلْقَاءِ وَالتَّلْقِي، وَشَرْطُ الْمَوْضُوعِ الْمَعْيَنِ لَا وَجْهَ لَهُ؛ فَلَا تَطَارِحَ فِي غِيَابِ هَذَا الشَّرْطِ أَصْلًا، أَمَّا النَّتِيجَةُ الْمَعْيِنَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا فَمَا نَدْرِي مَا يَعْنِي بِهَا، وَأَيُّ نَتِيجَةٍ هَذِهِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمَطَارِحَةِ؟! وَقَدْ خَصَّصَ مُحَمَّدُ عَلِيُّ الْحَوْمَانِيُّ فِي مَجْلَّةِ «العُرُوبَةِ»<sup>(٥٧)</sup> بَابًا بِعَنْوَانِ «المَطَارِحَاتِ»، وَهُوَ يَجُوزِي مُسَاجَلَاتٍ وَمَطَارِحَاتٍ أَدَبِيَّةً وَنَثْرِيَّةً بَيْنَ الْأَدْبَاءِ.

(٥٥) المعجم الأساسي: «طرح».

(٥٦) مطارحات شعريّة في جبل عامل: ٥٢.

(٥٧) الحركة الأدبية والفكرية في جبل عامل: ٢٩٢، ومطارحات شعريّة في جبل عامل: ٥٢.

وَمِنَ الْمِصْطَلَحَاتِ الَّتِي شَاعَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُحَدِّثِينَ وَأَقْلَامِهِمْ «مُطَارَحَةٌ  
الْغَرَامِ»، وَمُرَادِفُهُ «مُطَارَحَةُ الْحُبِّ»، وَهُوَ مَعْنَى شَائِعٌ ذَائِعٌ عِنْدَهُمْ، يَجْمَعُ مَعَانِيَ  
الْغَزَلِ وَالنَّجْوَى وَبِثِّ الشُّوقِ وَمَا إِلَيْهَا، مِمَّا يَكُونُ مِنَ الشَّأْنِ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ. وَهُوَ  
مُصْطَلَحٌ عَرَفَهُ الْمُتَأَخَّرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَشْتَهَرْ اشْتِهَارُهُ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ  
حِجَّةَ الْحَمَوِيِّ (ت ٨٣٧هـ) فِي «خَزَانَةِ الْأَدَبِ»<sup>(٥٨)</sup>:

قَامَتْ تُطَارِحُنِي الْغَرَامُ جَهَالَةً مِنْ دُونِ صَحْبِي بِالْحِمَى وَرَفَاقِي  
وَذَكَرَ الْمُقَرِّي فِي مَعْنَاهُ<sup>(٥٩)</sup>:

وَفَاضَتْ دُمُوعِي مِثْلَ فَيْضِ دُمُوعِهَا أُطَارِحُهَا تِلْكَ الصَّبَابَةَ وَالْوَجْدَا  
وَجَاءَ فِي سِلْكِ الدَّرَرِ لِلْمُرَادِيِّ (ت ١٢٠٦هـ)<sup>(٦٠)</sup>:

فُوَادٌ لِقَاءِ الْأَحْبَةِ قَدْ صَبَا يُطَارِحُ بِالْأَشْوَاقِ مَنْ نَحْوَهُمْ صَبَاً  
وَقَدْ أَثَبَتَ الْمَعْجَمُ الْعَرَبِيُّ الْأَسَاسِيُّ هَذَا الْمَعْنَى، وَجَاءَ فِيهِ<sup>(٦١)</sup>: «طَارَحَهُ الْغَرَامُ:  
بِادْلِهِ الْحُبِّ»، كَمَا أَثَبَتَهُ «الْمُنْجِدُ»، وَجَبْرَانُ مَسْعُودٌ فِي مُعْجَمِهِ «الرَّائِدِ»<sup>(٦٢)</sup>.

وَنَجَدُ الْمَطَارِحَةَ شَائِعَةً فِي مُصَنَّفَاتِ الْكُتَّابِ الْمَعَاصِرِينَ، وَمِنْ ذَلِكَ: «حِوَارٌ  
وَمُطَارِحَاتٌ»، وَ«مُطَارِحَاتٌ فِي الْفِكْرِ الْمَادِيِّ وَالْفِكْرِ الدِّينِيِّ»، وَ«مُطَارِحَاتٌ  
فِكْرِيَّةٌ فِي الْمَسْأَلَةِ الشَّرْقِيَّةِ»، وَ«مُطَارِحَاتٌ فِي الْمَعْرِفَةِ الْإِيمَانِيَّةِ عِنْدَ النَّوْرَسِيِّ»،

(٥٨) خزانة الأدب لابن حجة الحموي: ٢٦٦.

(٥٩) نفح الطيب: ١٣٩/٤.

(٦٠) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: ٢/٢٩٠.

(٦١) المعجم العربي الأساسي: «طرح».

(٦٢) المنجد والرائد «طرح».

و«مطارحات في فنّ القول»، و«جاذبيّة الحداثة ومقاومة التقليد، مطارحات في الفكر الفلسفيّ المغربيّ المعاصر»، و«الرؤية المزدوجة، مطارحات نقدية في التراث والحداثة»، و«مطارحات ميكافيلي»، ... .

وقد تميّز أحمد صدقي الدجاني من هؤلاء في مُصنّفه «حوار ومطارحات» بأنّه حاول الوقوف على معنى «المطارحة»، ففزع إلى المعجمات، ولعلّه فوجئ بخلوها من هذا المفهوم الذي هو في صدد التّأليف فيه، فجاء بعبارات مُلفّقة مما رأينا في المعجمات، من قبيل «الطرح: الإلقاء، وطرح عليه المسألة ألقاها...» مما لا يمتّ إلى ما يرمي بسبب مُقنع<sup>(٦٣)</sup>.

ولعلّ أصل هذا المعنى عند المحدثين أنّهم ضمّنوا «طرح» معنى: عرض، والمحدثون يستعملون هذا التّضمين كثيرًا في كلامهم وكتاباتهم، من مثل: طرح القضية، وطرح المسألة، والأمر... . وقد سجّل هذا المعنى المعجم الأساسي<sup>(٦٤)</sup>؛ إذ جاء فيه: «طرح القضية للبحث والمناقشة عرضها»، كما جاء في المنجد: «طرح عليه المسألة عرضها»<sup>(٦٥)</sup>. فمعنى «المطارحة» على هذا يأخذ وجهًا جديدًا إننا هو المشاركة في عرض قضية فكرية أو اجتماعية ما، والحوار فيها، ولعلّ ما يؤكّد هذا أنّهم يستعملون للمطارحة مرادفًا آخر، ألا وهو «الطروحات» وهي قريبة منها واستعمالها ذائع شائع.

(٦٣) حوار ومطارحات: ١٢.

(٦٤) المعجم الأساسي: «طرح».

(٦٥) المنجد: «طرح».

## خُلاصَةٌ وَخَاتَمَةٌ:

وَيُمْكِنُنَا أَنْ نَخْلُصَ مِنْ هَذَا الْبَحْثِ إِلَى أَنَّ مَفْهُومَ «الْمُطَارَحَةِ» تَقَلَّبَ مُنْذُ ظُهُورِهِ - فِيمَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ - مَعْدُولًا بِهِ، وَمُنْحَرِفًا عَنِ أَصْلِهِ اللَّغَوِيِّ عَلَى سَبِيلِ الْإِصْطِلَاحِ عَلَى ثِنَايَةِ أَوْجُهُ:

أَوَّلُهَا: الْمَفْهُومُ الْمَبْنِيُّ عَلَى الْمَصْطَلَحِ الْغِنَائِيِّ، وَهُوَ - عَلَى الْأَعْلَبِ - أَقْدَمُهَا.

ثَانِيهَا: مَفْهُومُ الْمَشَاقَّةِ وَالْمُخَاصَمَةِ.

ثَالِثُهَا: الْمَعْنَى الْفَرِيدُ الَّذِي وَجَدْنَاهُ عِنْدَ التَّوْحِيدِيِّ فِي «الْإِمْتِنَاعِ الْمُوَاسَّعَةِ»، وَيَقُومُ عَلَى بَيْتٍ مَا فِي النَّفْسِ وَالْإِفْصَاحِ عَنْهُ، وَلَمْ تُسَجَّلْهُ الْمَعْجَمَاتُ.

رَابِعُهَا: مَفْهُومُ مُدَاوَلَةِ الْعُلُومِ، وَمُرَاجَعَتِهَا، وَالْإِمْتِحَانِ فِيهَا مِنْ طَرِيقِ السُّؤَالِ، وَلَعَلَّ عُلُومَ الْفِقْهِ كَانَتْ أَثَرًا بِهِ، وَإِنْ شَارَكَتِ اللَّغَةَ الْمَنْطِقَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْمَصْنَفَاتِ.

خَامِسُهَا: الْمَفْهُومُ الْأَدَبِيُّ الَّذِي اسْتَأَثَرَ بِهِ الشُّعْرُ بِوَجْهِ خَاصٍّ، وَأَقْلَمَ مِنْهُ النَّثْرُ.

سَادِسُهَا: الْمَفْهُومُ الَّذِي شَاعَ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ، وَإِنْ اسْتَعْمَلَهُ الْمُتَأَخَّرُونَ، وَهُوَ مُبَادَلَةُ الْعَاطِفَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى الْحُبِّ وَالْوُدِّ، وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِـ«مُطَارَحَةِ الْغَرَامِ» أَوْ «مُطَارَحَةِ الْحُبِّ».

سَابِعُهَا: مَا سَجَّلْتَهُ بَعْضُ الْمَعْجَمَاتِ الْحَدِيثَةِ مِنْ مَعْنَى «الْمُحَاوَرَةِ وَالْمُبَادَلَةِ»، وَهِيَ أَعْمٌ مِنَ الْحِوَارِ الْقَائِمِ عَلَى السُّؤَالِ، وَهُوَ يَمْتُّ بِسَبَبٍ إِلَى الْمَفْهُومِ السَّابِقِ، وَإِنْ كَانَ أَوْسَعَ مِنْهُ.

ثَامِنُهَا: وَهُوَ يَمْتُّ أَيْضًا إِلَى الْمَفْهُومِ السَّابِقِ بِصِلَةٍ مَتِينَةٍ، وَإِنْ كَانَ مُصْطَلَحًا مَخْصُوصًا. وَقَدْ رَأَيْنَاهُ فِي مُصْنَفَاتِ الْمُحَدِّثِينَ، كَمَا أَلْفَيْنَاهُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، وَقِوَامُهُ الْحِوَارُ وَعَرَضُ الْأَفْكَارِ وَمَنَاقَشَتُهَا فِي قَضَايَا فِكْرِيَّةٍ أَوْ اجْتِمَاعِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَهُوَ - كَمَا ذَكَرْنَا - قَائِمٌ عَلَى تَضْمِينِ «طَرَحٍ» مَعْنَى جَدِيدًا.

على أن جُلَّ هذه المعاني - عند التحقيق - إنما هي مجازٌ على المفهوم الغنائيِّ للمُطَارَحَةِ. وقد تبدو هذه العلاقةُ ساطِعَةً في معنى بَثَّ ما في النَّفسِ، أو مُطَارَحَةِ الغرامِ، أو خافِتَةً تَلَوُّحٍ من بعيدٍ كما هي في مفهومِ المشاقَّةِ والمُخاصِمَةِ، والمفهومِ الأدبيِّ. فإذا انقلبنا إلى المعجماتِ وجدنا أنَّ القديمةَ منها سجَّلتْ من هذه المعاني ثلاثةً: المعنى الغنائيِّ، والمعنى القائمَ على طَرِحِ الأَسْئَلَةِ، والثالثُ لم تُبيِّنْهُ صراحةً، ورأينا الخَلْطَ فِيهِ، وهو القائمُ على المُخاصِمَةِ والمُشاقَّةِ. أمَّا معجماتُ المحدثينَ فقد سجَّلتْ ثلاثةَ معانٍ زيادةً: المعنى القائمَ على المفهومِ الأدبيِّ، والثاني المحاورَةَ والمبادلةَ، وأمَّا الثالثُ فيختصُّ بالعاطفةِ. ومَعْنِيانِ لم تُسجِّلْهُمَا المُعْجَمَاتُ القديمةُ ولا الحديثُ، وهما: المفهومُ الذي يقومُ على بَثَّ ما في النَّفسِ، وقد رأيناهُ عندَ التَّوْحِيدِ، والآخرُ المفهومُ الذي يدلُّ على عَرَضِ قَضِيَّةٍ من قضايا الفِكرِ أو الاجتماعِ، والحوارِ فيها ومناقشتِها. ونجدُ أنَّ مفهوماتِ «المُطَارَحَةِ» الأربعةَ الأوائلَ لا تكادُ تُستعملُ على ألسنةِ المحدثينَ ولا أقلامِهِم، وذاعتُ الأربعةُ الباقيةُ.

ومن عَجَبٍ، بعدَ ذلك كُلِّهِ، أنَّ المعنى الأدبيَّ للمُطَارَحَةِ، وهو الذي يكادُ يكونُ علمًا على هذا المصطلحِ، لم تُسجِّلْهُ إلا بعضُ المُعْجَمَاتِ الحديثَةِ. وبعْدُ، فإنَّ هذا البَحْثَ الذي جَلَّى مُصْطَلَحًا مغمورًا من مُصْطَلَحَاتِ الثَّرَاثِ، إنما هو أيضًا لَبَنَةٌ منزويةٌ من لَبَنَاتِ المُعْجَمِ التاريخيِّ المنشودِ، وأرجو أنْ أكونَ قد بيَّنتُ شيئًا من وُجُوهِهِ واستعمالِ تِهِ عندَ القَدَمَاءِ والمُحَدِّثِينَ، وأنْ أكونَ بَلَغْتُ في تَجَلِّيَتِهِ مَقْنَعًا وَرَضَى.

والْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا.

## المصادر والمراجع

- الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، ط ١، ١٩٨٦ م.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدى، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: عبد آ. مهنا، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م.
- البيان والتبيين، أبو عمرو الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي.
- تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي، هنري جورج فارمر، تعريب جرجيس فتح الله المحامي، دار مكتبة الحياة.
- تاريخ الموسيقى في الجزيرة العربية والأندلس، جوليان ريبيرا، ترجمة الحسين الحسن، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث «المجمع الثقافي»، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- تكملة المعاجم العربية، دوزي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢ م.
- جاذبية الحدائث ومقاومة التقليد، مطارحات في الفكر الفلسفي المغربي المعاصر، محمد الشيخ، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- الحركة الأدبية والفكرية في جبل عامل، محمد كاظم مكي، دار الأندلس، ط ٢، ١٩٨٢ م.
- حقيقة تاريخ المشرق مطارحات فكرية في المسألة الشرقية، زكريا كايا، منشورات الجبهة الشرقية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م.
- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت.
- الرؤية المزدوجة، مطارحات نقدية في التراث والحدائث، نسيم محمد الصادي، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الرياض، ١٩٨٧ م.
- رسائل الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق عبد السلام هارون.
- مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- المطارحات الشعرية قوانينها، ومعجمها الشعري، دار الضياء للنشر والتوزيع، أحمد الجدع، ط ١، ١٩٨٤ م.
- مطارحات شعرية في جبل عامل، حسن محمد نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٩٠ م.

- مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني، محمد مهدي شمس الدين، دار التعاون للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦م.
- مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، أديب إبراهيم الدباغ، مركز الكتاب للنشر، مصر، ط١، ١٩٩٧م.
- مطارحات في فن القول، محي الدين صبحي، اتحاد الكتب العرب دمشق، ١٩٧٨م.
- مطارحات ميكافيلي، نيقولا ميكافيلي، ترجمة حماد خيرى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.
- معجم الموسيقى العربية، حسين محفوظ، مطبعة دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٤م.
- موجز تاريخ الموسيقى والغناء العربي، صبحي أنور رشيد، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٠م.
- الموسيقى العربية سيمون جارجي، ترجمة جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية بغداد، ط١، ١٩٨٩م.
- الموسيقى والغناء عند العرب، أحمد تيمور، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، ط١، ١٩٦٣م
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٦٨م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد مروة ويوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- المخطوطات:
- قواعد المطارحة، الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله البغدادي، ثلاث صور محفوظة في مركز المخطوطات في معهد إحياء التراث التابع لجامعة أم القرى، والتوثيق من النسخة الأصل، وهي نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٢٢.

## المجلات

- مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- مجلة المنار ٩ إبريل ١٨٨٩م، مجلد ٣٥.
- مجلة الجامع الإسلامية، المدينة المنورة.

## ظواهرُ أسلوبيةٌ في شعرِ ابنِ دُرَيْدٍ

د. أمين يوسف عودة (\*)

توطئة:

لعلّ الناظر فيما تركه أبو بكرٍ محمّدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيْدِ الأزدِيِّ (ت ٣٢١هـ)<sup>(١)</sup> من تأليفٍ في اللغة والأدب، ينتهي إلى تقسيمها قسمين رئيسيين هما: الصناعة اللغوية والصناعة الأدبية. والمقصود من مصطلح الصناعة اللغوية كلُّ ما يندرج في التصنيف اللغوي من مباحث معجمية وصرفية وتعليمية، منها كتاب الجمهرة في اللغة، وكتاب الاشتقاق، وكتاب اللغة، وكتاب غريب القرآن الذي لم يتمّه، وكتاب فَعَلَتْ وَأَفَعَلَتْ، وكتاب أدب الكاتب على مثال كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب تقويم اللسان، وكتاب الأمالي، وغير ذلك. والمراد من صنف الصناعة الأدبية، ما نظمه من قصائد وأشعار متفرقة جُمعت في ديوانه المعروف<sup>(٢)</sup>، وفي مقدّمة هذه الأشعار

---

(\*) أستاذ مشارك/ قسم اللغة العربية وآدابها جامعة آل البيت/ المرق/ الأردن.

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، أزدى النسب. ولد بالبصرة ونشأ في عُمان، وأخذ عن أكابر علماء عصره. أصيب في آخر عمره بالفالج وبرئ منه، ثم توفي سنة (٣٢١هـ).

(٢) جمع شعره وحققه: السيد محمد بدر الدين العلوي، ونشرته مطبعة لجنة التراث والتأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٤٦. ثم أعاد نشره عمر بن سالم بطبعة جديدة فيها زيادات ليست في طبعة العلوي، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٣. وسنعتمد في شرح غريب الألفاظ على شروح المحققين. وأما الاقتباسات الشعرية فستكون من طبعة عمر بن سالم.

مقصورته الطويلة التي راجت بين المشتغلين باللغة والأدب، وحظيت بشروح غير قليلة. أنشأها في مدح عبد الله بن ميكال وابنه أبي العباس إسماعيل، وقيل فيها بأنها من أجود شعره، وكذلك الأحاديث النثرية التي رويت عنه في كتاب الأماي لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ). وهناك كتب أخرى يمكن أن تُدرج في هذا الصنف، وإن كانت تتعاطى الصناعة اللغوية في بعض مناحيها، منها كتاب صفة السرج واللجام، وكتاب الأنواء، وكتاب الملاحن، وكتاب السلاح، وصفة السحاب والغيث، وكتاب المطر<sup>(٣)</sup>، وسوى ذلك.

من البيّن أنّ عناية ابن دريد كانت متوجّهة نحو التصانيف اللغوية، وأنّ فضاء اشتغاله باللغة وفروعها يغلب فضاء اشتغاله بالأدب ولا سيما الشعر، ومع ذلك فقد مدحه جلة من العلماء في كلتا الصناعتين. قال المسعودي: «كان ابن دريد ممّن برعوا في زماننا هذا في الشعر، وانتهى في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يذهب في الشعر كلّ مذهب، فطوراً يجزل وطوراً يرقّ»<sup>(٤)</sup>. وقال محمد بن رزق بن عليّ الأسدي: «كان يقال إنّ أبا بكر بن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء»<sup>(٥)</sup> وقال أبو الطيّب اللغوي: «ابن دريد هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، كان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمري وابن دريد، وتصدّر ابن دريد في العلم ستين

(٣) انظر في تأليفة: مقدمة الديوان للعلوي، ص ٢٣-٢٦.

(٤) مروج الذهب للمسعودي: ج ٤، ص ٥٢٥.

(٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ١٩١-١٩٢.

سنة<sup>(٦)</sup>. ولعلّ ممّا يؤيّد كلام هؤلاء النفر من العلماء، قول ابن دريد نفسه يفصح عن اقتداره على ترويض القوافي واستخراج مخبّات المعاني، وأنّ الشعر عنده سهل الملتمس مبذول المنال، غير أنّه لا يحفل به ولا يلتفت إليه كبير التفات. يقول<sup>(٧)</sup>:

حَبَا الشُّعْرَ تَعْظِيمًا أَنْاسٌ وَإِنَّهُ      لِأَحْقَرُ عِنْدِي مِنْ نُفَاثَةِ نَافِثِ  
وهل يَحْفَلُ الْبَحْرُ اللَّغَامَ إِذَا غَمَى      فَطَاحَ عَلَى تَيَّارِهِ الْمُتَلَاطِثِ!  
فَلَوْ أَنَّني أَجَشَّمْتُ نَفْسِي أَنْبِعَاثُهُ      لِأَخْرَجْتُ مِنْهُ غَامِضَاتِ الْمَبَاحِثِ

أتى ابن دريد في شعره على ذكر جملة من الموضوعات السائدة في حينه، كالنسيب والمديح والهجاء والرثاء والحماسة والوعظ والحكمة. ويظهر في أشعاره تباينٌ في حسن الصنعة الشعرية وإحكام النظم والإيقاع والتصوير، فهو تارة يصدر عن حسّ شعريّ تلمّس فيه شخصية ابن دريد الشاعر الموهوب المطبوع، الذي يتحدّر الشعر على لسانه منساقاً لعاطفة أو موقف شعوريّ مؤثّر، لا يلتفت في نظمه إلى واسع بحثٍ في مفردات اللغة من حيث هو عالم بها، ولا إلى تكلف منطق العلم الصارم الذي يتقن تداوله؛ وبذلك يحفظ على الشعر شعريّته المطبوعة، لغة وإيقاعاً وتصويراً. وممّا قد يُحمل على هذا اللون قوله<sup>(٨)</sup>:

(٦) معجم الأدباء: ج ٥، ص ٢٩٧.

(٧) ديوان ابن دريد، تحقيق: عمر بن سالم، ص ١٠٥. و حبا: أعطاه الحباء؛ أي ما يكرمه به من هدايا ونحوها من الجوائز. و يحفل: يبالي. واللُّغَام: الزّبد. والتيّار: الموج. والمتلاطت: المتلاطم بعضه ببعض. و أجشمت نفسي: كبّدتها المشقّة.

(٨) الديوان، ص ٣٧-٣٨. و الكاعب: الفتاة التي نهد ثديها. والرُّود: المهل، يقال: امش على رُودٍ: على مهل. و حوزتنا: ناحيتنا.

وليلةً سامرت عيني كواكبها      نادمتُ فيها الصِّبا والنَّومَ مطرودُ  
يستنبطُ الراحُ ما تخفي النفوسُ وقد      جادتُ بما منعتهُ الكاعبُ الرُّود  
والراحُ تفتُرُّ عن درٍّ وعن ذهبٍ      فالتَّبَرُّ منسبكٌ والدرُّ معقودُ  
يا ليلُ لا تُبِحِ الإصباحَ حوزتنا      ولِيَحِمِ جانبهَ أعطافُكَ السَّودُ

فهو في هذه الأبيات وأشباهاها تستجيب قريحته الشعرية إلى أساليب الشعراء المطبوعين، فيسمو بلغة الشعر ويرقى بالتعبير عن محتواه، على نحو تظهر فيه قدرته الإبداعية على تشخيص المعاني وتصويرها بالاستعارات والمجازات والتشبيهات، كما في قوله: «نادمت فيها الصِّبا والنوم مطرود» و«يستنبط الراح ما تخفي النفوس»، وهي كلُّها استعارات مكنية تفضي إلى أنسنة الطبيعة وتشخيص الفكرة والمعنى.

بيد أنه في تارة أخرى تأخذه أريحية العلم وسورة العالم، فيستغرقه البحث والاستقصاء، وتشدّه صنعته اللغوية وإعمال العقل، ويتأني بأزيد مما ينبغي التأنّي له، فينساق بشعره نحو شعر العلماء الذي تغلب عليه شعريّة النظم المصنوع لا شعريّة الشعر المطبوع، ولعلّ ممّا يُحمل على هذا قوله متغزلاً<sup>(٩)</sup>:

(٩) الديوان، ص ١٠٠-١٠١. و أماطت: حسرت وأزاحت. الدمائث: جمع دمث: وهو المكان اللين. والأساريع: دويبات تكون في الرمل تشبّه بها أصابع النساء. الحقوف: جمع حَقْف، وهو المعوجّ من الرَّمْل. العثاعث: جمع عثعث وهو السهل من الرمل. والجنجات: نبات له زهرة صفراء طيبة الريح. والمرط: الإزار. الدعص: قطعة الرمل المستديرة، وأراد هنا عجيزتها. الغبّ: الشرب يوماً بعد يوم. الدثائث: جمع السحائب ذوات المطر الخفيف.

أما طت لثامًا عن أقاحِ الدمائثِ      بمثلِ أساريعِ الحُقوفِ العئاعثِ  
 ونصتُ عن الغصنِ الرطيبِ سوالفًا      يشبُّ سناها لَوْنِ أَحْوَى جثاجثِ  
 ولا ثتُ تُثني مرطها دِعصَ رَملةٍ      سقاها مُجأحُ الطلِّ غَبِّ الدثائثِ

لقد غطى ابنُ دريدٍ جمالَ المرأةِ التي يتغزلُ بها بمروطٍ خشنةٍ من المفرداتِ اللغويةِ التي لا يستعذبها سياقُ الغزلِ في النساءِ، ولا وصفُ جاهلنَّ، فليستِ الدمائثُ والأساريعُ والحقوفُ والعئاعثُ والجثاجثُ والدثائثُ، ممَّا هو مأنوسٌ في هذينِ الحقلينِ الدلاليينِ، اللهم إلا إذا كان الشاعرُ ممن بدوا فجفوا، وليس ابنُ دريدٍ كذلك، إنما الذي حرَّكه إلى إثقالِ ما حقه التخفيفُ، وتغليظِ ما سمته الرقةُ والتلطيفُ، منزعه العلميُّ في معرفة اللغة، ورغبته في إجابة فكره في مضمارِ غرائبها ونوادرها، واستدخالِ بعضها في شعره، ممَّا يراه دالاً على استبطانه دخائلِ اللغة، واستجلاءِ غوامضها، واستخراجِ مخبأتها.

فابنُ دريدٍ، إذن، يتنازعه في الشعرِ منزعانِ أسلوبيّانِ عامَّانِ، أحدهما يرقُّ فيه وينساقُ إلي طبعه الشعريِ وقريحته الفنية، على حين غفلةٍ من صنعته في علومِ اللغة. والآخرُ يخشوشن فيه وينظمه بعقلية العالمِ اللغويِّ والباحثِ المعجمي، فيهيمنُ منطقُ العقلِ والعلمِ على أغلبِ فضاءِ الشعرِ وأساليبه، وعلى نحوِ أقلِّ ينسربُ منطقُ الشعورِ والوجدانِ والطبعِ الشعريِ. ومع هذا كله، فإنَّ شعرَ ابنِ دريدٍ إذا ما قورنَ بشعرِ غيره من علماءِ اللغة، فسوفَ يجوزُ قصبُ السبقِ، وستكونُ له في هذا المقامِ مزيةٌ ظاهرة، وغرّةٌ واضحة، وذلك لجودة طبعه وقريحته اللذين هما أصلانِ من أصولِ شعرية الشعرِ، وإن غارتا أحياناً تحت ثقلِ العقلِ ومنطقه، والاستغراقِ في درسِ اللغة وعلومها وغرائبها.

### الظاهرة الأسلوبية:

يقوم معنى الظاهرة الأسلوبية في سياق هذه الدراسة، على مفهومين رئيسين من ضمن مفهومات عديدة، ترمي إلى تفسير الأسلوب أو الظواهر الأسلوبية في النصوص الأدبية وغير الأدبية، أولهما: الاختيار (Choice) أو الانتقاء (Selection) ويعني مفهوم الاختيار أو الانتقاء أن يقوم مؤلف النص باختيار سمات لغوية محدّدة، من بين فائض كبير من الإمكانيات التعبيرية المتاحة، ويعمل على إنشائها وتنسيقها وتنظيمها من أجل التعبير عن مواقف معيّنة. ولا شك في أنّ مجموعة الاختيارات الخاصّة بمؤلف مُعيّن هي التي تكوّن سمات أسلوبه التعبيري الذي يجعله مختلفاً عن الآخرين<sup>(١٠)</sup>. ثمّ إنّ دراسة هذه الاختيارات وتحليلها في إطار ثقافة المؤلّف وحياته الأدبية والنفسية، يمكن أن يفسّر غير قليل من دواخل الشخصية الخفية، ومنازعتها النفسية المقنّعة، ومضمرااتها الثقافية والمعرفية، وغير ذلك ممّا قد تشير إليه مسالك الاختيار الأسلوبي عند المؤلّف. وثانيهما: يُلفى لدى ميشيل ريفاتير (Micheal Riffaterre) الذي يذهب إلى تفسير الأسلوب انطلاقاً من تأثيره الضاغط على حساسية القارئ واستجابته، فيعرّفه بقوله: «والأوضح والأخصر أن يقال: إنّ الأسلوب هو الإبراز الذي يفرض عناصر معيّنة في سلسلة الألفاظ على انتباه القارئ، بحيث لا يستطيع حذفها دون أن يشوّه النصّ، ولا يستطيع ترجمة رموزها دون أن يجدها مهمّة ومميّزة»<sup>(١١)</sup>. وإذا كانت اللغة عنده مجالاً للتعبير، فإنّ الأسلوب مجال للإبراز

(١٠) الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية ص ٢٣. ونحو نظرية أسلوبية لسانية ص ١٢٤-١٢٥.

(١١) معايير لتحليل الأسلوب ص ١٢٥.

والتأثير<sup>(١٢)</sup>. ومن البين أن وجهة النظر الأولى تعتبر المؤلف في تعريف الأسلوب، والأخرى تعتبر القارئ. وهما وجهتان تكمل الواحدة منهما الأخرى، إذ لولا اختيارات المؤلف وإلحاحه على استدعائها على نحو يبرزها ويمنحها سمات تأثيرية خاصة، لما استرعت انتباه القارئ وتسلطت عليه. ومثل هذه المؤثرات الأسلوبية هي التي ستحاول القراءة الحالية الوقوف على بعض مظاهرها كما تتجلى في شعر ابن دريد، والاجتهاد في مقاربتها وتأويلها.

#### ١ - ظواهر أسلوبية من غريب اللغة:

لعلماء اللغة نواذرٌ في هجاء أندادهم، لا سيما إذا انتقص الواحدٌ من علم الآخر، ورماه في بضاعته العلمية بالضحالة وقلة المعرفة والسطو على الآخرين. وقد اتهم ابن دريد خصومه بشيء من ذلك محاسدةً ومنافسةً، ومن بين هؤلاء النحويُّ نَفْطَوِيه، والباهليُّ اللغويُّ الذي عرض ابن دريد به في قصيدة طويلة، حشد فيها جمعًا كبيرًا من غرائب اللغة التي يختبر بها علم الباهليِّ، ويسبر قدرته على فكِّ معمياتها. وفي مثل هذه القصائد اللغوية يغدو الشعر مرجعًا لغريب اللغة ومهجورها، ومعجمًا لنوادرها ومبهماتِها. وهي من طوال القصائد في الديوان، إذ يبلغ عدد أبياتها ستة وخمسين بيتًا. ومما جاء فيها قوله<sup>(١٣)</sup>:

(١٢) علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته ص ٨٥.

(١٣) الديوان، ص ١٤٦. و الجامور: رأس النخلة. والساجور: القلادة التي توضع في عنق الكلب. والسكة: الطريق مثل السطر. والزرديق: الصف. والنهسر: ولد الذئب. والهيشر: نبات أو شجر. وبأدو: يختل ويطلب الغفلة. والخرنق ولد الأرنب. والدهدن: الباطل. والدهدهاه: حواشي الإبل، أي صغارها وهي الخسيصة منها. والهلقامة: الكثير الأكل. والهدلق: الواسع الشدق.

وما الجامورُ والسَّاجو رُ في السِّكَّةَ فالزَّرْدَقُ  
وما النَّهْسَرُ في الهَيْشَدَ رِيَادو غفلةَ الحِرْنِقُ  
وما الدُّهْدُنُ والدَّهْدَا هُ وَالهِلْقَامَةَ الهِدْلِقُ

إنَّ أظهرَ مؤشِّرِ أسلوبِيّ في متن هذه المرسلَةِ الشعرية، يتجلى في معجمها اللغويّ النادر الاستعمال على هذا النحو من الكثافة والاطراد في المتن كلّهُ. ولَمَّا كان موضوع المرسلَةِ الهجاءَ والتعريض، وكان المرسلُ والمرسلُ إليه كلاهما من علماء اللغة، وبينها ملاحاةٌ ومنازعة، كان من الأجدى لابن دريد أن يسلك مسلكاً لغويّاً يتحدّى به خصمه بما يحسن معرفته، ويتقن صنعته؛ لتكون الغلبة - إن كانت - برهاناً حاسماً على إسكات الخصم والظهور عليه.

وتكشف الأسلوبيةُ الإحصائيةُ لقوافي الشعر في ديوان ابن دريد، مدى استغراقِ مرسلاته الشعرية في استرفاد القوافي ذواتِ الرويِّ النادر وغير المعهود في الشعر العربي، سواءً في موضوع الهجاء أم في غيره. فثمة مئةُ قافيةٍ وواحدةٌ برويِّ الثاء، أغلبها من غريب اللغة، منها: «هَئَاهُثُ وَكَنَّاكِثُ وَشَرَاثُ وَنَبَاثُ وَأَوَاعِثُ وَمَثَاثُ وَحَفَاثُ...»<sup>(١٤)</sup> وتسعُ وأربعون برويِّ الطاء، لعلّ من غريبها: «عَطُوطُ وَالشَّمِيطُ وَإِغْلِيطُ وَالْمَطِيطُ وَمَعْلُوط...»<sup>(١٥)</sup> وخمس عشرة برويِّ الظاء، منها: «أَرْعَاظُ وَأَوْشَاظُ وَكِظَاظ...»<sup>(١٦)</sup> أي بما مجموعه مئةٌ وخمس

(١٤) الديوان، ص ١٠٢-١٠٣.

(١٥) الديوان، ص ٩٨-٩٩.

(١٦) الديوان، ص ٦٣.

وستون قافيةً من أصل ألفٍ واثنين وسبعين قافية، هي مجموع قوافي الديوان كلاً خلا المقصورة. أمّا نسبة رويّ الثاء وحده إلى مجموع الديوان فهو ٠,٠٩٥٪. وإذا قورنت هذه النسبةُ بنظيرتها في أحد دواوين الشعر العربي الكبيرة، من مثل ديوان ابن الروميّ المعاصر لابن دريد، فإنّها ستفوقها بقدرٍ كبير، فقد بلغ رويّ الثاء، وأغلبه من مأنوس اللغة لا من غريبها، في ديوان ابن الروميّ، مئتين وثمانين رويّاً، من أصل ثلاثين ألفاً وخمسمئةٍ وخمسةٍ عشرة قافيةً، أي بنسبة تساوي ٠,٠٩١٪، وهذا يعني أنّ ما ورد من رويّ الثاء في ديوان ابن دريد، يبلغ نحواً من عشرة أضعاف ما ورد في ديوان ابن الروميّ. ويمكن أن يُشار في هذا السياق إلى أنّ المتنبّي مثلاً لم يستعمل رويّ الثاء في ديوانه، مع أنّ حجمه يبلغ ستة أضعاف حجم ديوان ابن دريد على وجه التقريب، وفي هذا المؤشّر الأسلوبيّ علامةٌ بيّنة الدلالة على أنّ ابن دريد كان معنياً باسترفاد متن لغويّ متقّى ومخصوص، ليدلّ به على غزارة مرجعيّاته اللغوية، وعمق استيعابه لها، وقدرته السامقة على إضفاء الطابع الشعري على المتن اللغويّ على غرابته وندرة تداوله، مستثمراً متن القصيد في ذلك.

فهل يمكن التخمينُ في ضوء القراءة الثقافية لهذا الملمح الأسلوبيّ، الذي يلحُّ على استدخال الغريب والنادر، بأنّه يخفي في ورائه النسقَ الغائر في لا وعي العقل العربي، والمتمثّل في مفهوم الفحولة الذي يتقنّع بأقنعة شتى، منها أقنعة القول الشعريّ وجماليّاته، وهو ما دفع النقاد القدماء إلى إطلاق صفة الفحولة على بعض الشعراء؟ وهل يمكن القولُ في حالة ابن دريد إنّ من وظيفة متنه الشعريّ أن يكون منصّةً إشهاريةً لمتنه اللغويّ النادر الاستعمال؟ وأنّ هذا المتن اللغويّ هو المقصود بالإشهار، وأنّه يمثل نسقا ثقافياً يضمّر وجهاً من وجوه الفحولة اللغوية المقنّعة بقناع المتن الشعري؟

٢- ظواهر أسلوبية من علوم النحو والصرف:

يندرج في هذا المؤثر الأسلوبية لغة النحو ولغة الصرف اللتان يستدرجها ابن دريد، ويوجهها توجيهاً شعرياً محملاً بمعاني الهجاء والتعريض، ومن ذلك قوله يهجو بعض النحويين<sup>(١٧)</sup>:

عَفْظَيْرٌ إِنَّا اخْتَلَفْنَا      فِي الْفِعْلِ مِنْ فَاعِلَيْنِ  
فَقَالَ قَوْمٌ يُشَنِّي      لَجَمْعِنَا الْهَمَزَيْنِ  
وَقَالَ قَوْمٌ يُعَدِّي      بِمُلْتَقَى السَّاكِنَيْنِ  
وَأَنْتَ أَعْلَمُ مِنَّا      بِذَا وَذَاكَ وَذَيْنِ  
لَأَنَّكَ الدَّهْرَ فَعَلُّ      يُعْتَلُّ مِنْ جِهَتَيْنِ

وثمة مقطعات شعرية أخرى، خرجت عن سياق الهجاء إلى سياق تعليمي في باب من أبواب علم الصرف، ليغدو الشعر نظماً تعليمياً محضاً، تستوطن فيه مواد لغوية صرفية بحتة. وله في ذلك ثلاث مقطعات ذكر في أولها ما يُذكر من الأعضاء ولا يؤنث، وفي ثانیها ما يؤنث ولا يذكر من الأعضاء، وفي ثالثها ما يذكر من الأعضاء ويؤنث. ومن الأخيرة قوله<sup>(١٨)</sup>:

(١٧) الديوان ص ٧٥. وهذه الكلمة غير واردة في كتب اللغة. ولعل الصوب «عظير أو

شَنْظِير» وكلاهما بمعنى واحد، وهو السبيء الخلق. انظر: الديوان بتحقيق العلوي،

حاشية رقم (٢) ص ١١٠.

(١٨) الديوان، ص ١٤٣-١٤٤.

وهذي ثماني جارحاتٍ عَدَدْتُهَا      تَوَثَّتْ أحياناً وحيناً تُذَكَّرُ  
لسانُ الفتى والعُنُقُ والإبطُ والقفا      وعَاتِقُهُ وَالْمَتْنُ وَالضَّرْسُ يُذَكَّرُ  
وعند ذراعِ المرءِ تَمَّ حسابُها      فَأَنْتِ وَذَكَرْتُ أَنْتِ فِي ذَا مَخِيرِ  
كذا كلَّ نحويِّ حكى في كتابه      سوى سيبويه فهو عنهم مؤخَّرُ  
يرى أنَّ تَأْنِيثَ الذَّرَاعِ هو الذي      أتى ويرى التذكيرَ في ذاك مُنْكَرُ

وأما مقصورته فهي مشهورة، وهي قصيدة طويلة ينتهي رويها بالألف المقصورة، وقد استعمل فيها قريباً من ثلث الأسماء المقصورة في العربية. وهي تختلف اختلافاً كبيراً، في بنيتها الفنية والموضوعية، عن سائر المقطعات التعليمية؛ إذ إنها انطوت على كثير من الأمثال السائرة، والأخبار النادرة، والحكم البالغة، والمواعظ الحسنة<sup>(١٩)</sup>. وهو ينحو في بنائها الفني منحى الشاعر المنهمك بإبداع الصورة الشعرية لا بالنظم فحسب، وفي الآن ذاته يجعل من رويها مدخلاً للباحثين عن الأسماء المقصورة، ومريدي حفظها، فضلاً عما أدرجه في متنها؛ وبذلك يكون قد حفظ على المقصورة رونقها الشعري وهدفها التعليمي، دون أن يطغى أحدهما على الآخر.

وله متن شعري آخر يقارب متن المقصورة في خروجها عن النمط التعليمي المحض، بيد أنه لا يضاهيها في جمالياتها الأسلوبية مبنًى ومعنى. وهذا المتن، وإن كان ذا منحى تعليمي، لا يفارق شعرية الشعر مفارقة كليّة، ويرجع ذلك إلى

(١٩) شرح مقصورة ابن دريد ص ٨.

المسلك الذي سلكه ابن دريد في تشكيل مبناه اللغوي والإيقاعي والدلالي والتصويري، من حيث هي مؤشرات أسلوبية تحيل إلى موسوعة ابن دريد اللغوية، وإلى قدرته على التصرف بموادها التعليمية على نحو يضيف عليها مسحة شعرية، فيها لون من العذوبة والرشاقة.

يقع هذا المتن الشعري في سبعة وخمسين بيتاً على رويِّ الهمزة، وفيه يجمع عددًا كبيرًا مما يمدّ من الأسماء ويُقصر، مصنّفًا إيّاها في أبوابٍ هي: باب ما يُفتح أوّله فيُقصر ويُمدّ والمعنى مختلف، وباب ما يُكسر أوّله فيُقصر ويُمدّ والمعنى مختلف، وباب ما يُكسر أوّله فيُقصر ويُمدّ والمعنى واحد، وباب ما يُفتح أوّله فيُقصر ويُكسر فيُمدّ والمعنى واحد، وأخيرًا باب ما يفتح أوّله فيُقصر ويكسر فيُمدّ والمعنى مختلف. ومما قاله في الباب الأول (٢٠):

لا تَرَكَنَّ إِلَى الْهَوَى	واذْكَرْ مَفَارِقَةَ الْهَوَاءِ
يَوْمًا تَصِيرُ إِلَى الثَّرَى	وَيَفُوزُ غَيْرُكَ بِالثَّرَاءِ
كَمْ مِنْ صَغِيرٍ فِي رَجَا	بئْرٍ لِنَقْطِيعِ الرَّجَاءِ
غَطَّى عَلَيْهِ بِالصَّفَا	أَهْلُ الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ

(٢٠) الديوان، ص ١٣٨. الهوى: ميل النفس. والهواء: الرُّوح الذي يملأ الفضاء. والثرى: التراب. والثراء: المال والثروة. والرجا: جانب البئر. والرجاء: الأمل في المستقبل ضد اليأس. والصفاء: مفردا صفاة، وهي الحجر العريض الأملس. والصفاء: الانبساط والانشراح.

ويتأتى الحكم النقديّ على هذه الهمزية من حيث إضفاء مسحة شعرية عليها، مما يترأى فيها من تضافر مستويات أسلوبية ثلاثة، يُستقرأ أوّلها في اختيار إيقاع عروضي قصير هو مجزوء الكامل، ولعلّ في هذا الاختيار تخفيفاً على الشاعر من مشقة استطالة العبارة التي قد تستتبع تصنّع المعنى في مثل هذا السياق، فلا ينزلق إلى مزالق التكلف الزائد والنظم اللغويّ المجرد؛ وذلك أنّه ألزم نفسه بلازمين اثنين، اللازم الأوّل أن يذكر في صدر البيت الواحد نوعاً من الأسماء المقصورة، ثمّ يردفه في موقع القافية من العجز باسمٍ آخر مجانسٍ له في حروفه، ومخالفٍ له في المعنى، وهو اللازم الثاني. وهكذا يفعل في سائر الأبيات، حيث يأتي باسمين جديدين في كلّ مرّة. وهو نمطٌ من أنماط ردّ الأعجاز على الصدور في علم البديع، فضلاً عن كونه يمثّل نمطاً من أنماط الجناس الناقص، وكلاهما يُصنّفان في ضمن ظاهرة التكرير.

وثاني هذه المستويات الأسلوبية يتجلّى في حرص الشاعر على الإفلات من حقل المعاني الصرفية ذات الإنشاء التعليمي المحض، وإنشاء المعاني الشعرية في الأبيات، وأقصد بالمعنى الشعري ههنا ما يبدعه الشعراء في قصائدهم من تصوير لمعاني الوصف والحكمة والمدح والرثاء والغزل وسوى ذلك، وقد اشتملت أغلب أبيات الهمزية على معاني النصيح والإرشاد والحكمة. وبذلك يكون قد انزاح بنظم القصيدة عن المعنى التعليميّ المحض إلى مقارنة المعنى الشعري.

أما ثالثها، فيبدو ظاهرًا في نظام الإيقاع وهندسته الصوتية المتكرّر في الأبيات، نتيجةً لتعاقب ألوانٍ متباينةٍ من التجانس الصوتي، الذي تضيفه أزواج الأسماء المقصورة الموزعة بانتظام على صدر كل بيت وعجزه في القصيدة.

### ٣- ظواهر أسلوبية من بدائع البديع وهندسة الإيقاع:

ثمة ألوان من الفنون البديعية في شعر ابن دريد، تتصل بموهبته الشعرية وخبرته الإبداعية وصنعتة الفنية، وتكشف عن اتساع معرفته بالمعجم اللغوي، الذي يتيح له مجالاً مرناً في اختيار المفردات المنشودة، لإنشاء أبنية شعرية ذات أنساق بديعية يخترعها اختراعاً، ويبدعها على نحو يلزم فيه نفسه بتقييدات، في المبنى والمعنى، لا يُحسن ارتيادها ومكابدتها إلا من بلغ مبلغ ابن دريد في تطلّعه من اللغة، وإتقانه لعلوم اللسان، واستبصاره بقرض الشعر ومذاهب الكلام.

وترتبط هذه الأنماط البديعية المخترعة عند ابن دريد ارتباطاً عضوياً بمسار القيم الصوتية والإيقاعية؛ إذ إن احتباكها في متنه الشعري، هو الذي يضيف على موسيقاه نغماً إيقاعياً إضافياً مُستمدّاً من لون البديع نفسه وجرسه الموسيقي. ومما يدخل في ضمن هذه الأنماط ما يأتي:

#### محبوك الطرفين:

يقع هذا النمط الأسلوبى في مئة وستة عشر بيتاً، أنشأها على هيئة مربعات على حروف المعجم، وجعل لكلّ مربعة، أو أربعة أبيات، حرفاً يلتزم ذكره في مطلع البيت وفي آخره، وبذلك يكون للبيت الواحد رويان اثنان، أحدهما في

البداية والآخر في النهاية. ويُسمى هذا النوع البديعي محبوك الطرفين<sup>(٢١)</sup>، ويبدو أن ابن دريد هو أوّل من اخترعه واستعمله في الشعر. ومن ذلك قوله في مربعة حرف الثاء، وهي من الطويل<sup>(٢٢)</sup>:

ثوى بين أثناء الحشا منك لوعةٌ      يجدُّ بنفسي شوقها وهو يعبثُ  
ثلثتُ الهوى إن كنت أكرهُ قربه      على أنه الداء الذي لا يلبثُ  
ثنى قلبه لما ثنت عنه طرفها      على مَضضٍ أحشاؤه منه تفرثُ  
ثقي بجفونٍ إن دعا ماءها الهوى      بذكرِكٍ يوماً أقبلت لا تُمكثُ

ويقول في مربعة حرف الفاء، وهي من الكامل<sup>(٢٣)</sup>:

فنن على دعصٍ تآلق فوقه      بدرٍ يضيءُ به الظلام العاكفُ  
فاقت محاسنه، وكلُّ مُسرِّبٍ      بالحسنِ عن أدنى مدها واقفُ  
فإذا بدت شمس النهار ووجهه      رجعت ولون النور منها كاسفُ  
فردُّ المحاسن لا يقوم بوصفه      أبداً وإن بلغ النهاية واصفُ

والتأمل في هذه المربعات التي يُنظر إليها على أن كل واحدة منها قائمة بنفسها منفصلة عن أختها، باعتبار اختلاف الروي والبحر - قد يجعله تأمله على اقتراح ترتيب جديد لها، بحيث تكون متصلة متتابعة بلا فواصل، وكأنيما نُظمت على نسق قصيدة واحدة، عندئذٍ تستحيل هذه المربعات قصيدةً طويلةً في

(٢١) تاريخ آداب العربية، مصطفى صادق الرافعي: ج ٣، ص ٣١٠.

(٢٢) الديوان، ص ٤٢. وتفرث: تنفتت.

(٢٣) الديوان، ص ٤٦. والدعص: قطعة من الرمل مستديرة. يُشبه بها كفل المرأة.

موضوع الغزل والعشق وشؤونهما، مبنية على تسعة وعشرين رويًا؛ أي على عدد حروف المعجم باعتبار اللام ألف، لكل أربعة أبيات رويٍّ موحد، وتكون، فضلًا على ذلك، متنوعة البحور؛ لأنَّ المربعات نُظمت على أبحر مختلفة كما تقدّم. وإذا ما نُظر إليها بهذا الاعتبار، عُلم كم كان ابن دريد سابقًا عصره في مضمار الإبداع الشعري، وعلم أيضًا كم كان قادرًا على الاختراع، وحاذقًا لصنعتة الشعرية.

### ذوات القوافي:

وهو نمط أسلوبيّ ثانٍ أنشئ على نوع آخر من البديع، يُعرف بغير مصطلح، منها: التشريع والتوءم وذوات القوافي. وهو أن يعمد الشاعر إلى إنشاء قصيدته على اعتبار وزنين من الأوزان الشعرية، وعلى قافيتين، قافية خارجية وهي القافية المعروفة في نهاية البيت، وأخرى داخلية. فإذا وقف القارئ على القافية الأولى وقف على شعر كامل المعنى مستقيم اللفظ، وإذا وقف على الثانية؛ أي القافية الداخلية، وحذف ما بعدها، صار الشعر على وزن آخر، وكان شعرًا مستقيم المعنى أيضًا. أي إنَّ القصيدة تنطوي على قصيدتين، وربما انطوت على ثلاث قصائد إذا بُنيت على قوافٍ ثلاث. ويقول صاحب الطراز: «وهذا التوشيح إنما يقع ممن كان يتعاطى التمكّن من صناعة النظم، عظيم البراعة في ذلك مقتدرًا على كثير من الأساليب»<sup>(٢٤)</sup>. ولعلَّ هذا النوع من مخترعات ابن دريد التي لم

(٢٤) كتاب الطراز: ج ٣، ص ٧٠-٧١.

يسبقه غيره إليها، وتقع قصيدته في ثمانية وثلاثين بيتاً، منها قوله<sup>(٢٥)</sup>:

سَدِكَتْ يَمِينُكَ بِالْأَعْنَةِ وَالْأَسْنَدِ      نَةً وَالْمَنَاصِلَ فَلْأَعَادِي عَنكَ زُورُ  
فَكَأَنَّهَا يَلْقَى الْمَسَاعِرُ مِنْكَ فِي      رَهَجِ الْقَنَابِلِ وَالرَّدى فِيهِ يَسُورُ  
لَيْثاً بَعَثَ لَا يَرُوعُ وَلَا يَصُدُّ      دُعْنَ الْجَحَافِلِ حِينَ يَنْخَزِلُ الْجَسُورُ  
لِلَّهِ آبَاءٌ سَمَوْا بِكَ فِي ذُرَى الـ      عَزَّ الْأَطَاوِلِ حِينَ لَا يَسْمُو الْفَخُورُ  
حَلَّوْا بِبَيْتِكَ مِ لُعَلَا فَوْقَ الْغَوَا      رَبِّ وَالْكَوَاهِلِ فَالْنُجُومُ إِلَيْكَ صُورُ

بُنيت القصيدة على الكامل التام، وجعل ابنُ دريدٍ فيها رويًا داخليا في أعجاز الأبيات هو رويُّ اللام، فإذا وقفتِ القراءةُ عليه وحُذف ما بعده، تولدت قصيدةً أخرى مستقيمةُ المعنى من القصيدة الأم على وزن مجزوء الكامل وبرويٍّ جديد، وتكون الأبياتُ الجديدة على النحو الآتي:

سَدِكَتْ يَمِينُكَ بِالْأَعْنَدِ      نَةً وَالْأَسْنَةَ وَالْمَنَاصِلَ  
فَكَأَنَّهَا يَلْقَى الْمَسَاعِرُ مِنْكَ فِي رَهَجِ الْقَنَابِلِ

(٢٥) القصيدة ملحقة في: شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزي ص ٨٥-٩٠. وسدك به: لزمه. والمناصل: جمع منصل، وهو السيف. والزور: جمع أזור، وهو المنحرف. والمساعر: جمع مسعر، وهو الفارس الذي يوقد الحرب. والرهج: الغبار. والقنابل: جمع قنبلة، وهي جماعة الخيل. ويسور: يثب ويعربد. وعثر: اسم موضع. والجحافل: جمع جحفل، وهو الجيش الكبير. والأطاول: جمع أطول، وهي وصف للذرى. وم العلا: أي من العلا. والغوارب: جمع غارب، وهو مقدم الظهر. والكواهل: جمع كاهل، وهو ما بين الكتفين. والصور: المائلات المشتاقات. ومفردها أصور.

لَيْثًا بَعَثَرَ لَا يَرُو      عُ وَلَا يَصُدُّ عَنِ الْجَحَافِلِ  
لِلَّهِ آبَاءٌ سَمَّوَا      بَكَ فِي ذُرَى الْعَزِّ الْأَطَاوِلِ  
حَلُّوَا بِبَيْتِكَ مِ لُعَلَا      فَوْقَ الْغَوَارِبِ وَالْكَوَاهِلِ

### ظاهرة التكرير:

وأما الظاهرة الثالثة فتلاحظها العين في سمة التكرير، التي تبدو سمة أسلوبية ضاغطة على كل من الشاعر والمتلقي، فالشاعر ينساق إليها مستجيباً لدواعيها المقامية والشعورية والعاطفية والجمالية والإيقاعية، وهي، بالنظر إلى المتلقي، تعدّ منبهاً أسلوبياً لا يني يطرق وعيه ويسترعي انتباهه ويثير تساؤلاته. وهي سمة مندرجة في غير قليل من قصائده، خلا ما وُجد في القصائد السابقة التي سمّيت بتسميات بديعية أخرى. وللتكرير فوائد ومزايا<sup>(٢٦)</sup> تتجلى فيما يسبغه على الخطاب الشعري من قيم صوتية جمالية، وفيما يضمّره من قيم دلالية مرهونة بسياقات موارده واختلاف مواضعه. وقد تنوّعت عناصر التكرير الصوتية واللغوية عنده، فمنها ما كان في تكرير الحرف، ومنها ما كان في تكرير اللفظ ومشتقاته، ومنها ما كان في شبه الجملة والجملة والتركيب والبنى الصرفية. ومما يسترعي النظر أنّ تكرير العناصر اللغوية قد ينتظم في البيت أو الأبيات انتظاماً على نحو مخصوص، يدعو المتلقي إلى تلمس أثر التفكير العلمي، ومنزع العقل المنطقي سبراً وتقسيماً لدى ابن دريد، وكيفية تأثيرهما تأثيراً لا شعورياً في

(٢٦) انظر في مزية التكرير وتفصيل أغراضه: التكرير بين المثير والتأثير ص ٧٨-٨٧.

صياغة أشكال التكرير، وسواها من مظاهر الصنعة الفنية في الشعر. وقد يفى  
بغرض التدليل على ذلك قوله<sup>(٢٧)</sup>:

كَمِ عَاقِلٍ أَخْرَهُ عَقْلُهُ وَجَاهِلٍ صَدَّرَهُ جَهْلُهُ

حيث نُسق التكرير نسقاً بديعاً ذا سِمَتَيْنِ، الأولى: تناظرية، والأخرى:  
تقابلية، مع اعتبار المفارقة الحاصلة من قلب المعنى رأساً على عقب، فالسمتان  
التناظرية والتقابلية مائلتان في المبنى، ولكنهما معكوستان في المعنى. فقوله: «عاقل  
أخره عقله» يناظر قوله: «جاهل صدره جهله» تناظراً تاماً من حيث التركيب  
الجُمْلِيّ ومواقع عناصره اللغوية، ومن حيث البنية الصرفية، والبنية العروضية.  
وهما، أيضاً، متقابلتان بديعاً تقابلاً ضدياً تاماً، ثمَّ إنَّ كلَّ قولٍ منهما ينطوي على  
مفارقة في المعنى على وجهي المقابلة والتضاد. على أنَّ بؤرة المفارقة المركزية التي  
أنشأت شعريّة البيت تَمَثُّلُ في الجملتين المتناظرتين والمتقابلتين تقابلاً ضدياً: «أخره»  
و«صدره» إذ لو وقعت الواحدة مكان الأخرى، لسمح القول وانتفت شعريته.

ويقول في شكل آخر من التكرير<sup>(٢٨)</sup>:

جَهَلَتْ فَعَادِيَتِ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا كَذَاكَ يُعَادِي الْعِلْمَ مِنْ هُوَ جَاهِلُهُ.

وفيه ينتظم المبنى على التكرير الاشتقاقي الحاصل بين: جهلت وجاهله،  
وعاديت ويعادي، والعلوم والعلم. ويجعل المعنى معلّقاً تعليقاً سببياً بين الجهالة  
وعداوة العلم ...

---

(٢٧) الديوان، ص ٣٤.

(٢٨) الديوان، ص ٣٤.

ومن شواهد التكرير، تكرير لفظ المضاف في تركيب الإضافة. وقد ورد في مقطّعة أربع مرّات، ومرّتين ورد مفردًا بغير إضافة، وهو لفظ العقل. وليس ذلك ببعيد عمّا سقناه من كلام سالف يشير إلى تأثير النزعة العقلية اللاشعورية في صنعة ابن دريد الشعرية. ومّا لا جدال فيه أنّ تكرير لفظ «عقل» ستّ مرات في خمسة أبيات، يجعله دالّة مركزية ذات حضور مهيمن في النصّ، يُتوخّى منها التأثير في المتلقي، وخلق استجابة عقلية تؤمن بقيمة العقل ومحاسنه. ثمّ إنّ ابن دريد يبني مقطّعته بناءً عقليًا إذ يفتتحها بتقرير خَيْرِ العقل على سائر الخيِّرات، ثم يشع بالاستدلال على صحة تقريره في الأبيات اللاحقة. وأسلوبه في هذه المقطّعة يلتحق بما يسميه البلاغيون بالمذهب الكلامي، وهو: «أن يورد المتكلم حجّة لما يدّعيه على طريق أهل الكلام»<sup>(٢٩)</sup>. يقول<sup>(٣٠)</sup>:

وأفضّل قَسَمِ اللهُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ	فليسَ من الخيِّراتِ شيءٌ يُقَارِبُهُ
فَزَيْنُ الفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ	وإن كان محظورًا عليه مكاسبُهُ
يعيشُ الفتى بالعقلِ في كلِّ بَلَدَةٍ	على العقلِ يجري علمُهُ ونَجَارِبُهُ
ويُزْرِي به في النَّاسِ قَلْبُهُ عَقْلِهِ	وإن كَرُمَتْ أعرافُهُ ومَناسِبُهُ
إذا أكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ	فقد كَمَلَتْ أخلاقُهُ ومآرِبُهُ

(٢٩) الإيضاح في علوم البلاغة: ط ٢، ج ٥، ص ٦٥.

(٣٠) الديوان، ص ٣٣.

وقد عني ابن دريد ببديع ردّ الأعجاز على الصدور، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في سياق سابق على سياق التكرير، ومن أمثله التي افتنّ بها قوله<sup>(٣١)</sup>:  
ليس المُقَصِّرُ وَايًّا كَالْمُقَصِّرِ      حُكْمُ الْمُعَدِّرِ غَيْرُ حُكْمِ الْمُعَدِّرِ<sup>(٣٢)</sup>  
لو كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ لِحِظْكَ مُوَبِقِي      لِحَدَّرْتُ مِنْ عَيْنَيْكَ مَا لَمْ أَحْدَرْ  
ففضلاً على ما يشكّله التكرير من نغم إيقاعي فائض على النغمة العروضية، ثمّ وقع دلالي، إن جازت هذه التسمية، يرمي إلى إبراز مُرتكزات دلالية، ربما يُراد لها أن تكون أعمق تأثيراً من سواها في المتلقي، وذلك من خلال انتشار أسلوب ردّ العجز على الصدر انتشاراً مكثفاً يملأ مساحات مختلفة من الأبيات بلا استثناء.  
ومن التكرير، قوله من مقطعة استوعبت التكرير في الحرف والجملة والتركيب وسواها<sup>(٣٣)</sup>:

وَمَا أَحَدٌ مِنَ ألسِنِ النَّاسِ سَالِمًا      وَلَوْ أَنَّهُ ذَاكَ النَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ  
فَإِنْ كَانَ مِقْدَامًا يَقُولُونَ أَهْوَجُ      وَإِنْ كَانَ مِفْضَالًا يَقُولُونَ مُبْذُرُ  
تكرّر حرف الشرط «إن» في المقطعة، واستتبعه تكرير بنية الجملة الشرطية، وبعض مكوّناتها من أفعال وجمل وبنى صرفية، كتكرير الفعل الناقص: «كان»

(٣١) الديوان، ص ٣٨.

(٣٢) المُقَصِّرُ: يقال: قَصَرَ فلان عن الأمر: تركه وهو لا يقدر عليه. وقَصَرَ في الأمر: تهاون فيه. والمُقَصِّرُ: من أَقَصَرَ عن الشيء: كَفَّ ونزع عنه وهو يقدر عليه. والمُعَدِّرُ: من عَدَرَ: أي تكلف العُدَرَ ولا عُدَرَ له. والمُعَدِّرُ: من أَعَدَرَ: أي ثبت له عُدْرٌ.

(٣٣) الديوان، ص ٢١.

وتكرير الجملة الفعلية: «يقولون»، وتكرير البنى الصرفية تكريراً مزدوجاً: كـ«مقداماً ومفضالاً».

ويبدو أن ابن دريد قد اختار هذا النمط من التكرير ليجانس بين البنية الجمالية للتشكيل اللغوي، ومحتواها الدلالي الذي يكشف عن أخلاق المجتمع وتناقضاته، وعمّا لا يكفّ الأناسيُّ عن انتقاده وترداده على ألسنتهم.

وله قصيدة أخرى تقع في ثمانية وعشرين بيتاً، تجري على النسق نفسه، وفيها بلغ تكرير حرف الشرط «إن» وما يستلزمه من جملة فعل الشرط وجوابه سبعاً وعشرين مرّة، منها قوله<sup>(٣٤)</sup>:

وإن كانَ ذا ذِهنٍ رَمَوْهُ بِبِدْعَةٍ	وَسَمَّوْهُ زَنْدِيقًا وَفِيهِ يُجَادِلُ
وإن كانَ ذا دِينٍ يُسَمُّوهُ نَعْجَةً	وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا فِيهِ طَائِلُ
وإن كانَ ذا صَمْتٍ يَقُولُونَ صَوْرَةً	مُمَثِّلَةٌ بِالْعِيِّ بَلْ هُوَ جَاهِلُ
وإن كانَ ذا شَرٍّ فَوَيْلٌ لِأُمَّه	لِمَا عَنْهُ يَحْكِي مَنْ تَضُمُّ الْمُحَافِلُ

وما يلوح أن إصرار ابن دريد على جعل أسلوب الشرط بنية مركزية في القصيدة، فضلاً على ما تقدّم من تعليل، يرمي إلى الضغط بهذا المؤثر الأسلوبي على وعي المتلقي الذي لم يتعرّف دخائل صنف من الأناسيِّ الذين ينتمون إلى المجتمع، ولم يبُل رداءة أخلاقهم كما بلاها ابن دريد؛ كي يستبصرهم فيحذرهم ويتّقي شرّ ألسنتهم.

وفي قصيدة طائية فخرية حماسية، يكرّر ابن دريد جملة فعلية طلبية تكريراً متواليّاً، في مطالع صدور أبيات ثمانية، هي قوله: «قَرَطَا مُهْرِي» و«وقرّطاه». منها قوله (٣٥):

قَرَطَا مُهْرِي الْعِنَانَ وَشَيْكَاً فَحَرِيٌّ لِمُهْرِي التَّقْرِيطُ  
قَرَطَاهُ نِعَمَ الْمُؤَازِرُ فِي الرَّوِّ عِ لَأَخْلَامِهِ وَنِعَمَ الرَّيِّطُ

يُستقرأ في هذه التكرير بعض معانٍ، لعلّ من أوفقها إرادة ابن دريد تضخيم استعداده لملاقاة من يعاديه، ومضاعفة التنبيه على ذلك. كما أنّ تكرير الاستعداد في سياق الحماسة والفخر والاعتداد بالنفس، يطن معاني التهديد والوعيد الموجهة للخصم. ثمّ إنّ ارتباط جملة التكرير بالمهر الذي تكرّر ذكره بعدد تكرير: «قَرَطَا» ينشئ ظلّ معنّى آخر فيه افتخار بالمهر واعتزاز به وثناء عليه. وقد اختار ابن دريد روي الطاء، الذي هو حرف مطبق وقفي أو انفجاري، وقليل الاستعمال في روي الشعر، واختار تكرير «قَرَطَاه» بطائها الممدودة بصائت طويل؛ ليولّد بهذين الاختيارين جرساً موسيقياً قويّاً الوقع والتأثير، ويتناسب إيجابياً مع معاني الفخر والحماسة والوعيد والتهديد.

#### ٤ - ظاهرة إيقاعية جديدة:

ثمة ظاهرة إيقاعية جديدة أدخلها ابن دريد على الأرجوزة، ولعلّها تكون من المخترعات المبكرة في تاريخ الشعر العربي لاستدخال تنوع إيقاعي جديد

---

(٣٥) الديوان، ص ٩٨. والتقريط: هو وضع العنان خلف الأذن عند الإجماع. والأخلام:

جمع خَلْم وهو الصديق المخلص.

على الأرجوزة بتنوع القوافي من وجه، وبخرق نظام بنية البيت الشعري القائمة على نظام الشطرين؛ ليغدو مكوّنًا من ثلاثة أشطر في كامل القصيدة كلّها من وجه ثان، وبالتقفية الداخلية الموحّدة بين الأشطر الثلاثة في البيت الواحد من وجه ثالث، وهي سمة فنية، لعلّها، تضاهي التسجيع في النصّ الثري. ومن ذلك قوله<sup>(٣٦)</sup>:

ما طابَ فرعٌ لا يطيبُ أصلُهُ      حمى مؤاخاة اللئيمِ فعُلهُ  
وكلُّ منٍ واخى لئيمًا مثلهُ  
من أمن الدهرَ أتى من مأمّنه      لا تستثر ذا ليدٍ من مكمّنه  
وكلُّ شيءٍ يُبتغى في معدّنه  
وهكذا يمضي في مثلثته البديعة إلى أن يختمها بقوله:  
إنّك مربوبٌ مدينٌ تُسألُ      والدّهْرُ عن ذي غفلةٍ لا يغفلُ  
حتّى يجيء يومه المؤجّلُ

وسينتهي التصرف بتوزيع هذه الأسطار - على النحو الذي تُبنى عليه أفعال الموشحة وأدوارها - إلى انتظامها في بنية تضاهي بنية الموشحة.

لا مرية في أنّ هذه المسالك الأسلوبية التي يتقصّد ابن دريد إلى افتراعها، وما تفضي إليه من تنضيد القصائد وتنظيمها وتقسيمها ومن فارسية لإيقاعها، على النحو الذي رأيناه في المربعات وحَبْك أطرافها، وفي ردّ الأعجاز على

(٣٦) الكوكب الثاقب: ج ٢، ص ٣١٠-٣١١.

الصدور في كل بيت من أبيات بعض القصائد، وفي توشيح القصيدة بقواف داخلية أو ما سمّي بالتوعم وذوات القوافي، وفي تثليث الأبيات وتنوع رويها، وانتشار التكرير على أنحاءه المختلفة وما يندرج فيه من ألوان بديعية متعددة - يُمثّل أكثرها بنى أسلوبية قَبْلِيَّة تُفرض على القصيدة فرضاً، ولا تتشكّل على نحو تلقائي - عدا يسير منها - وفق نموّ القصيدة نفسها نموّاً فنياً ينساق لطبيعة الموقف والرؤية وسياق الحالة الشعورية. وهي، من بعد، تنطوي على مشقّة نظّم من جهة، وعلى وعي بالصنعة الفنية وإرادتها لذاتها من جهة أخرى. ومع ذلك فلم تغادر قصائد ابن دريد - خلا القصائد التعليمية المحضّة - مع ما اجتواها من جهد ومشقّة، صنعة الشعر الفنية إلى التصنّع والتكلف الظاهرين، أو النظم الذي يخلو من شعرية الشعر وجماليات التصوير والتعبير الفنيّ.

وهي إلى ذلك، مؤشّرات أسلوبية تخفي وراءها منازع ابن دريد العقلية والمنطقية والعلمية والإبداعية المراد إظهارها على نحو مباشر أو غير مباشر. وإذا ما أضفنا إلى هذه المؤشّرات الأسلوبية سائر المؤشّرات التي تقدم القول فيها، فإنّ تأويلها المقترح وفق القراءة الراهنة، يترأى في كونها تشكّل مظهرًا من مظاهر نسق ثقافي جديد، يحاول إنشاء متن لفحولة لغوية مشفوعة بصنعة فنية ونزعة تعليمية في قلب المتن الشعري. وقد يترجّح الظنّ أنّ هذا المسلك اللغويّ المُفَنَّّ قد حقّق استقلاله وبنيتَه الجديدة، فيما بعد، بتركزه في جنس أدبي جديد، هو فنّ المقامة التي زاوجت بين فنون البديع اللفظيّ والمعنوي وغرائب اللغة والنزعة

التعليمية، وهو ما ألفيناه، آنفأ، حاضرًا على نحو مكثفٍ ومقصودٍ في شعر ابن دريد. وقد عاضت المقامةُ عَروضَ الشعر بما انطوت عليه من عنصر الحكاية من جهة، وعنصر إيقاع السرد الناشئ من بثِّ أنواع البديع والتسجيحات والتوازنات في نسيجه من جهة أخرى. وقد يصحُّ القولُ إنَّ نصَّ المقامة غدا نصًّا سرديًّا موازيًّا في شعريته، أو إن شئت قلت: في فحولته فحولة النصِّ الشعري. وإذا صحَّ هذا التأويلُ، فقد أسهم ابنُ دريدٍ في نشوء فنِّ المقامة، ليس بتوسط أحاديثه فحسب، ولكن بتوسط متنه الشعريِّ المحبوك بأنظمة أسلوبية من صنعة بديعية سلسلة غير معقدة، ومن نوادر اللغة وغرائبها وشوارد الرّويِّ الشعري، وهذا فضلًا على المنزع التعليمي الحاضر في شعره كالمقصورة وسواها، ولعلَّ تأثير هذا المتن الشعري الدرديّ في نشأة فنِّ المقامة، يكون على درجة لا تقلُّ أهميةً عن تأثير أحاديثه.

#### المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات البحث الأسلوبية: دراسات أسلوبية (اختيار وترجمة وإضافة) ترجمة: د. شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط ١، ١٩٨٥.
- ٢- الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، د. سعد مصلوح، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٤.
- ٣- الأسلوب والأسلوبية: نحو تحليل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٧٧.
- ٤- تاريخ آداب العربية، مصطفى صادق الرافعي، المطبعة التجارية، القاهرة، ١٩٥٩.

- ٥- التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢،  
١٩٨٦.
- ٦- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجّة الحموي، تقديم وتحقيق: د. محمد ناجي بن  
عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- ٧- ديوان أبي بكر بن دريد، اعتنى بجمعه وتهذيبه وتحقيق ما فيه وتصحيحه: السيد  
محمد بدر الدين العلوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،  
١٩٤٦.
- ٨- ديوان أبي بكر بن دريد، تحقيق: عمر بن سالم، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٣.
- ٩- ديوان أبي العتاهية، شرح: د. وفاء الباني قمر، دار الجليل، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
- ١٠- شرح مقامات الحريري، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي،  
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢.
- ١١- شرح مقصورة ابن دريد، الخطيب التبريزي، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة  
المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
- ١٢- علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥.
- ١٣- كتاب الأمالي، أبو علي القالي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠.
- ١٤- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد  
البيجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦.
- ١٥- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن  
علي بن إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠.

- ١٦- الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب، عبد القادر بن عبد الرحمن السلوي، تحقيق وتقديم وشرح: عبد الله الياسي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط١، ٢٠٠٦.
- ١٧- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، محيي الدين بن عربي، دار صادر، بيروت، د. ت.
- ١٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، اعتنى بها: د. يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- ١٩- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٦.
- ٢١- موسوعة الشعر العربي: الشعر الجاهلي، اختارها وشرحها وقدم لها: مطاع صفدي وإيليا حاوي. أشرف عليها: د. خليل حاوي، بيروت، ١٩٧٤.
- ٢٢- نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي سانديرس، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣.
- ٢٣- النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٣، ٢٠٠٥.

## موازن الأفعال وأنواعها دراسة وتحقيق

د. محمد الأمين بو علي (\*)

المقدمة:

تعدُّ أبنية الأفعال وأوزانها من أهم مباحث علم الصَّرف. وقد تحدَّث عنها معظم النحاة الذين طرَّقوا أبواب هذا العلم، ولكن من يبحث في كتبهم يجد اختلافًا كبيرًا في عددها وأوزانها، وما هو أساسيُّ منها وما هو مُلحق بغيره. والمخطوطة التي بين أيدينا جمع فيها مصنَّفها أبنية الأفعال الأساسية، المجردة والمزيدة، فبلغت عنده تسعة عشر بناءً: «ثلاثة منها ثلاثية، وأربعة منها رباعية، وستة منها خماسية، وستة منها سداسية. فالثلاثية: فَعَلَ وفِعَلَ وفُعَلَ. والرُّباعية: أفعَلَ وفَعَلَ وفَاعَلَ وفَعَّلَ. والخماسية: افتَعَلَ وانفَعَلَ وأفَعَلَ وتَفَعَّلَ وتفاعَلَ وتَفَعَّلَ. والسُداسية: استَفَعَلَ وأفَعَوَّلَ وأفَعَوَّلَ وأفَعَلَّ وأفَعَّلَّ».

---

(\*) باحث في اللغة والتراث من الجزائر

وهذا التصنيف موافق لما استقرّ عليه جمهور النحاة من المتأخرين<sup>(١)</sup>، ويُمكن تبينُّ أوجه الخلاف من العرض التالي:

- بلغت أبنية الأفعال عند ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) في كتابه «شرح المفصل» اثنين وثلاثين بناءً، منها سبعة عشر بناءً أساسياً تتوافق مع ما جاء في المخطوطة، باستثناء بناءين هما «تَفَعَّلَ وَتَفَاعَلَ» إذْ عَدَّهما من الأبنية الملحقّة بـ«تَدَحَّرَجَ». وباقي الأبنية ذكرها ضمن الأبنية الملحقّة بالرباعي المجرّد والمزيد بحرف والمزيد بحرفين<sup>(٢)</sup>.

٢- بلغت أبنية الأفعال عند ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) في لامية الأفعال التي شرحها ابنه بدر الدين (ت ٦٨٦هـ) خمسين بناءً سرّدها في منظومته، دون تمييز بين الأبنية الأساسية والأبنية الملحقّة، وقد فرضت طبيعة المنظومة تداخلاً في عرض الأفعال الرباعية والخماسية والسداسية، والأساسية والملحقّة، وضمّت كثيراً من الأبنية التي تُصنّف أمثلتها في النادر أو المهجور أو المصنوع<sup>(٣)</sup>.

٣- بلغت أبنية الأفعال عند الرضي الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) في كتابه «شرح شافية ابن الحاجب» اثنين وثلاثين بناءً، مصنّفة ضمن مجموعتين هما:

---

(١) ابن القطاع الصقلّي: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ص ٣٣٥، وابن يعيش: شرح المفصل ٧: ١٥٢، والرضي: شرح الشافية ١: ٦٧، وابن عقيل: ٢: ٥٤٩، والسيوطي: المزهرة ٢: ٤٠.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل ٧: ١٥٢.

(٣) تُنظر الأبنية التي ذكرها ابن مالك في: ابن الناظم: شرح لامية الأفعال ص ٤١-٨٦.

الأبنية الأساسية، والأبنية الملحقة،<sup>(٤)</sup> بما يتوافق مع ما ورد عند ابن يعيش في شرح المفصل. لكن الرضي استدرك على ابن الحاجب فذكر أن «تَفَعَّلَ وَتَفَاعَلَ» هما من الأبنية الأساسية، وليسا ملحقين بـ«تَدَخَّرَجَ»<sup>(٥)</sup>. وبذلك بلغت الأبنية الأساسية عنده تسعة عشر بناءً. وهذا يوافق ما جاء في المخطوطة التي بين أيدينا تمامًا.

من هذا العرض يتّضح أن المادة العلمية التي حوتها المخطوطة صحيحة بوجه عام، باستثناء بعض الملاحظات المدرجة في هوامش التحقيق، إذا أخذنا بعين الاعتبار أنها تضمّنت الأبنية الأساسية للأفعال، دون الأبنية الملحقة. والفرق بين المجموعتين هو أن الأبنية الأساسية بعضها مجرد وبعضها مزيد، بحيث تكون الزيادة لمعنى مقصود، أما الأبنية الملحقة فكلها مزيدة، والزيادة فيها ليست لمعنى مقصود، بل لغرض لفظي فحسب.<sup>(٦)</sup>

تقع المخطوطة ضمن مجموع فيه عدّة رسائل لغوية، وهذا المجموع محفوظ في المكتبة السليمانية بإستانبول، في قسم «أسعد أفندي» برقم ٣١٤٥. تشغل المخطوطة ستّ صفحات مزدوجة من المجموع، وتبدأ بالرقم (٢١) وتنتهي بالرقم (٢٦)، وهي مكتوبة بخط واضح وجميل، ومضبوط بالشكل في المواضيع التي تحتاج إلى ضبط. واسم كاتبها عثمان، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٢٠٦هـ.

(٤) الرضي: شرح الشافية ١: ٦٧ و ١١٣.

(٥) الرضي: شرح الشافية ١: ٦٨.

(٦) يُنظر في مفهوم الإلحاق وضوابطه: ابن يعيش: شرح المفصل ٧: ١٥٥، والرضي: شرح

الشافية ١: ٥٢، وقباوة: تصريف الأسماء والأفعال ص ١٠٦-١٠٧.

لم يُذكر اسم المُصنّف في المخطوطة، ولم تُسعّفنا المصادر بمعرفته، إذ ليس في المصادر المتوفرة إشارة إلى المخطوطة أو مصنّفها. ولكن يُرجّح أن المصنّف هو: بدر الدين محمد بن العلامة النحوي المشهور محمد بن عبد الله بن مالك، والمعروف بابن الناظم (ت ٦٨٦هـ)<sup>(٧)</sup>. والذي يدعو إلى ذلك ما يلي:

١- يبدأ المجموع الذي أشرتُ إليه بمخطوطة لكتاب «شرح لامية الأفعال» لابن الناظم، ثم تأتي المخطوطة التي بين أيدينا بعده مباشرة. وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن المخطوطة لابن الناظم، ولم يجد الناسخ ضرورة لإعادة تكرار اسم المصنّف.

٢- جاء في نهاية «شرح لامية الأفعال» من المجموع المذكور ما يلي:  
«ولبعضهم:

جميع أصول الفعل سبعة أحرف	فها أنا في بيت على الوجه واصفٌ
صحيحٌ ومهموزٌ مثالٌ وأجوف	لفيفٌ ومنقوصٌ البناء مُضاعفٌ
أنواع أبواب التصريف:	
فؤادي مُعتلٌ، وجسمي ناقصٌ	وحبي صحيحٌ واشتياقي مُضاعفٌ
وصدغاك مهموزٌ، وعيناك عندنا	لفيفان مَقرونٌ ومَفروقٌ أجوفٌ

(٧) ترجم لابن الناظم، بتوسّع وبصورة وافية، الأستاذ محمد أديب جبران في مقدمة تحقيقه لكتابه «شرح لامية الأفعال». فلا حاجة لإعادة الترجمة هنا.

والبيتان الأولان وردا في أول المخطوطة التي بين أيدينا. وهذا أيضًا يدعو إلى الاعتقاد بأن ابن الناظم بعد أن انتهى من شرح لامية الأفعال أراد أن يصنع لها مُختَصراً مُيسِّراً، فأورد البيتين في نهاية شرحه، ثم بنى عليهما مُختَصره الذي هو المخطوطة التي بين أيدينا.

٣- تمثّل المخطوطة، إذا قارناها بشرح لامية الأفعال، مختصراً مُيسِّراً، يسهل حفظه، ويخلو من التعقيد، ويستثني الأبنية التي لا تجيء عليها إلا الأمثلة النادرة. وهذا يقود إلى الاعتقاد أيضًا بأنها لابن الناظم المشهور بمختصراته. فنسبة المخطوطة لابن الناظم أمرٌ مُرجَّح وليس مقطوعاً به. ويبقى الباب مفتوحاً أمام الباحثين للإدلاء بدلوهم.

وقد اعتمدتُ في التحقيق على النسخة الوحيدة التي ذكرتها، مُستعيناً بالمصادر والمراجع الصرفية، كبديل عن تعدد النسخ المخطوطة التي يقتضيها المنهج العلمي في التحقيق. ووضعت بين معقوفتين [ ] في المتن المحقق ما رأيتُه ضرورياً للتوضيح. واقتصرتُ في التعليقات على ما يخدم الفهم والتوضيح، متجنباً التفاصيل التي تجعل المختصر مطوّلاً، والميسر مُعقّداً، وتُخرج النصّ عمّا أراد له المصنّف.

أملاً أن أضع مادة هذه المخطوطة بين أيدي الدارسين، وخاصةً غير المختصين والطلاب، لسهولة حفظها، ولأنها تضمّ المادة الأساسية التي يُعَوَّل عليها في معرفة أبنية الأفعال وأنواعها وأزمنتها، والمصادر والمشتقات التي ترتبط بها.

والله من وراء القصد، وهو الموفق والمستعان

[موازن الأفعال وأنواعها]<sup>(٨)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

على محمد وآله أجمعين. أما بعد:

إِنَّ مَوَازِينَ الْأَفْعَالِ تِسْعَةٌ عَشْرَ نَوْعًا: ثَلَاثَةٌ مِنْهَا ثَلَاثِيَّةٌ، وَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا رِبَاعِيَّةٌ، وَسِتَّةٌ مِنْهَا حُمْاسِيَّةٌ، وَسِتَّةٌ مِنْهَا سُدَّاسِيَّةٌ.

فَالثَلَاثِيَّةُ: فَعَلَ وَفَعِلَ وَفَعُلَ. وَالرِّبَاعِيَّةُ: أَفْعَلَ وَفَعَّلَ وَفَاعَلَ وَفَعَّلَلَ<sup>(٩)</sup>.  
وَالْحُمْاسِيَّةُ: افْتَعَلَ وَانْفَعَلَ وَافْعَلَّ وَتَفَعَّلَ وَتَفَاعَلَ وَتَفَعَّلَلَ<sup>(١٠)</sup>. وَالسُّدَّاسِيَّةُ:  
اسْتَفْعَلَ وَافْعَنْلَلَ وَافْعَلَّلَ وَافْعَوَّلَ وَافْعَوَّعَلَ وَافْعَالَّ<sup>(١١)</sup>.

ثم الأفعال على سبعة أوجه. وقد جمعها قول الشاعر:

جَمِيعُ أَصُولِ الْفِعْلِ سَبْعَةٌ أَوْجُهُ      هَا أَنَا فِي بَيْتِ عَلَى الْوَجْهِ وَاصِفُ  
صَحِيحٌ وَمَهْمُوزٌ مِثَالٌ وَأَجُوفٌ      لَفَيْفٌ وَمَنْقُوصٌ الْبِنَاءِ مُضَاعَفُ

(٨) العنوان مُسْتَوْحَى مِنَ الْمَضْمُونِ، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْمَخْطُوطَةِ.

(٩) الْأَبْنِيَّةُ الثَّلَاثَةُ الْأُولَى تَمَثَّلُ الْأَفْعَالُ الثَّلَاثِيَّةُ الْمَزِيدَةُ بِحَرْفٍ. أَمَّا الْبِنَاءُ الْأَخِيرُ فَيُمَثَّلُ  
الرِّبَاعِيَّ الْمَجْرَدَ.

(١٠) الْأَبْنِيَّةُ الْخَمْسَةُ الْأُولَى تَمَثَّلُ الْأَفْعَالُ الثَّلَاثِيَّةُ الْمَزِيدَةُ بِحَرْفَيْنِ. أَمَّا الْبِنَاءُ الْأَخِيرُ فَيُمَثَّلُ  
الرِّبَاعِيَّ الْمَزِيدَ بِحَرْفٍ.

(١١) اسْتَفْعَلَ وَافْعَوَّلَ وَافْعَوَّعَلَ وَافْعَالَّ: تَمَثَّلُ الْأَفْعَالُ الثَّلَاثِيَّةُ الْمَزِيدَةُ بِثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ. أَمَّا  
افْعَنْلَلَ وَافْعَلَّلَ: فَكُلُّ مِنْهُمَا رِبَاعِيٌّ مَزِيدٌ بِحَرْفَيْنِ.

فالصَّحِيحُ: ما كان خاليًا من حروف العِلَّة، نحو: ضَرَبَ وَقَتَلَ وَجَلَسَ<sup>(١٢)</sup>.  
والمَهْمُوزُ: ما كان فاءُ فِعْلِهِ أو عَيْنُ فِعْلِهِ أو لَامُ فِعْلِهِ همزةً، نحو: أَكَلَ وَسَأَلَ وَقَرَأَ.  
والمِثَالُ: ما كان فاءُ فِعْلِهِ حرفَ عِلَّة، نحو: وَصَلَ وَيَسَرَ.  
والأَجُوفُ: ما كان عَيْنُ فِعْلِهِ حرفَ عِلَّة، نحو: قَالَ وَبَاعَ.  
واللَّيْفُ: ما كان فيه حَرَفَا عِلَّة، وهو على ضَرَبَيْنِ: مَقْرُونٌ وَمَقْرُوقٌ.  
فالمَقْرُونُ: ما كان عَيْنُ فِعْلِهِ ولامُ فِعْلِهِ حَرَفَيَّ عِلَّةٍ نحو: طَوَى وَثَوَى. والمَقْرُوقُ:  
ما كان فاءُ فِعْلِهِ ولامُ فِعْلِهِ حَرَفَيَّ عِلَّةٍ نحو: وَقَى وَرَعَى.  
والمُنْقُوصُ: ما كان لَامُ فِعْلِهِ حَرَفًا من حروف العِلَّة نحو: رَمَى وَرَعَى.  
والمُضَاعَفُ: ما كان عَيْنُهُ ولامُهُ حَرَفَيْنِ من جِنْسٍ واحدٍ، مُظَهَّرًا كان أو  
مُدْعَمًا نحو: مَدَّ يَمُدُّ وَأَصْلُهُمَا: مَدَدَ يَمُدُّدُ.

### باب [فعل من الصحيح والمهموز]

اعْلَمْ أَنَّ «فَعَلَ» مفتوحَ العَيْنِ، من الصَّحِيحِ والمَهْمُوزِ، إذا كان في موضع  
عَيْنِ فِعْلِهِ أو لَامِ فِعْلِهِ حرفٌ من حروف الحلق يأتي مستقبلُهُ مفتوحًا، نحو: رَحَلَ  
يَرَحَلُ، و[سَنَحَ يَسْنَحُ]<sup>(١٣)</sup>، ودمَغَ يَدْمَغُ، ومنَعَ يَمْنَعُ، وذَهَبَ يَذْهَبُ، وسَأَلَ  
يَسْأَلُ. وحروف الحلق ستة: الهمزة والهَاءُ والعَيْنُ والغَيْنُ والحَاءُ والخَاءُ.

---

(١٢) التعريف الدقيق للفعل الصحيح: هو ما خَلَّتْ أَحْرَفُهُ الْأَصْلِيَّةُ من أَحْرَفِ الْعِلَّةِ. لذلك يُعَدُّ  
نحو: قَاتَلَ تَعَاهَدَ وَيَطَّرَ أَفْعَالًا صَحِيحَةً، لأنَّ أَحْرَفَ الْعِلَّةِ فِيهَا لَيْسَتْ مِنَ الْأَصُولِ.  
(١٣) في الْأَصْلِ: سَلَحَ يَسْلُحُ. والمثبت موافق لما جاء في شرح لامية الأفعال.

وإن كان خاليًا من حروف الحلق يأتي مضمومًا أو مكسورًا نحو: قَتَلَ يَقْتُلُ،  
وَبَدَلَ يَبْدُلُ، وَضَرَبَ يَضْرِبُ، وَجَلَسَ يَجْلِسُ.

والأغلب في مصدره يُعْتَبَرُ باللزوم والتعدي، فيقال في اللازم<sup>(١٤)</sup>: «فُعُولًا»  
نحو: خَرَجَ خُرُوجًا وَجَلَسَ جُلُوسًا، وفي المتعدي: «فَعَلًا» نحو: ضَرَبَ ضَرْبًا  
وَقَتَلَ قَتْلًا.

واسم فاعله على وزن «فاعِل». واسم مفعوله على وزن «مفعُول»، نحو:  
ضَارِبٍ وَمَضْرُوبٍ، وَحَابِسٍ وَمَحْبُوسٍ، وَقَاتِلٍ وَمَقْتُولٍ.

والأمر والنهي في جميع الأفعال مبنيان على الفعل المستقبل<sup>(١٥)</sup>، فإن كان ثاني  
المستقبل متحركًا تحذف الزائد من أوله وتُسكَّن الحرف الأخير، كقولك: من  
«تَصِلُ»: «صِلْ»، ومن «تَعِدُ»: «عِدْ»، ومن «تَعَلَّمْ»: «تَعَلَّمْ».

وإن كان ثاني المستقبل ساكنًا احتيج إلى همزة للتوصل بها إلى الحرف  
الساكن، وتكون الهمزة مضمومة إذا كان عين الفعل مضمومًا نحو: من «تَقْتُلُ»: «تَقْتُلُ»  
أَقْتُلْ، ومن «تَبْدُلُ»: «أَبْدُلْ»، ومكسورة إذا كان عين فعل المستقبل مفتوحًا أو  
مكسورًا نحو: من «تَضْرِبُ»: «إِضْرِبْ»، ومن «تَمْنَعُ»: «إِمْنَعْ».

وأما النهي فيزيد على الفعل المستقبل «لا» نحو: لا تَقْتُلْ ولا تَضْرِبْ ولا  
تَمْنَعْ.

(١٤) في الأصل: اللزوم. والمثبت يوافق منهج المؤلف.

(١٥) أي إن صيغتي الأمر والنهي تُحدَّدان بحسب صيغة المضارع.

### باب «فعل» من المثال

اعلم أن «فعل» من المثال، إذا كان في موضع عَيْنِ فعله أو لام فعله حرفاً من حروف الحلق يأتي مستقبلاً مفتوحاً، نحو: وهَبْ يَهَبُ وَيَعْرَبُ وَيَعْرَبُ<sup>(١٦)</sup>، وإن كان خالياً من حروف الحلق يأتي مكسوراً نحو: وَصَلَ يَصِلُ، والأصل: يَوْصِلُ فحُذِفَت الواو لحصولها بين [ياء] وكسرة لازمة.

والأغلب في مصدره يُعْتَبَرُ باللزوم والتعدي، فيقال في اللازم: «فُعُولاً» نحو: وَصَلَ وَصُولاً وَوَرَدَ وَرُوداً، وفي المتعدي: «فَعَلًا» نحو: وَهَبَ وَهَبًا، ويقع فيه نوعٌ آخر نحو: صِلَةٌ وَعِدَّةٌ.

واسم فاعله على وزن «فاعِل»، واسم مفعوله على وزن «مَفْعُول»، نحو: واصل ومَوْصُول، وواهب ومَوْهوب.

[وأما] الأمر والنهي فقد ذكرتُ أنهما يُبَيِّنَانِ على الفعل المستقبل، فتقول من «تَصِلُ»: «صِلْ [ولا تَصِلْ]، ومن «تَهَبُ»: هَبْ [ولا تَهَبْ]، ومن «تَيْعَرُ»: ائِعْرَ [ولا تَيْعَرُ].

### باب «فعل» من الأجوف

اعلم أن «فعل» من الأجوف يأتي مستقبلاً مضمومًا إن كان من بنات الواو نحو: قَالَ يَقُولُ ورامَ يَرُومُ، ومكسورًا إن كان من بنات الياء نحو: كَالَ يَكِيلُ وِبَاعَ يَبِيعُ وِصَارَ يَصِيرُ.

(١٦) يُقال: يِعْرَتِ الشاةُ، إذا صاحَت.

والأغلب من مصدره يأتي على وزن «فعل» نحو: قَوْلٌ وَبَيْعٌ.  
واسم فاعله يأتي على وزن «فاعل» نحو: قَائِلٌ وَبَائِعٌ. واسم المفعول منه إنْ  
كان من بنات الياء<sup>(١٧)</sup> يأتي ناقِصًا وتامًا نحو: مَكِيلٌ وَمَكْيُولٌ وَمَبِيعٌ وَمَبْيُوعٌ.  
والأمر: قُلٌّ، والنَّهْيُ: لَا تَقُلْ، وَبِعٌ وَلَا تَبِعْ. والأصل: قَوْلٌ وَبَيْعٌ فَحُذِفَتْ  
الواو والياء لالتقاء الساكنين.

### باب «فعل» من اللفيف المقرون [والمفروق]

اعلم أن «فعل» من اللفيف المقرون يأتي مُستقبله مكسورًا نحو: طَوَى  
يَطْوِي وَثَوَى يَثْوِي، والأصل: طَوِيٌّ وَثَوِيٌّ، فُقِلَّتِ الياءُ أَلْفًا لِتَحْرُكِهَا وَاِنْفِتَاحِ  
مَا قَبْلَهَا، وَيَطْوِي أَصْلُهُ: يَطْوِيٌّ فَأُسْكِنَتْ الياءُ لِانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا.  
ومصدره يأتي على وزن «فعل» نحو: طَوَى يَطْوِي طِيًّا، والأصل: طَوِيًّا  
فُقِلَّتِ الواو ياءً وَأُدْغِمَتْ فِي الياءِ الثَّانِيَةِ.  
واسم فاعله يأتي على وزن «فاعل» نحو: طَاوٍ، والأصل: طَاوِيٌّ فَأُسْكِنَتْ  
الياءُ ثُمَّ حُذِفَتْ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ التَّنْوِينِ بَعْدَهَا<sup>(١٨)</sup>. واسم مفعوله يأتي على  
وزن «مفعول» نحو: مَطْوِيٌّ، والأصل: مَطْوُويٌّ، فُقِلَّتِ الواو الثَّانِيَةَ ياءً  
وَأُدْغِمَتْ فِي الياءِ الثَّانِيَةِ.

(١٧) في الأصل: الواو. والصواب: الياء.

(١٨) يُعَدُّ التَّنْوِينُ سَاكِنًا، لِأَنَّهُ يُصْبِحُ نَوْنًا سَاكِنَةً فِي اللفظ.

والأمر «إفعل» والنهي «لا تفعل»<sup>(١٩)</sup> نحو: اطو ولا تطو، والأصل فيه: اطوي فحذفت الياء علامة للسكون.

والمفروق منه يأتي مستقبلاً نحو: وعى يعي وعياً، فهو: واع وذاك موعياً.  
والأمر: عه، والنهي: لا تعه، فإن وصلته حذفت الهاء نحو: ع حفظ ما رأيت لك.

### باب [فعل] من الناقص

اعلم أن «فعل» من [الناقص]<sup>(٢٠)</sup> إذا كان في موضع عين فعله حرف من حروف الحلق يأتي مستقبلاً مفتوحاً نحو: سعى يسعى ورعى يرعى، وإن كان خالياً منها يأتي مستقبلاً مضموماً إذا كان من بنات الواو نحو: تلا يتلو وعلا يعلو، ومكسوراً إن كان من بنات الياء نحو: رمى يرمي وقضى يقضي.  
والأغلب من مصدره يُعتبر باللزوم والتعدي، فيقال في اللازم: «فُعُولاً»  
نحو: علا علواً، وفي المتعدي: «فَعَلًا» نحو: رمى رمياً.

واسم فاعله يأتي على وزن «فاعل» واسم مفعوله يأتي على وزن «مفعول» نحو: رمى يرمي رمياً، فهو: رام وذاك مرمي، والأصل: رامي ومرموي ففعل بهما ما تقدم<sup>(٢١)</sup>.

---

(١٩) وزن «اطو ولا تطو»: إفع ولا تفع، لأن الشائع عند النحاة أن يُحذف من الميزان ما مقابل ما حُذف من الكلمة. أما المصنف فقد أوردَ وزنَ صيغتي الأمر والنهي باعتبار الأصل. وهذا جائز على رأي بعض النحاة لكنه ليس شائعاً. يُنظر: شرح الشافية ١: ٣١-٣٢.

(٢٠) في الأصل: المنقوص.

(٢١) أي: أُسكنت الياء في اسم الفاعل «رامي» ثم حُذفت لسكونها وسكون التنوين بعدها، فأصبح: رام. وقُلبت الواو ياءً في اسم المفعول «مرموي» ثم أُدغمت في الياء، فأصبح: مرمي.

والأمر والنهي يُبينان على القياس المذكور، فتقول من «تتلو»: أتُل، ومن «ترمي»: إزم، ومن «تسعى»: إسع. والنهي: لا تتل ولا ترم ولا تسع فحذفت الواو والياء والألف علامة للسكون<sup>(٢٢)</sup>.

### باب «فعل» من المضاعف

اعلم أن «فعل» من المضاعف يأتي مستقبلاً مضموماً إن كان مُتعدِّياً نحو: مَدَّ يَمُدُّ وَشَدَّ يَشُدُّ، ومكسوراً إن كان لازماً نحو: فَرَّ يَفِرُّ وَشَبَّ يَشِبُّ. والأغلب من مصدره يُعتبر باللزوم والتعدِّي، فيقال في اللازم: «فُعُولاً» نحو: كَرَّ كُرُورًا، وفي المتعدِّي: «فَعَلًا» نحو: مَدَّ مَدًّا. واسم فاعله يأتي على وزن «فاعِل» واسم مفعوله يأتي على وزن «مفعُول» نحو: مادُّ<sup>(٢٣)</sup> وممدود. والأمر منه إن كان مُتعدِّياً يأتي<sup>(٢٤)</sup> مضموماً ومكسوراً ومفتوحاً نحو: مُدٌّ ومُدٌّ ومُدٌّ، وإن كان لازماً يأتي مكسوراً ومفتوحاً نحو: فِرٌّ وفِرٌّ. والنهي: لا تَمُدَّ ولا تَفِرَّ.

(٢٢) أي: علامة لبناء الأمر وجزم المضارع.

(٢٣) أصل «ماد»: مادد، فأسكنت الدال الأولى، ثم أدغمت في الثانية.

(٢٤) أي: الحرف الأخير من الفعل. جاء في درة العواص: وأما جنس حركة آخر الفعل

المضعف في الأمر والجزم كبيت جرير:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ      فَلَ كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

فقد جُوزَ كسر الضاد من غَضَّ لالتقاء الساكنين، وفتحها لخفة الفتحة، وضمها على

إتباع الضمة قبلها وهو أضعفها. الحريري: درة العواص ص ٢٢٩.

## باب «فعل»

اعلم أن «فعل» من الصحيح، بكسر العين، يأتي مستقبلاً مفتوحاً لا غير نحو: سمع يسمع وبخل يبخل وفرح يفرح وعطش يعطش وعرج يعرج. والأغلب في مصدره يُعتبر باللزوم والتعدي، فيقال في اللازم: «فَعَلًا» نحو: عطش عطشاً وفرح فرحاً، وفي المتعدي: [فَعَلًا نحو]: سمع سمعاً. واسم فاعله يأتي على خمسة أوجه: على «فاعل» نحو سامع، وعلى «فَعِيل» نحو بخيل، وعلى «فَعِل» نحو فرح، [وعلى «فَعْلان» نحو عطشان، وعلى «أفْعَل» نحو أعرج]، ومفعوله يأتي على وزن «مفعول»<sup>(٢٥)</sup>. والأمر منه «إفْعَل» بكسر الهمزة، [والنهي: لا تَفْعَل]. وهذا القياس في المستقبل والمصدر والفاعل والمفعول والأمر والنهي يطرد في المهموز والمثال والأجوف واللفيف والمنقوص والمضاعف. في هذا الباب المهموز نحو: أَسَنَ يَأْسَنُ أَسْنًا، فهو: آسِنٌ، [وذاك: مأسون]، إِسْنٌ ولا تَأْسَنُ. والمثال نحو: وَجَلَّ يَوْجَلُّ وَجَلًّا، فهو: واجِلٌّ، [وذاك: مَوجول]، إِيْجَلُّ ولا تَوَجَلُّ. والأجوف نحو: خَافَ يَخَافُ خَوْفًا، فهو: خَائِفٌ، وذاك: مَخُوفٌ، خَفٌ لا تَخَفُ.

(٢٥) كل ما جاء من هذه الصيغ على غير وزن «فاعل» عدَّ صفةً مشبهةً باسم الفاعل.

واللَّفَيْف نحو: طَوِيَّ يَطْوِي طَوِيًّا، فهو: طَاوٍ، وذاك: مَطْوِيٍّ، اِطْوٍ لا تَطْوِي.  
والمنقوص نحو: خَشِيَّ يَخْشَى خَشِيَّةً، فهو: خَشِيَانٌ<sup>(٢٦)</sup>، [وذاك: مَخْشِيٍّ]،  
اِخْشَ لا تَخْشَ.  
والمضاعف نحو: عَضَّ يَعْضُ عَضًّا، فهو: عَاضٌ، وذاك: مَعْضُوضٌ، عَضَّ لا تَعْضُ.

### باب «فعل»

اعلم أن «فعل» من الصحيح وغيره يأتي مستقبله مضمومًا لا غير، نحو:  
مَجَّدَ يَمَجِّدُ وَكَرَّمَ يَكْرُمُ وَحَسَّنَ يَحْسُنُ وَ[ضَخَّمَ يَضْخُمُ]<sup>(٢٧)</sup> وَسَمَّرَ يَسْمُرُ وَشَجَّعَ  
يَشْجَعُ وَجَبَّنَ يَجْبِنُ.

والأغلب من مصدره يأتي على وزن «فعل وفعالة» نحو: كَرَّمَ يَكْرُمُ كَرَمًا وَكِرَامَةً.  
واسم فاعله يأتي على سبعة أوجه: على «فاعِل» نحو ما جَد، وعلى «فَعِيل»  
نحو كَرِيم، وعلى «فَعَلَ» نحو حَسَن، وعلى «فَعَلَ» نحو ضَخَّمَ، وعلى «أفعل»  
نحو أَسَمَرَ، وعلى «فُعَال» نحو شُجَّع، وعلى «فَعَال» نحو [جَبَان]<sup>(٢٨)</sup>. ولا

(٢٦) ويُقال: هو خاشٍ وخشٍ. اللسان (خشي).

(٢٧) في الأصل: صَبِحَ يَصْبِحُ. والمثبت يُوافق أمثلة الواردة بعده.

(٢٨) في الأصل: وعلى فعال نحو خصال. وهي عبارة مُقحمة، والصواب ما جاء في المتن.  
كل ما جاء من هذه الصيغ على غير وزن «فاعِل» عُدَّ أيضًا صِفَةً مَشْبَهَةً باسم الفاعل.  
ومن النحاة من يعدُّ كلَّ الصيغ من هذا الباب صِفَةً مَشْبَهَةً وإن كانت على وزن  
«فاعِل»، لأن باب «فعل» في رأيهم يختص بالدلالة على الغرائز والصفات الثابتة  
لأصحابها، وهذا هو مفهوم الصفة المشبهة.

مفعول له لأنه لازمٌ أبداً<sup>(٢٩)</sup>.

والأمر منه «أفعل»، والنهي «لا تفعل»، نحو: أكرم لا تكرم.  
والمهموز منه: أدب يأدب، فهو آدب، أو أدب لا تأدب.  
والمثال منه: وسَمَ يوسمُ وسامةً، فهو وسيمٌ، أو سَمَ لا توسمُ.  
والمُنقوص منه: سرّ و يسرّ و سراوةً، فهو سرّي، أسرّ لا تسرّ.  
ولا يأتي من هذا الباب الأجراف واللفيف والمضاعف.

### باب [الأفعال] الرباعية

الأول منها «أفعل» بزيادة الهمزة، فيأتي مستقبّله على «يفعل» بضمّ الياء وكسر العين نحو: أكرم يكرم إكرامًا، والأصل: يؤكرم فحذفت الهمزة لاجتماع

(٢٩) اسم المفعول يُصاغ من الفعل المتعدي ومن اللازم، لأنه يقع وصفاً للمفعول به والاسم المجرور والمفعول لأجله والظرف، فإن كان الفعل متعدياً صيغ للمفعول به من دون حرف جرّ، ومقترباً بحرف جرّ إذا كان لغير المفعول به، فيقال: قرأت الكتاب في البيت صباحاً حرصاً على حفظه، فالكتاب مقروء، والبيت والصباح مقروءٌ فيها، والحرص مقروء له. وحين يُصاغ من اللازم يقع وصفاً لغير المفعول به، فيقترب بحرف جرّ أو ظرف، فيقال: ذهب زيدٌ إلى المكتبة صباحاً، فالمكتبة مذهبٌ إليها، والصباح مذهبٌ فيه، ويقال: كرم زيدٌ بعد الثمانين، فالثمانون مكرمٌ بعدها. فقول المصنّف: لا مفعول له لأنه لازمٌ، لا يصحّ إلا إذا كان قصده ما ذهب إليه الرضي الأستراباذي وابن مالك في تعريف الفعل اللازم أنه: ما لا يصحّ أن يُشتقّ منه اسم مفعول تام. والمراد بالتّام: الاستغناء عن حرف الجرّ. يُنظر الرضي: شرح الكافية، القسم ٢، ص ٩٦٦، وابن مالك: شرح الكافية الشافية ٢: ٦٢٩ - ٦٣٠.

الهمزتين عند حكاية النفس، فكذلك حُذفت عند الياء والتاء والنون حملاً عليها. (٣٠)  
ومصدره يأتي على «إفعال» نحو: إكرام.

واسم فاعله على «مُفعل» نحو مُكْرِم، بضم الميم وكسر العين. واسم مفعوله على وزن «مُفعل»، بضم الميم وفتح العين [نحو مُكْرِم].  
والأمر منه أفعل، [والنهي] لا تُفعل.

وكل فعلٍ ماضيه تجاوز عن ثلاثة أحرف اسمُ فاعله يأتي بكسر العين، واسم مفعوله بفتح العين، كما ترى.

والثاني منها «فعل» بزيادة التشديد، فيأتي مستقبلاً «يُفعل»، ومصدره على «تفعليل وتفعلة»، واسم فاعله على «مُفعل»، واسم مفعوله على «مُفعل»، والأمر منه «فعل»، والنهي «لا تُفعل».

مثاله: بَصْرٌ يُبَصِّرُ بَصِيرًا وَبَصْرَةٌ، فهو مُبَصِّرٌ، وذاك مُبَصَّرٌ، بَصْرٌ، لا تُبَصِّرُ.  
والثالث منها «فاعل» بزيادة الألف، فيأتي مستقبلاً على «يُفاعِل»، ومصدره على «مُفاعلة وفعال»، واسم فاعله على «مُفاعِل»، واسم مفعوله «مُفاعِل»، والأمر منه «فاعِل»، والنهي «لا تُفاعِل».

مثاله: خَاطَبَ يُخَاطِبُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا، فهو مُخَاطِبٌ، وذاك مُخَاطَبٌ، والأمر: خَاطِبٌ، والنهي: لا تُخَاطِبُ.

---

(٣٠) عند حكاية النفس، أي: عند إسناد الفعل إلى ضمير المفرد المتكلم في صيغة المضارع، حيث تجتمع همزتان في أوله على النحو: أُكْرِمُ، فتُحذف همزة الفعل وتبقى همزة المضارع على النحو: أُكْرِمُ. وتُحذف همزة الفعل أيضًا من بقية صور المضارع حملاً على هذه الحالة.

والرابع منها «فَعَلَّ» بزيادة اللام<sup>(٣١)</sup>، فيأتي مستقبله «يُفَعِّلُ»، [ومصدره] «فَعَّلَ وَفَعَّلَا»، واسم فاعله على «مُفَعِّلِ»، واسم مفعوله على «مُفَعَّلِ»، والأمر منه «فَعِّلِ»، والنهي «لا تُفَعِّلِ».

مثاله: دَحْرَجَ يُدَحْرِجُ دَحْرَجَةً وَدِحْرَاجًا، [فهو مُدَحْرِجٌ، وذاك مُدَحْرَجٌ، والأمر: دَحْرَجْ، والنهي: لا تُدَحْرِجْ].

### باب [الأفعال] الخماسية

الأول منها «اِفْتَعَلَ» بزيادة الألف والتاء، ويأتي مستقبله على «يَفْتَعِلُ»، ومصدره على «اِفْتِعَالٌ»، واسم فاعله على «مُفْتَعِلِ»، واسم مفعوله على «مُفْتَعَّلِ»، والأمر منه «اِفْتَعِلِ»، والنهي «لا تَفْتَعِلِ».

مثاله: اِقْتَطَعَ يَقْتَطِعُ اِقْتِطَاعًا، فهو مُقْتَطِعٌ، وذاك مُقْتَطَعٌ، اِقْتَطِعْ وَلَا تَقْتَطِعْ.

والثاني منها «اِنْفَعَلَ» بزيادة الألف والنون، فيأتي مُستقبله على «يَنْفَعِلُ»، ومصدره على «اِنْفِعَالٌ»، واسم فاعله «مُنْفَعِلِ»، ولا مفعول له لأنه لازم أبدًا، والأمر منه «اِنْفَعِلِ»، والنهي «لا تَنْفَعِلِ».

مثاله: اِنصَرَفَ يَنْصَرِفُ اِنصِرَافًا، فهو مُنصَرِفٌ، اِنصَرِفْ وَلَا تَنْصَرِفْ.

والثالث منها «اِفْعَلَّ» بزيادة الألف والتشديد، فيأتي مستقبله على «يَفْعَلُّ»،

---

(٣١) اللام زائدة في صيغة الوزن، وليست زائدة في الأفعال التي تجيء عليه، لأن تلك الأفعال تُعدُّ رباعيةً مجردة.

ومصدره على «أفعلال»، واسم فاعله على «مُفَعَّل»، ولا مفعول له لأنه لازم أبداً،  
والأمر منه «إفعلّ»، والنهي «لا تفعلّ».

مثاله: احمرَّ يحمرُّ احمراراً، فهو مُحْمَرٌّ، احمرَّ ولا تحمَّرَ.

والرابع منها «تَفَعَّلَ» بزيادة التاء والتشديد، فيأتي مستقبله على «يَتَفَعَّلُ»،  
ومصدره على «تَفَعَّلَ»، واسم فاعله على «مُتَفَعَّلَ»، واسم مفعوله على «مُتَفَعَّلَ»،  
والأمر منه «تَفَعَّلَ»، والنهي «لا تَتَفَعَّلَ».

مثاله: تعلَّم يتعلَّم تعلُّماً، فهو مُتَعَلِّمٌ، وذاك مُتَعَلِّمٌ، تعلَّم ولا تتعلَّم.

والخامس «تَفَاعَلَ» بزيادة التاء والألف، فيأتي مستقبله على «يَتَفَاعَلُ»،  
ومصدره على «تَفَاعَلَ»، واسم فاعله على «مُتَفَاعَلَ»، واسم مفعوله على  
«مُتَفَاعَلَ»، والأمر منه «تَفَاعَلَ»، والنهي «لا تَتَفَاعَلَ».

مثاله: تكاثَرَ يتكاثَرُ تكاثُراً، فهو مُتَكَاثِرٌ، وذاك مُتَكَاثِرٌ، تكاثَرَ ولا تتكاثَرُ.

والسادس منها «تَفَعَّلَلَ» بزيادة التاء واللام<sup>(٣٢)</sup>. فيأتي مستقبله على  
«يَتَفَعَّلَلُ»، ومصدره على «تَفَعَّلَلَ»، واسم فاعله على «مُتَفَعَّلَلَ»، والأمر منه  
«تَفَعَّلَلَ»، والنهي «لا تَتَفَعَّلَلُ».

مثاله: تدخَّرَج يتدخَّرَجُ تدخَّرَجاً، فهو مُتَدَخَّرِجٌ، وذاك مُتَدَخَّرِجٌ، تدخَّرَج  
ولا تتدخَّرَج.

---

(٣٢) التاء زائدة في صيغة الوزن وفي الأفعال التي تحيى عليه، أما اللام فزائدة في صيغة  
الوزن فقط وأصلية في الأفعال التي تحيى عليه.

باب [الأفعال] السداسية

الأول منها «استَفَعَلَ» بزيادة الألف والسين والتاء، فيأتي مستقبله على «يَسْتَفْعِلُ»، ومصدره على «استَفْعَال»، واسم فاعله على «مُسْتَفْعِل»، واسم مفعوله «مُسْتَفْعَل»، والأمر منه «اسْتَفْعِلْ»، والنهي «لا تَسْتَفْعِلْ».

مثاله: اسْتَغْفَرَ يَسْتَغْفِرُ اسْتِغْفَارًا، فهو مُسْتَغْفِرٌ، وذلك مُسْتَغْفِرٌ، اسْتَغْفِرْ ولا تَسْتَغْفِرْ.

والثاني منها «أَفْعَلَلَّ» بزيادة الألف والنون واللام<sup>(٣٣)</sup>، فيأتي مستقبله على «يَفْعَلِّلُ»، ومصدره على «أَفْعَلَّلَ»، واسم فاعله على «مُفْعَلِّلٌ»، واسم مفعوله لا يأتي، والأمر منه «إِفْعَلِّلْ»، والنهي «لا تَفْعَلِّلْ».

مثاله: اسْحَنَكَ يَسْحَنُكَ اسْحِنَاكًا، فهو مُسْحِنُكَ، اسْحَنِكَ لا تَسْحَنُكَ.

والثالث منها «أَفْعَلَّلَّ» بزيادة الألف واللام<sup>(٣٤)</sup>، فيأتي مستقبله على «يَفْعَلِّلُ»، ومصدره على «أَفْعَلَّلَ»، واسم فاعله على «مُفْعَلِّلٌ»، والأمر منه «إِفْعَلِّلْ»، والنهي «لا تَفْعَلِّلْ».

---

(٣٣) بناء «أَفْعَلِّلَّ» رباعيّ مزيد بالألف والنون، وقول المصنّف بزيادة اللام يعني أنها زائدة في الوزن وليس في الأفعال التي تحيىء عليه كما مرّ في «فَعَلَّلَ»، ومثاله: احْرُنْجَمَ. أما «اسْحَنُكَ» الذي أتى به المصنّف فهو مُلْحَقٌ باحرنجم، وليس بناءً أساسياً. يُنظر: ابن يعيش: شرح الملوكي ص ٩٠، والرضي: شرح الشافية ١: ١١٣. واحرنجم: اجتمع. واسحنكك: رجع وتأخر.

(٣٤) بناء «أَفْعَلِّلَّ» رباعيّ مزيد بالألف واللام الثالثة.

مثاله: اقشَعَرَّ يَقشَعِرُّ اقشَعِرًا، فهو مُقشَعِرٌّ، اقشَعِرَّ لا تَقشَعِرَّ.

والرابع منها «إِفْعَوْلٌ» بزيادة الألف والتشديد<sup>(٣٥)</sup>، فيأتي مستقبلاً على «يَفْعَوْلٌ»، ومصدره على «إِفْعِوَالٌ»، واسم فاعله على «مُفْعَوْلٌ»، والأمر «إِفْعَوْلٌ»، والنهي «لا تَفْعَوْلُ».

مثاله: اِعْلَوَّطْ يَعْلوِّطُ اِعْلِوِّاطًا، فهو مُعْلَوِّطٌ، اِعْلَوَّطْ ولا تَعْلَوِّطْ.

والخامس منها «إِفْعَوَعَلٌ» بزيادة الألف والواو والعين، فيأتي مستقبلاً على «يَفْعَوَعِلٌ»، ومصدره على «إِفْعِيعَالٌ»، واسم فاعله على «مُفْعَوَعِلٌ»، والأمر منه «إِفْعَوَعِلٌ»، والنهي «لا تَفْعَوَعِلُ».

مثاله: اِحْدَوْدَبْ يَحْدَوْدِبُ اِحْدِيدَابًا، فهو مُحْدَوْدِبٌ، اِحْدَوْدِبْ لا تَحْدَوْدِبْ.

والسادس منها «إِفْعَالٌ» بزيادة الهمزة والألف والتشديد، فيأتي مستقبلاً على «يَفْعَالٌ»، ومصدره على «إِفْعِيعَالٌ»، واسم فاعله على «مُفْعَالٌ»، والأمر منه «إِفْعَالٌ»، والنهي «لا تَفْعَالُ».

مثاله: اِصْفَارٌ يَصْفَارُ اِصْفِيرًا، فهو مُصْفَارٌ، اِصْفَارٌ لا تَصْفَارُ.

تمت بعونه تعالى عزَّ شأنه

(٣٥) التشديد هنا يعني: الواو المشددة، لأن هذا البناء ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف هي الألف والواو المشددة.

## المصادر والمراجع

- ١- الحريري، أبو محمد القاسم بن علي (ت ٥١٦هـ): درة الغواص. تحقيق: عبد الحفيظ القرني، ط ١، دار الجيل، بيروت ١٩٩٦.
- ٢- الرضي، رضي الدين الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ): شرح الرضي لكافية ابن الحاجب. تحقيق: الدكتور يحيى بشير مصري، ط ١، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٩٩٦.
- شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥.
- ٣- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ): الكتاب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨.
- ٤- السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ): المزهر. تحقيق: محمد جاد المولى ورفاقه، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٧.
- ٥- ابن عصفور، علي بن مؤمن (ت ٦٦٩هـ): الممتع في التصريف. تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ط ١، المكتبة العربية، حلب ١٩٧٠.
- ٦- ابن عقيل، بهاء الدين (ت ٧٦٩هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ٢٠٠٥.
- ٧- قباوة، الدكتور فخر الدين: تصريف الأسماء والأفعال. ط ٣، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٨.

- ٨- ابن القطاع الصقلّي (ت ٥١٥هـ): أبنية الأسماء والأفعال والمصادر. تحقيق: الدكتور أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٩٩.
- ٩- ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ): لسان العرب. ط ١، دار صادر، بيروت ١٩٩٢.
- ١٠- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله (ت ٦٧٢هـ): شرح الكافية الشافية. تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، ط ١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٢.
- ١١- ابن الناظم، بدر الدين محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٨٦هـ): شرح لامية الأفعال. تحقيق: محمد أديب جمران، ط ١، دار قتيبة، بيروت ودمشق ١٩٩١.
- ١٢- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ): شرح المفصل. مكتبة المتنبي، القاهرة، دون تاريخ.
- ١٣- شرح الملوكي في التصريف. تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ط ٣، دار الملتقى، حلب ٢٠٠٥.

## خصائص المنهج العلمي لتوصيف الكلم عند سيبيويه

(\*)

د.

تمهيد:

ما أكثر ما يشاع في كلام الدارسين أن النحو العربي نحو معياري، وأنه مملوء بالأحكام المنطقية والافتراضات التأملية التصورية التي تجعله بعيداً عن محكّ العلم وضوابطه.. لكننا نهيّب في البدء بكل دارس منصف أن ينأى بعقله الحصيف عن الأحكام العامة التي تفتقر إلى التمهيص الموضوعي، وندعوه إلى أن يتفحص معنا هذه الصفحات التي اجتهدنا في جعلها أوثق ما تكون صلة بالموضوعية العلمية التي تنزّه تناول العلمي عن الأحكام التعميمية والأهواء الذاتية المغرضة.

إننا لا ننكر بتاتاً أن ينطوي النحو العربي على مواصفات معيارية، تضبط قواعده الإلزامية، وتحكم قوانينه المؤطرة للاستعمال اللغوي، لكننا نقدر فعلاً أن ذلك منوط بمنهج النحو التعليمي، الذي يُراد منه تكييف الحقائق والأحكام العلمية المبتكرة في البحث العلمي، وهو في ذلك ليس بدعاً من بين جميع طرائق

---

(\*) محاضر في جامعة فرحات عباس بالجزائر.

التقعيد النحوي التي استنبطها العلماء في جميع اللغات الإنسانية، لتحفظ لها الاستمرار والثبات لأطول مدة زمنية ممكنة في مسار الثقافات واللغات البشرية. ولا بد من الإشارة في هذا الصدد، إلى أن المبادرة بإجراء التصنيف المقدم بين المنهج العلمي للنحو العربي، وبين الطرائق التعليمية، ليس ذلك بتأناً من باب التقدير أو الافتراض للوقائع، بل هو ترسيخ لمسار التأسيس المنهجي الحقيقي لعلم النحو من بداية نشأته حتى أواخر القرن الثاني الهجري، متواكباً مع المدرستين الأصيلتين في البصرة والكوفة.

وبعد ظهور المدرسة البغدادية، في القرن الثالث الهجري، شرعت الكفة تميل إلى تغليب الاحتياجات التعليمية، فأقبل الدارسون على إرساء وتخطيط ما يمكن اعتباره إرهاباً مقدماً ليبدأ غوجيا تعليم النحو العربي، لا سيما وأن ظروف المرحلة التأسيسية لمنهج النحو العلمي قد بدأت تتغير. فبعد ما كان العلماء ابتداءً يركزون على استخلاص القوانين والأحكام النحوية الموضوعية لمختلف الظواهر اللغوية استخلاصاً مباشراً، انتقلوا بعد الموجة الأولى (البصرية) والموجة الثانية (الكوفية)، إلى تركيز أنظارهم على نحو النحو، بالبحث في الاختلافات الاجتهادية لأجل الترجيح والاختيار في نطاق المدرسة البغدادية، وشرعوا في الإقدام على تكييف الأحكام النحوية حتى تستجيب لمقتضيات التعليم، وتوجيه الاستعمال اللغوي، وضبطه في نطاق القواعد المعيارية الملزمة، لإحكام الرقابة المفروضة على كل مستعمل للعربية اكتساباً وليس سليقة.

إن الانتقال من المرحلة التأسيسية التأصيلية لمنهجية النحو العربي، والمروء إلى مرحلة النحو التعليمي، قد واكبه دخول المؤثرات الأجنبية من رواسب المنطق اليوناني، بفعل الترجمة التي أسهمت في تنشيط ظهور علم الكلام في الثقافة العربية الإسلامية، على حين نشأ النحو العربي قبل ذلك كعلم أصيل في ظل الظروف والعوامل البيئية الخاصة، التي دفعت إلى التفكير في تنشئة علم النحو والتحفيز إلى إعلاء صرح البحث فيه. ولا شك أبدأً في أن أصالة هذا العلم نابعة من أصالة العربية التي كانت محفوظة ومصونة في البيئة المحلية النقية من شوائب الدخيل في الجزيرة العربية.

على أنه لا مناص لنا من الإقرار بأن البحث في الأسس والخصائص المنهجية قد كان ضعيفاً، ولا يزال كذلك في مختلف فروع الدراسات العربية الإسلامية، ومن الحق مع ذلك أن نؤكد أن علوم العربية كانت تنطوي على تأسيس منهجي عظيم القدر والأهمية، خاصة في نطاق التوجه العلمي المؤسس في كل من مدرستي البصرة والكوفة، لكن الأبحاث العلمية لم تنقب كثيراً في أعماق التراث العلمي للمدرستين من أجل استبطان الخصوصيات والمقاييس المنهجية المؤطرة للبحث العلمي في المدرستين، وانحصرت عناية الدارسين في مستوى استنباط المعطيات والمسائل العلمية المباشرة من مظاهر الخلاف بين المدرستين.

وفي هذا الأفق بالذات، فإنه لا يمكن لنا أن نتصور إمكان تحقيق إنجازات علمية ودراسية في مستوى ما أضححت تحققه الدراسات الغربية الحديثة، دون

الإقدام على الحفر المعرفي المعمق في الطبقات العميقة للدراسات التراثية العربية، من أجل استبطان الأسس المنهجية التي قامت عليها تلك الدراسات، بهدف تأطير البحث فيها ومواصلة مسار تطويرها على سكة البحث العلمي كما كانت عليه عند انطلاقها في صدر الإسلام.

وإنني لأرجو بحق وصدق، أن تجسم هذه المحاولة الاجتهادية، لاستبطان الخصائص المنهجية الكامنة في طيات التنظير العلمي لتوصيف الكلمة عند سيبويه، لبنةً صالحةً وخطوةً سديدةً في سبيل القراءة المنهجية المدققة للنصوص العلمية التراثية.

- أولاً: البدء بالعنوان المفتاح:

١- فإن المغزى من قوله في أول كلمة من العنوان: «هذا باب»<sup>(١)</sup> هو تحديد القصد إلى المتعين الموضوعي المعلوم، بعيداً عن الذات المدركة ومستقلاً عنها. وليس الأمر في ذلك كما قال السيرافي في شرحه، أنه: «أشار إلى ما في نفسه من العلم الحاضر، أو أشار إلى منتظر قد عُرف قُربه...»<sup>(٢)</sup>. بل إن سيبويه قد تعمد أن يفتح جميع عناوين أبواب الكتاب باسم الإشارة «هذا». ليرسخ القصد بأن الأمر يتعلق بمشخص موضوعي منفصل عن الذات المدركة بمسافة معلومة. وأنه يشير بذلك إلى منظور قد عُلِم بعده عن الذات.

(١) الكتاب سيبويه تح وشرح عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي القاهرة. ج ١. ص: ١٢.

(٢) هامش الكتاب. ص: ١٢.

٢- وأما دلالة قوله في العنوان: «هذا باب علم»<sup>(٣)</sup>، فإن في ذلك نصًّا واضحًا من العالم سيبويه على أن البحث في توصيف الكلمة هو المدخل الرئيسي للبحث في جميع أبواب العربية ومسائلها؛ وذلك لأن توصيف الكلمة هو الأصل المؤسس لعلم العربية كما ورد عن الإمام علي كرم الله وجهه، وأبي الأسود الدؤلي رضي الله عنه، وهو القلب النابض الذي يضخ دم الحياة في جسم العربية كله.

وتجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أن عبارة «هذا باب علم» لم ترد في الكتاب سوى أربع مرات على النحو الآتي:

أ/ ذكرها سيبويه في سياق توصيف الكلمة من هذا النص في صفحة ١٢ من الجزء الأول.

ب/ ثم أوردتها ثلاث مرات في الجزء الرابع من الكتاب:

- في صفحة ٣٨: «هذا باب علم كل فعل تعداك إلى غيرك».

وهو باب عظيم في علم العربية أيضًا يشمل المفاعيل كلها.

- وفي صفحة ٢٣٥: «هذا باب علم حروف الزوائد».

وهو يشكّل كذلك قسمًا كبيرًا في كيفية تكوين الكلمات العربية من الأسماء والأفعال.

- وفي صفحة ٣٢٩: «هذا باب علم مواضع الزوائد من مواضع الحروف

غير الزوائد». وهو يلخص أحد أعظم أبواب علم الصرف العربي الخاص بتمييز الزوائد من الأصول في حروف الكلمة.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٣- ثم ما هي دلالة استعماله للاستفهام من العنوان نفسه: «هذا باب علم ما الكلم من العربية؟» .

وأظن أن المغزى في ذلك هو أننا إذا كنا قد علمنا أن أصل علم العربية هو توصيف الكلمة، فلنعلم كذلك أن مفتاح كل علم هو السؤال المنبه عليه ليبحث عنه ويستخرج من موضعه الذي كان قبل ذلك مستخفيًا فيه.

ثانيًا: ثم نتحول بعد هذا إلى متن النص:

١- «فالكلم»: هذا هو المصطلح الأصيل الذي وظفه سيبويه في صيغة الجمع لمفرده «كلمة»، وكان قمينًا بجميع العلماء والدارسين بعد سيبويه أن يلتزموا باستعمال هذا المصطلح لأقسام الكلم في العربية وليس أقسام الكلام كما وجدناه عند بعض الدارسين.

«فاختار الكلم على الكلام، وذلك أن الكلام اسم من كلم، بمنزلة السلام من سلم، وهما بمعنى التكليم والتسليم، وهما المصدران الجريان على كلم وسلم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال- عز اسمه-: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فلما كان الكلام مصدرًا، يصلح لما يصلح له الجنس، ولا يختص بالعدد دون غيره، عدل عنه إلى الكلم، الذي هو جمع كلمة، بمنزلة سلمة وسلم<sup>(٤)</sup>، ونبيقة ونبيق، وثفنة وثفن<sup>(٥)</sup>..

(٤) السلمة، والجمع سلام: الحجارة.

(٥) الثفنة، من البعير والناقة: الركبة.

وذلك أنه أراد تفسير ثلاثة أشياء مخصوصة، وهي الاسم والفعل والحرف، ف جاء بما يخص الجمع، وهو الكلم، وترك ما لا يخص الجمع، وهو الكلام؛ فكان ذلك أليق بمعناه، وأوفق لمراده<sup>(٦)</sup>.

فلعله من نافلة القول أن نسجل الدعوة في هذا الشأن، إلى توحيد مفهوم مصطلح الكلم على النحو الذي أرساه سيويه، ثم نجعل مفهوم الكلام خاصاً بأقسام الخبر والإنشاء.

٢- وأما قوله: «و حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»<sup>(٧)</sup>، فقد بدأ فيه بإقامة أسّ الأضعف وتحديد، لأنه لا يتقوم بذاته، فلا بد من إضافته إلى غيره أو مقابله له.

٣- «فالاسم: رجل، وفرس، وحائط»<sup>(٨)</sup>: وصف وتمثيل وتشخيص موضوعي محايد للحقيقة اللغوية للاسم، بلا تدخل للذات الواصفة فيه، ولا أثر لأي تداخل بين الذات والموضوع، على عكس ما نجده في التعريفات التعليمية التي تقحم الملكة الذهنية للذات المدركة في تحقيق التصور المندمج بين الذات والموضوع، على غرار ما ورد في النماذج التعريفية الآتية:

أ/ قال أبو القاسم الزجاجي « أقسام الكلام ثلاثة: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى... فالاسم ما جاز أن يكون فاعلاً أو مفعولاً، أو دخل عليه حرف من حروف الخفض».

(٦) الخصائص . ابن جني . تحقيق محمد علي النجار . المكتبة العلمية . ج ١ . ص : ٢٥ .

(٧) الكتاب ص ١٢ .

(٨) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

ب/ قال الإسفراييني:

«أما المقدمة فهي أن الكلمة هي اللفظ الموضوع للمعنى مفردًا، وهي اسمٌ إن دلَّ على معنى في نفسه ولم يقترن بأحد الأزمنة الثلاثة (رجل)، فعلٌ إن اقترن به (ضرب)، وإلاّ فهي حرف (قد)...»<sup>(٩)</sup>.

ج/ قال ابن هشام الأنصاري:

«فالاسم في الاصطلاح: ما دلَّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة...»

«والفعل في الاصطلاح: ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة...» «والحرف في الاصطلاح: ما دلَّ على معنى في غيره...»<sup>(١٠)</sup>.

يتضح جلياً من هذه النماذج التعريفية الثلاثة للاسم والفعل والحرف، أنها تنجح إلى الدمج بين الذات المدركة والموضوع الموصوف، من استدعائها للملكة الذهنية في إدخال تصوراتها الخاصة لدلالة الاسم والفعل والحرف، فبمجرد قول التعريف (ما جاز) أو (ما دلَّ على)، فإنه يفتح الباب أمام الذات المدركة لإدخال تصورها الخاص حول معنى الموضوع الموصوف إن كان اسماً أو فعلاً

---

(٩) الإسفراييني تاج الدين، تحقيق بهاء الدين عبد الوهاب. دار الرفاعي. الرياض. ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م. ص: ١٢٤.

(١٠) شرح شذور الذهب. لابن هشام الأنصاري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية. بيروت. ١٤١٨هـ / ١٩٧٩م. ص: ٣٧.

أوحرافاً... وهذا من طبيعة النحو التعليمي، الذي يرمي إلى توصيل الموضوع وإدماجه في الذات المدركة، على حين يلجأ النحو العلمي إلى فصل الذات عن الموضوع عند توصيف الكلمة العربية اسماً وفعلاً وحرافاً.

ومما ينبغي ملاحظته أيضاً بهذا الصدد، أن التوصيف التمثيلي عند سيبويه ينطوي على خاصية التصنيف النوعي للمسميات دونما تدخل من الواصف بالشرح والبيان، وإنما تساق كما هي في الواقع الموضوعي المشخص، لتعبر بنفسها عن دلالة التصنيف الكامن فيها... ذلك أن سيبويه لم يكن به عجز في التعبير عن دلالة الاسم لو شاء ذلك فعلاً، لكننا سنلاحظ بعد هذا أن توصيفه للفعل خاصّة قد أعجز به جميع من جاء بعده من العلماء المحققين الفطاحل.

ثالثاً: متن المتن في النص:

وننتقل بعد هذا إلى ما يمكن اعتباره متن المتن في هذا النص العلمي البديع، الذي يقدم لنا تشريحاً توصيفياً يترجم عن أدق خصوصيات اللغة العربية في صناعة هندسة المبنى المعنى.

١ - ففي قوله: «وأما الفعل فأمثلة...»<sup>(١١)</sup>

إذ المعلوم أن الأمثلة هي الأبنية، وهي الصيغ، وهي القوالب والأنباط والموازن المخصصة للفعل.

---

(١١) الكتاب. سيبويه. ص: ١٢.

٢- «أُخِذَتْ»<sup>(١٢)</sup>: تُضمَر فيه الإشارة إلى ثبات القياس في أبنية العربية، على

ما هو معلوم في الرصيد المحفوظ للغة العربية من أنظمة اشتقاقية دقيقة.

٣- « من لفظ أحداث الأسماء »:<sup>(١٣)</sup>

في ذلك إشارة صريحة إلى أولوية اعتبار العلاقة الاشتقاقية المتولدة في لفظ الفعل من لفظ مصدره، فالأهمية تُعطى عند إحداث الصيغ البنوية الخاصة بالأفعال للفظ قبل المعنى على شاكلة ( فعل - يفعل - افعل ) وغير ذلك.

٤- « لما مضى »:

يبدو من الصيغة الموصولية لغير المتعين، أن الأمر يتجه في هذا الخصوص إلى تجسيد الطبيعة اللغوية للفعل الماضي، من أنه يتميز ببنية مخصوصة، تحمل دلالة عضوية ممتزجة من الحدث والزمن معاً بلا انفصام بينهما. وتلك الخصوصية الازدواجية فيما بين الحدث والزمن تتحقق أيضاً في المضارع والأمر على السواء.

أ- فالماضي: يعبر به سيبويه عن النواة الملتحمة في لفظ الفعل من ثنائية الحدث/ الزمن... وهذا التحديد البالغ في دقته العلمية للفعل في العربية، لم ينص عليه أحد من العلماء لا قبل سيبويه ولا بعده؛ فهو العالم الوحيد الذي استطاع أن يقدم توصيفاً أصيلاً ودقيقاً لهذا الطابع اللغوي والبنوي المميز للفعل في العربية.

(١٢) المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

(١٣) المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

ب- ثم إن «المأمضى»، يقابله في الوجود الطبيعي «ما يكون ولم يقع»، حيث إنها يشكلان طرفي السلسلة الممتدة من الماضي إلى المستقبل... فهما اللذان يقع بين تجاذبهما الطرف الوسيط لما «هوكائن لم ينقطع».<sup>(١٤)</sup>

ج- فالبناء يعبر عن وجود صيغ لغوية تأتي في شكل قوالب ثابتة، تُصب الكلمات اللغوية في أمثلتها صباً منتظماً وموزوناً، وهو ما دعا العلماء إلى إطلاق مصطلح «الميزان الصرفي» الذي يقوم بضبط معظم أصناف الكلمات اللغوية في العربية أسماءً وأفعالاً.

د- وإذا كان مصطلح «البناء» يجسد دلالة الثبات والاستقرار في الرصيد اللغوي، فإن مصطلح «المثال» يعبر بدوره عن تحقق الانتظام والتناسق في عناصر النظام اللغوي.

٥- «فأما بناء ما مضى»<sup>(١٥)</sup> :

فأمثلته من الوقائع المجسّدة لشتى أصناف الكلمات اللغوية هي: ذهب، سَمِع، مكث، مُجِد...  
ويتم ذلك بتحريك عين الكلمة خاصّة في الأفعال المباشرة.

٦- «وأما بناء ما لم يقع»<sup>(١٦)</sup> :

(١٤) الكتاب. سيبويه. ص: ١٢.

(١٥) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

(١٦) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

فإنه قولك أمراً «أذهب»، ومخبراً «يذهب»، وغير ذلك من أصناف الصياغة الفعلية للحال والاستقبال.

أ- فإن في ذلك ما يثبت بالقطع افتراق التوصيف العلمي؛ الذي يجمع بين صيغ الأمر والمضارع في صعيد واحد، وهذا بمراعاة الخصوصية المشتركة التي دجت بينهما، وهي انتفاء صفة الإيقاع الحدثي عنهما معاً.

ب- ويقتضي التوظيف التعليمي لهذه المعطيات، اشتراط ضرورة الفصل بين الأمر والمضارع.. لأن المسألة عندئذ تغدو نوعاً من النمطية الضرورية القابلة للإدراك المتميز لكل طرف من هذه الأطراف المتجاورة ضمن حدود واضحة. على حين وجدناها تأتي في التوصيف العلمي ضمن حقول وصفية كلية عامة.

ج- فإذا كانت «البنية الفعلية» مزودة لغويًا بقوة الثبات، فإن المضمون الإخباري ينطوي في الواقع اللغوي الاستعمالي على قوة الإثبات كذلك، سواء في التحقق الواقعي أو انتفائه، ولذلك فإن المحتوى الإخباري للغة قد يتجاوز مظهرية «البناء المستقل».. وفي كل هذا يكمن الدليل القاطع على أولوية الطبيعة الإخبارية للغة، باعتبارها تجسد الغاية القصوى التي يرمي إليها الاتصال اللغوي.

إن هذا التحليل يخلص بنا إلى الاستنتاجات الآتية :

١- اللغة بناء يتسم بالثبات والاستقرار.

٢- اللغة نظام يتصف بالانسجام والتناسق.

٣- القوة الإنجازية والإخبارية للتواصل اللغوي، هي التي تحدد الفاعلية السياقية للعناصر اللغوية، وتحقق أغراض المتكلم ومقاصده الإبلاغية، من

تصرفه فيها بالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والإثبات والنفي، وغير ذلك.

٤- لقد استقل الاسم بخصوصيته الذاتية في ارتباطه بمسماه، كما استقل الفعل ببنيته المميزة التي تجعله منقطعاً أو مستمراً، وواقعاً أو غير واقع.. وأما الحرف فلا استقلالية له ولا تميز له بذاته بسبب ضعفه ونقصه الطاعن في مبناه ومعناه معاً.  
أ/ قال المستشرق ليمان في محاضراته:

«وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها، كذلك نبت علم النحو عند العرب، وهذا هو الذي روي في كتب العرب من زمن... وبرهان هذا أن تقسيم الكلمة مختلف. قال سيبويه: فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل.. وهذا تقسيم أصلي.

أما الفلسفة فينقسم إلى اسم وكلمة ورباط.. وهذه الكلمات تُرجمت من اليوناني إلى السرياني، ومن السرياني إلى العربي، فسُميت هكذا في كتب الفلسفة، لا في كتب النحو.. أما كلمات اسم وفعل وحرف فإنها اصطلاحات عربية ما تُرجمت ولا نُقلت».

ب/ فمن هذا، وتأسيساً على خصائص التوصيف العلمي للكلمة عند سيبويه، كما عرضنا لذلك آنفاً، فإنه يحق لنا أن ندعي بإنصاف تام وموضوعية كاملة، أنه إذا كان ثمة شيء من التماثل بين علم النحو العربي وغيره، فإننا نعتبر بحق وصدق أنه أقرب في مادته وموضوعه ومنهجه، إلى الطابع الحديث للبحث اللغوي المستجد في النظريات الغربية الحديثة، وذلك من الخصائص الآتية:

- ١- فالوصف، قد التزم فيه سيبويه بجوهر ما يشترطه الدارسون الوصفيون المحدثون، وهو ضرورة الفصل بين الذات والموضوع.
- ٢- كما أننا نلاحظ بوضوح ترسخ المفهوم البنائي على صعيد الكلمة وأصالته عند سيبويه، لا سيما وأن الكلمات هي اللبنة الأساسية التي يقوم عليها صرح البناء اللغوي.
- ٣- وأما المفهوم المتعلق بوظيفية اللغة، فإنه جاء صريحاً عند سيبويه، في ربطه بين بنية الكلمة ودلالة الانقطاع أو الاستمرار، والوقوع أو عدم الوقوع، وهو ما يجسد أولوية القيمة الإبلاغية والقوة الإخبارية في التواصل اللغوي.
- ٤- ثم إننا نجد أن النظرية التوليدية والتحويلية عند «تشومسكي»، قد أقامها على أسس رياضية، يغلب عليها الطابع التقني الملموس، ثم اضطره نقاده إلى إدخال عامل المعنى بعد ذلك، ومراعاة أهميته في الاشتقاق التوليدي.. لكننا لا نلاحظ إلى اليوم أن تشومسكي يعطي للقوة الإخبارية في اللغة أولوية التصرف في تحريك مواقع البنى اللغوية، كما أقرّ بذلك سيبويه عندما ضمّ بنية المضارع والأمر تحت مظلة الوقوع الإخباري أو عدمه.
- ٥- إن عناية سيبويه نراها قد تعلقّت أساساً بالتوصيف البنوي الوظيفي للكلمة في العربية، ثم إنها تركّزت خصوصاً على التوصيف البنوي للفعل أكثر من الاسم والحرف، وهو ما يثبت أهمية الوظيفة الإخبارية الإنجازية التداولية للغة عند سيبويه، باعتبار أن الفعل هو قطب الرحي في كل عملية إخبارية.. وشهادة ذلك ماثلة خاصة في كون علم الصرف قد أتى في معظمه مختصاً

بالفعل، بسبب ما يطرأ عليه من تحويلات وتغييرات كثيرة ودقيقة، ولا ريب في أن «هذا قليل من كثير مما يدل على غنى اللغة العربية، غنى تاماً في الاشتقاق والمجاز، قل أن تجارها فيه لغة أخرى، وكذلك ما لها من طرق متعددة في ( ) القلب والإبدال والنحت مما يطول شرحه.»

وكل ذلك إنما يجسّم النظام الهندسي البديع للعربية، على حد تعبير العالم التحرير أبي الفتح بن جني في الخصائص.. ولا سبيل لنا لتجديد العهد مع هذا النظام الهندسي البديع بحثاً وتمثلاً وابتكاراً. إلا بحتمية الفصل والتمييز بين النحو العلمي في جذوره العربية الأصيلة، والنحو التعليمي الذي أحدث كفاءات وطرائق خاصّة بتلقين النحو وتعليمه، وذلك ما أوجب عليه أن يفرض نهجاً معيارياً سعى به للحفاظ على العربية تعلماً واكتساباً.

إنّ من أكبر السمات الدالة على عظمة العالم سيويه، أنه تمكّن من أن يحافظ على تميّز شخصيته العلمية، واستطاع أن يفرض قامته العلمية سامقة أمام القمة الخليلية الشاخنة، بل إن تاريخ التراث العربي يسجل له فضل تخليد الآثار العلمية الخليلية، فلولاها لتمّ انتحالها وذهبت أدراج الرياح.

لقد كان سيويه عالماً تأصيلياً منظرًا «ولم يكن جامعاً فقط، بل كانت له شخصية قوية في التحليل والترجيح، مع جودة في العبارة.. فإذا علمنا أنه فارسي

---

(١٧) نقلاً عن كتاب نشأة النحو. للشيخ الطنطاوي. ص: ٢٢ / وكتاب ضحى الإسلام

الأصل، وأنه عربي بصريٌّ بالمزبى، وأنه مات وله بضع وثلاثون سنة، أدركنا مقدار نبوغه.»

وهذا المعنى فإنه يظل جديرًا بالعربية دومًا أن تفخر بعبقريتها الشابة، كما أنه يحقُّ لأهلها أن يعملوا على تجديد عنفوان العربية في سائر الأجيال والعصور علمًا واستعمالاً..

- .
- . ( ) . : . . . . .
- . ( ) . : . . . . .
- . / . . . . .
- . . . . .
- . ( ) . : . . . . .
- . / . . . . .
- . ( ) . : . . . . .
- . / . . . . .
- . . . . .
- . . . . .

## تُحْتَصُّ أم إِنْخِصَّيَّ؟ أَحْصَى أم أَخْصَى؟

د. مكي الحسني\*

نشرت مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة<sup>(١)</sup> بحثاً لأستاذنا سعيد الأفغاني رحمه الله، دار حول كلمتي (أَخْصَى وإِنْخِصَّاء)، ذكر فيه أن مجلة (المقتبس)، التي أصدرها في القاهرة مؤسس مجمعنا الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله، نشرت في سنة ١٩٠٨ مقالاً عنوانه (الإخْصَاء في العلوم) بدأه بتعريف المصطلح بقوله: «المُخْصِي» هو الذي ينفرد بدراسة فن واحد، من (أَخْصَى الرجل إذا تَعَلَّمَ علماً واحداً). وهذه الكلمات الست بين القوسين، منقولة بنصّها من (القاموس المحيط) للفيروز آبادي. وبالفعل جاء في هذا القاموس (مادة خ ص ي):

«الْحُصِّي والحِصِّيَّة بضمّهما وكسرهما من أعضاء التناسل... وأَخْصَى: تَعَلَّمَ علماً واحداً» إلخ...

- شرح الزبيدي (وهو من علماء القرن الثاني عشر الهجري) القاموس المحيط

(\*)

( )

في (تاج العروس)، فقال بعد عبارة القاموس (أخصى الرجل تعلّم علماً واحداً): نقله الصغاني، وهو مجاز! ومن المعلوم أن الصغاني من علماء القرن السابع الهجري (٥٧٧ - ٦٥٠هـ)، والفيروز آبادي من علماء القرن الثامن (٧٣٠ - ٨١٧هـ). وظل هذا النقل - كما يقول الأستاذ الأفغاني - موضع ريبة، مجهول القائل ... وبقيت التبعة معلقة بعنق الصغاني رحمه الله.

- وتأسيساً على هذا قال المُحدثون: إذا كان الإخصاء هو تَعَلُّمِ عِلْمٍ واحد، فالذي يفعل هذا «إِخْصَائِيٌّ». ثم حُرِّفَت هذه الكلمة فصارت أخصائيٌّ، وازداد التحريف حتى صارت أخصائيٌّ!

وقد استغرب أستاذنا سعيد الأفغاني رحمه الله تعالى، إيراد العبارة المذكورة (أخصى الرجل) في مادة (خ ص ي)، لأن معناها المذكور لا صلة بينه وبين هذه المادة، ورأى أن ثمة خطأ - قد يكون من الناسخ الذي رسم الفعل (أخصى) - وأنه لو رسمه (أخص) لكان محله الطبيعي مادة (خ ص ص).

ولكن ماذا جاء في هذه المادة؟

١- قال الفيروز آبادي في «القاموس المحيط» (خ ص ص):

«خَصَّه بالشيء خصّاً وخصوصاً و... فَصَّلَهُ، والإخصاص: الإيزاء.»

ولم يذكر الفعل «أَخَصَّ» الذي مصدره الإخصاص!

٢- وكرر «اللسان» ما قاله الفيروز آبادي.

٣- وجاء في «المعجم الكبير» الذي يواصل إعداده مجمع القاهرة (خ ص ص):

«أَخَصَّ فلَانٌ فلَانًا، وبه: صار خاصًّا به فهو مُخَصَّ به ومُخَصَّ به.

وأَخَصَّ فلَانٌ فلَانًا بالشيء: خَصَّه به.»

ولم يذكر هذا المعجم مصدرَ هذا الفعل الإِيْحَصَائِيّ، الذي معناه هنا غير

الإِزْرَاء!

٤- وجاء في «محيط المحيط»: أَخَصَّ به إِيْحَصَائِيًّا: ازدرأه.

٥- وجاء في المعجم العربي الحديث (الذي صدر سنة ١٩٧٣):

«أَخَصَّ به إِيْحَصَائِيًّا: استهان به.

وأَخَصَّ فلَانًا بكذا: آثره به على غيره.

وأَخَصَّ فلَانٌ فلَانًا وبه: صار خاصًّا به.»

٦- وجاء في «معجم النفايس الكبير» وهو معجم حديث صدر سنة ٢٠٠٧:

«أَخَصَّ به إِيْحَصَائِيًّا: ازدرأ به.»

أقول: الغريب أيضًا أني لم أجد في المعاجم شرحًا يقول:

«أَخَصَّ الرجلُ: تعلَّم علمًا واحدًا»، كما لم أجد «الإِيْحَصَائِيّ» بهذا المعنى، وإنما

بمعنى الإِزْرَاء والازدرأ!

- والأغرب أن جميع المعاجم التي نقلت عبارة القاموس المحيط لم تذكر معنى

الفعل (أَخَصَى) الذي له علاقة وثيقة بمادة (خ ص ي) وهو: أَخَصَاهُ = خَصَّاهُ! مع

أن كتب اللغة أوردت الفعل ومصدره:

- فقد جاء في «البرصان والعرجان» للجاحظ:

عن زنباع الجذامي أبي روح بن زنباع، أنه قدم على النبي ﷺ وقد أخصى غلامه فأعتقه النبي ﷺ.

- ونقل الجاحظ في (الحيوان) ما قاله الشاعر الماجن عمرو الخاركي، ومنه:  
ولا والله ما أقفِرُ \_\_\_\_\_ مع ما عمّرت أو أخصى

- وجاء في «التنبيه والإشراف» للمسعودي:

«ونهى النبي ﷺ في غزوة تبوك عن إحصاء الخيل.

- أعود إلى خطأ آخر محتمل من الناسخ - لم يُشَرِّ إليه الأستاذ الأفغاني - حين رسم (أخصى) بدلاً من (أحصى)!

جاء في معجم «متن اللغة»: «أحصاه: عدّه أو حفظه أو عقّله.

وأحصاه: أحاط به علمًا!»!

وهذا المعنى الأخير له صلة وثيقة بما نحن فيه، لأن الذي يتعلم علمًا واحدًا يحيط به على الأرجح، وحينئذ يمكن أن يقال عنه: فلانٌ مُحْصٍ لِعِلْمِ كذا.

ولكن لم يكتب الشيوخ لهذا الفعل بهذا المعنى، واستعمل السلف فعل «تخصّص» فقالوا: فلان متخصّص في علم كذا كما قالوا فلان مختص بعلم كذا، ولم يقولوا إحصائي ولا أخصائي!!

قال القفطي في تراجمه: (وعليُّ هذا من المتخصّصين بعلم النجوم).

الاستدراك(\*)

على أبي عليّ في الحجّة

صنعة

جامع العلوم أبي الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي ت ٥٤٣ هـ  
حققه، وخرّج ما فيه، وشرحه، وناقشه، وكتب حواشيه، وصنع فهرسه  
الدكتور محمد أحمد الدالي

د. عبد الإله نبهان(\*\*)

في القرن الثالث الهجري قام الإمام ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى  
[٢٤٥ - ٣٢٤ هـ] بتصنيف كتابه العظيم «كتاب السبعة في القراءات»<sup>(١)</sup> وجمع  
فيه سبع قراءات من القراءات الكثيرة، واختار من كل مِصْرٍ من الأمصار  
الإسلامية قراءة أو أكثر، فمن المدينة أخذ قراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم  
[ت ١٦٩ هـ] وقراءة عبد الله ابن كثير [٤٥ - ١٢٠ هـ] ويقال له الداري، ومن

---

(\*) نشرت الكتاب مكتبة البابطين المركزية: لجنة نشر التراث العربي ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م .

(\*\*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) نشر الكتاب بتحقيق المرحوم الدكتور شوقي ضيف بدار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢ .

الكوفة قراءة عاصم بن بهدلة أبي النُّجود أبي بكر [ ت ١٢٧ هـ ]، وقراءة حمزة بن حبيب الزيات [ ت ١٥٦ ] وقراءة الكسائي علي بن حمزة [ ١٨٩ هـ ]، ومن البصرة قراءة أبي عمرو بن العلاء [ ٦٨ - ١٥٤ هـ ]، ومن الشام قراءة ابن عامر عبد الله بن عامر اليحصبي [ ت ١١٨ هـ ]. وذكر في كتابه اختلاف هؤلاء القراء في الحروف التي اختلفوا في قراءتها، ووضع ابن مجاهد الأصول الأساسية لقبول القراءات :

١- أن تكون القراءة موافقة لخط المصحف العثماني .

٢- أن تكون صحيحة السند .

٣- أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه من الوجوه .

وفي القرن الرابع جاء الإمام النحويّ الحجة أبو علي الفارسي الحسن بن عبد الغفار [ ٢٨٨ - ٣٧٧ هـ ] فوضع كتابه «الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد»<sup>(٢)</sup> ليحتج لكلّ قراءة من هذه القراءات من وجهة نظر لغوية أو نحوية أو صرفية أو صوتية، ومن أمثلة ذلك ما ذكره لدن اختلافهم في قراءة قوله تعالى: [الصراط المستقيم] [الفاتحة ٦:١] قال: فروي عن ابن كثير: السين والصاد [يعني السراط والصراط] وروي عن أبي عمرو السين والصاد والمضارعة بين الزاي والصاد، رواه عنه العريان بن أبي سفيان، وروى عنه الأصمعي «الزراط» بالزاي. والباقون بالصاد، غير أن حمزة يلفظ بها بين الصاد والزاي».

(٢) نشر كتاب الحجة بتحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي ومراجعة عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق بدار المأمون بدمشق خلال سنتي ١٩٨٤ - ١٩٩٩ .

ويأخذ أبو علي الفارسي بتعليل كل قراءة من هذه القراءات - وكلها صحيحة - فمن يقرأ بالصاد فلأنها أخف على اللسان ويسهب في تعليل هذه الخفة، فأما القراءة بالزاي فليس بالوجه، وهنا أيضًا يطنب في تعليل ذلك في صفحات<sup>(٣)</sup> وقُدّر لأبي علي أن يُتمّ كتابه هذا، واخترمته المنية قبل أن يؤلف كتابه في تعليل القراءات الشاذة، وهذا ما نهض به تلميذه أبو الفتح عثمان بن جني [ت ٣٩٢ هـ] في كتابه «المحتسب».

ثم جاء جامع العلوم أبو الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي [ت ٥٤٣ هـ] الذي عاش في القرنين الخامس والسادس، وكانت له عناية بكتب أبي علي وكان «من جلة أعيان أهل العربية والقراءات والتفسير في المئة السادسة للهجرة، واسع الاطلاع، غزير العلم، دقيق الفهم بصيرًا بمذاهب أهل العربية، شديد الإكباب على كتاب سيبويه [ت ١٨٠ هـ]، متمكنًا في علومه، عاشقًا لآثار أبي علي وابن جني»<sup>(٤)</sup>، وتبّحر الباقولي في قراءة آثار أبي علي، وكانت له على مواضع منها تعليقات أو تصحيحات، ولما كان كتاب الحجّة عين كتب أبي علي فإن الباقولي خصّه بتعليقاته وتصحيحاته في مسائل بناها على أشياء مما ورد فيه قال:

(هذه مسائل من كتاب «الحجّة» وقع فيها خلل وتحريف، فلم يسوِّ أحد من أصحاب أبي علي هذا التحريف، ولم يسألوه عنه حين كانوا يقرؤونه عليه .  
فرأينا إصلاح ذلك من الواجبات، وربّما تعرض في فحوى ذلك مسائل أُخر تحتاج إلى بيان، فلم نبخل ببيانها، ليكون للناظر في هذا فوائدهم، إذ كتاب

(٣) الحجّة ١ : ٤٩، - ٥٧ .

(٤) الاستدراك : مقدمة التحقيق : ١٣ .

«الحجّة» كتاب لا يستغني عنه المقرئ ولا المفسّر ولا النحويّ ولا غيرهم<sup>(٥)</sup>.  
بلغ مجموع المسائل التي اشتمل عليها كتاب الاستدراك ثلاثاً وثلاثين ومئة  
مسألة جاءت على هذا النحو :

- فائت أبي عليّ في الحجة : ٨٧ مسألة .
- فائت أبي عليّ في الإغفال : ١٠ مسائل .
- رجوع إلى الحجة : ٢٥ مسألة .
- من سهاء ابن جني في الخصائص والمحتسب : ٩ مسائل .
- رجوع إلى أبي عليّ : مسألان .

إذن لم يقتصر الباقر في استدراكاته على كتاب الحجة وإن كان في الأصل  
هو المقصود، بل أضاف إلى ذلك استدراكاً على مواضع من كتاب «الإغفال»<sup>(٦)</sup>  
وهو المسائل المصلحة من كتاب (معاني القرآن وإعرابه)<sup>(٧)</sup> لأبي إسحاق الزجاج  
[ ت ٣١١ هـ ] . كما أضاف استدراكاً على مواضع في كتابي « الخصائص »<sup>(٨)</sup>  
و«المحتسب»<sup>(٩)</sup> لابن جني .

(٥) الاستدراك : ٣ .

(٦) نشر الإغفال بتحقيق عبد الله الحاج إبراهيم في المجمع الثقافي . أبو ظبي ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

(٧) نشر معاني القرآن وإعرابه للزجاج بتحقيق د . عبد الجليل عبده شلبي في عالم الكتب - بيروت  
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ ] .

(٨) نشر الخصائص بتحقيق محمد علي النجار بدار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

(٩) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها . نشر بتحقيق علي النجدي ناصف  
ود . عبد الحلیم النجار ود . عبد الفتاح إسماعيل شلبي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية  
بالقاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

هذا، والمسائل التي استدرك فيها الجامعُ الباقولي متنوعة بين شتى المباحث النحوية، وقد أحسن المحقق الفاضل أيما إحسان عندما فصل القول في مقدمة التحقيق في تصنيف تلك المسائل، ويمكن أن نورد هذا التصنيف بشيء من التصرف والإيجاز مع التمثيل لكل نوع :

١- هناك مواضع أجاز فيها أبو علي وجوهاً من الإعراب والباقولي يراها غير جائزة، وهناك وجوه لم يجزها أبو علي وهي عند الباقولي جائزة، ووجوه اختارها أبو علي والمختار عند الجامع أبي الحسن غيرها، فمن ذلك المسألة الثمانون التي كان الخلاف فيها في موضع من سورة الزخرف: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزخرف ٤٣: ٨٥-٨٨].

فالخلاف في قوله ﴿وَقِيلَ لَهُ﴾ قال أبو علي: وجه الجر في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُ﴾ على قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي يعلم الساعة ويصدق بها ويعلم قيله. ومعنى «يعلم قيله»: أي يعلم أن الدعاء مندوبٌ إليه في نحو قوله تعالى ﴿ادْعُونِي﴾ [غافر ٤٠: ٦٠] و﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف ٧: ٥٥]

وبعد أن نقل الباقولي ما ذكره عن أبي علي قال مستدرکاً: أقول: في قول أبي علي هذا نظراً، لأن الضمير في قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ يعود إلى الله، لأنه سبحانه هو العالم بوقت حلولها، وإنما التقدير: وعنده علم وقت الساعة، فلا يتوجه

على هذا عطف ﴿وَقِيلِهِ﴾ على ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لأن الهاء في ﴿وَعِنْدَهُ﴾ لله .  
 فالأشبه أن يكون ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [ : ] ﴿وَقِيلِهِ﴾ أي قِيلِ الْحَقِّ .  
 وكذلك النصبُ محمولٌ على ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون الحقَّ وقيلِ الحقَّ وقيل :  
 إن ﴿مَنْ شَهِدَ﴾ رفعٌ بالمصدر الذي هو ﴿السَّفْعَةَ﴾ [ : ] ويكون  
 موصوفاً [ أي نكرة موصوفة ] ولا يكون موصولاً لأن الفصل بين الصلة  
 والموصول لا يجوز . وبعدُ : فإن المصدر الذي هو «قِيلٌ» مضاف إلى الهاء، وهي  
 مفعولة في المعنى لا فاعلة، أي وعنده علمٌ أن يقال له : ﴿يَكْرِبُ إِنَّ هَتُولَاءِ قَوْمٌ لَا  
 يُؤْمِنُونَ﴾ [ : ] فالمصدر ههنا مضاف إلى المفعول لا إلى الفاعل، وإنما هو  
 من باب قوله : ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُوَالِ نَجْنِكَ إِلَيَّ يَعَاكِه﴾ [ : ] أي بسؤاله إياك  
 نعجتك، لا بد من هذا التقدير . ألا ترى أنه لا يجوز أن تقدّره على أنه : وعنده علمٌ  
 أن يقول الله ﴿يَكْرِبُ إِنَّ هَتُولَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن هذا إنما يُقال لله تعالى دون أن  
 يكون هو سبحانه يقول : ﴿يَكْرِبُ إِنَّ هَتُولَاءِ﴾ كذا، فتم الكلام على ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ .  
 ويجوز أن يكون نصبُ ﴿قِيلِهِ﴾ بالعطف على مفعول ﴿يعلمون﴾ إذ التقدير :  
 وهم يعلمون الحقَّ وقِيلِهِ، أي قولِ الحقِّ أو قولِ محمدٍ عليه السلام . والمرادُ  
 بقيله : شكواه إلى ربه .  
 ويجوز أيضاً نصبُ ﴿قِيلِهِ﴾ بالعطف على موضع الباء، أي : إلا مَنْ شهد بالحقِّ وبقيله .  
 وأمّا نصبه على تقدير : إلا مَنْ شهد بالحقِّ وقال قِيلَهُ = فهو بينٌ أيضاً،  
 وتكون «مَنْ» موصوفةً، ولا تكون موصولة، لأن الفصل بين الصلة والموصول  
 لا يجوز . والتقدير : إلا شخصٌ شاهدٌ بالحقِّ وقائلٌ قِيلَهُ ياربِّ .

هذا ما قدّمه الباقولي في استدراكه في هذه المسألة على أبي علي، أما ما قدّمه الأستاذ المحقق فقد كان أضعاف ما ذكره الباقولي، لقد قارن آراء الباقولي التي وردت في «الاستدراك بأقواله في كتابه الآخر «كشف المشكلات»<sup>(١٠)</sup> وفي كتابه الآخر «الجواهر»<sup>(١١)</sup> وفي كتابه الآخر «شرح اللمع»<sup>(١٢)</sup> إضافة إلى الإحالات على كتب معاني القرآن المتقدمة، وعلى كتب المفسرين مع المقارنة والنقد. ولم يكن المحقق متساهلاً مع صاحب الكتاب الباقولي، فقد تتبعه وأشار إلى ما أخذه من غيره، ففي المسألة التي أتينا على ذكرها وهي المسألة الثمانون رأى المحقق أن المؤلف أغار على كلام لابن جني ولم ينسبه إلى صاحبه ولم يصرح بالنقل عنه، فعلق المحقق بقوله مخاطباً الباقولي: «ولست أدري أيها الشيخ الجليل العالم المحقق لم لم تنص على أخذك من الإمام أبي الفتح كما نصصت على نقلك عنه وعن غيره في أكثر كتبك، وأنت بما آتاك الله في غنى عن ادعاء ما ليس لك. غفر الله لك».

هكذا قال، ولم يلتمس له عذراً مع أن الباب واسع لالتماس العذر، فالرجل كان مكفوف البصر، وكان اعتماده على ذاكرته كبيراً، وربما تداخل ما يراه بما رآه غيره .

٢- وهناك مواضع اضطرب فيها كلام أبي علي في الحجة وغيرها من كتبه، فأجاز فيها ما كان قد منعه في غيرها، أو منع فيها ما كان أجازها في غيرها، فمن

---

(١٠) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات نشره مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م بتحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي .

(١١) الجواهر ولم ينشر بهذا العنوان بعد، ولكنه كان قد نشر باسم إعراب القرآن المنسوب للزجاج بتحقيق إبراهيم الأبياري في الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣ م .

(١٢) شرح اللمع : نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق الدكتور إبراهيم بن محمد أبو عباة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

ذلك أن أبا علي منع أن ينتصب «أيامًا» بالصيام في قوله تعالى ﴿... كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ... [ : - ] منع أبو علي ذلك في الحجة وقال بغير ذلك في الإغفال، قال الباقولي «فهو كلام متردد، ووقع لغلامه [ ابن جني ] مثله بعينه في كتاب «التنبيه» (١٣) في بيتين أحدهما قوله :

ألهفى بُقْرَى سَجْبِلٍ حِينَ أَحْلَبْتُ      علينا الولايا والعدوُّ المَبَاسِلِ (١٤)

والبيت الثاني قوله :

ولو شهدت أُمَّ الْقُدَيْدِ طِعَانَنَا      بَمَرْعَشِ خَيْلِ الْأَرْمَنِى أَرْتِى (١٥)

٣- وهناك مواضع لم يتم فيها أبو علي كلامه، كما في المسألة السابعة عشرة عندما عرض للكلام في قوله ﴿مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [ البقرة ٢ : ١٤ ] قال أبو علي : «فإذا كانت [ الهمزة ] مضمومة وقبلها كسرة فخففتها مثل « يستهزؤون » و« من عند أختك » [ بتخفيف الهمزة ] فلا يخلو إذا خففتها من أن تنحو بها نحو الحرف الذي منه حركتها . فإن قلت : أقربها منه فأقول : « يستهزؤون » بينَ بينَ = لم يستقم» انقضى كلام أبي علي .

قال الباقولي متممًا كلام أبي علي : وكان ينبغي له أن يذكر ههنا بقية القسمة فيقول : «أو تُتبعها الحركة التي قبلها فتقلبها ياءً، أو تُتبعها حركة نفسها فتقلبها واوًا» ثم يقول : فإن قلت : أقربها من الحرف الذي منه حركتها ... إلخ .

(١٣) كتاب لابن جني في تفسير أبيات حماسية أبي تمام، وهو موجود مخطوطًا، وربما كان قد نشر .

(١٤) البيت لجعفر بن علبة الحارثي . أحلبت : اجتمعت . الولايا : الجماعات الموالية مفردها الولية .

(١٥) البيت لسيار بن قصير الطائي . أرتت : صاحت باكية .

٤- وهناك موضع قصر أبو علي في ذكر الوجوه النحوية الجائزة فيه، وهذا الموضع هو الكلام في المسألة الخامسة عشرة على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لِأَحَدِي الْكُبْرِ﴾ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ [المدثر ٧٤: ٣٥، ٣٦] قال أبو علي: «قيل فيه قولان: أحدهما أن يكون حالاً من ﴿قُرْ﴾ [المدثر ٧٤: ٢] المذكور في أول السورة. والآخر: أن يكون حالاً من قوله: ﴿إِنَّمَا لِأَحَدِي الْكُبْرِ﴾.

قال الباقرلي: وقد سمعتُ فيه سبعة أوجهٍ أُخرى، فتكون مع هذين تسعةً .  
وعدد الأوجه الأخرى المحتملة .

أما الأستاذ المحقق فقد تتبّع كل وجهٍ من هذه الوجوه، راداً إياه إلى مصادره، مناقشاً الوجه من حيث صحته أو عدمها، فقد اعترض على الوجه الأول الذي ذكره أبو علي وهو أن يكون ﴿نَذِيرًا﴾ حالاً من ﴿قُرْ﴾ قال المحقق: وهو قول مدفوع، قال الفراء في رده: «وليس ذلك بشيء والله أعلم لأنّ الكلام قد حدث بينهما شيءٌ منه كثير، ورفعهُ في قراءة أبي ينفي هذا المعنى». وهكذا علق المحقق على كل وجه من الوجوه ذاكراً ما ذهب إليه المفسرون والنحاة في كلام مستفيض .

٥- وهناك مواضع استشهاد فيها أبو علي ببعض الآي على شيء ذكره، ولا يقوم بها الاستشهاد، والشاهد غير ما ذكر من الآي . من ذلك مثلاً ما ورد في المسألة السادسة بعد الخمسين، فقد ذكرت الآية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود ١١: ٢٥] قال أبو علي: «فإن قيل: فلو كان محمولاً على الأول لكان «أنه» لأن ﴿نُوحًا﴾ اسم الغيبة، فالراجع إليه ينبغي أن يكون على لفظ

الغيبية دون لفظ الخطاب [رجح المحقق: دون لفظ المتكلم] قيل: هذا لا يمنع من حمله على ﴿أَرْسَلْنَا﴾ [هود: ٢٥] وذلك أن الخطاب بعد الغيبية في نحو هذا سائغ، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ٧: ١٤٥]، ثم قال: ﴿فَخَذُّهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ٧: ١٤٥]، فكذلك الآية التي اختلفت في قراءتها. قال الباقولي: «قلت: هذا ليس جواب هذا السؤال. وليس هذا كقوله ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذُّهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ٧: ١٤٥]، لأن التقدير: وكتبنا له، وقلنا له: خذها، فهو محمول على إضمار القول المعطوف على ﴿وَكَتَبْنَا﴾ وهذا التقدير ههنا لا يصح، إذ لا يجوز ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ﴾ على تقدير: فقال أني لكم، لأن إضمار القول يوجب الكسر لا الفتح، ولكن لو حملت فتح ﴿إِنِّي﴾ على تقدير آخر لم يذكره أبو علي، كأنه: ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه مُعَلِّمًا أني لكم نذيرٌ مبين، فهو وجه. ويكون قوله ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ١١: ٢٦] بدلًا من ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ أي داعيًا إلى توحيد الله وترك عبادة غيره. ومن كسر «إن» كان قوله ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ محمولًا على فعلٍ دلَّ عليه النذير دون لفظ ﴿نَذِيرٌ﴾ لأن نذيرًا قد وُصف بقوله ﴿مُيَبِّئٌ﴾ فلا يعمل».

وقد علق المحقق على هذا الوجه وهو الحمل على فعلٍ دلَّ عليه النذير بقوله: لا أعرف هذا القول لأحد غيره [غير الباقولي] وهو قولٌ متكلف، ولا يُحمل على المضمَر ما صحَّ حمله على الظاهر.

٦- وهناك موضعان استشهد فيهما أبو علي بأبيات من الشعر ولا حجة له فيها على ما أراد، ففي المسألة السادسة بعد الثمانين ورد قوله تعالى: ﴿عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات ٧٧: ٦] فأنشد أبو علي قول حاتم:

أماويّ قد طال التجنّب والهجرُ وقد عَدَرْتَنِي فِي طِلَابِكُمُ الْعُدْرُ  
فَأْتَتْ عُدْرًا. قال الباقر: ولا حجة له فيه، لأنه يمكن أنه حمله على المعذرة...  
٧- وهناك موضع يحتاج إلى شرح ولكنّ أبا علي لم يشرحه كما في المسألة الرابعة.  
٨- وهنا موضع حكى فيه أبو علي مقالة بعض الأئمة ولم ينقلها على وجهها ولا شرحها، كما في المسألة الثانية والعشرين بعد المئة. قال أبو علي: ويقوي كسر الهاء في قراءة مَنْ قَرَأَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة ١: ٧] ما حكى عن أبي زيد أنّ عربياً قال: لم أضربِهما. قال: فهذا يكون على قولهم:

[ترك ما أبقى الدّبا] سَبَسَبَا<sup>(١٦)</sup>

أجرى الوصل مجرى الوقف.

وعلق الباقر على كلام أبي علي بقوله: وهذه لفظة اختزلها من كلام أبي زيد [٢١٥ هـ] في «نواده»، قال أبو زيد: «قال رجلٌ من بكر بن وائل: «أخذت هذا مِنْهُ» في الوقف، وَمِنْهُمَا وَمِنْهُمِي، فكسر الاسم المضمر في الإدراج والوقف. قال: وقال: ولم أعْرِفْهُ ولم أضْرِبْهُ، فكسر كل هذا، وقال: عليكم، فضم الكاف. وقال: لم أضْرِبْهُمَا فكسر الهاء مع الباء.

(١٦) رجز لربيعة بن صبح. وتترك أي الرياح، والدّبا: الجراد قبل أن يطير. والسبب: القفر. وشدّد الراجز الباء للضرورة.

وقد وجد الباقولي كلام أبي علي غير مستوعب المسألة المرادة فقال :  
«معنى هذا الكلام أتهم قالوا : لم أضربه، والأصل : لم أضربه، فلما وقف  
نقل كسرة الهاء إلى الباء فقال : لم أضربه، فلما صار إلى الثانية وصل كما وقف،  
فلم يُسكّن الباء، وقال : لم أضربهما . فهذا معنى قوله: أجرى الوصل مجرى  
الوقف، يعني ترك الباء مكسورة حين وصلها بألف الثانية، وكسر الهاء على  
الأصل، هذا من ذاك أيضًا .

وقد شك الباقولي من صعوبة فهم كلام أبي علي لما فيه من عسرٍ ومشقةٍ  
وتطويل وإرهاق . قال بعد المسألة السابق ذكرها «وكلامي مع هذا الرجل  
طويل، وحين أملت هذه المسألة ( ١٢٢ ) حزبتني حوازب من كلامه»، وذكر  
المحقق بهذه المناسبة كلام ابن جني في المحتسب ١ : ٢٣٦ : «وقد كان شيخنا  
أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة، فأغمضه وأطاله حتى منع كثيرًا ممن  
يدعي العربية، فضلًا على القراءة منه وأجفاهم عنه».

٩- وهناك مواضع نسب فيها بعض المذاهب إلى سيبويه وليس ذلك مذهبه، أو  
نسب إلى كتاب سيبويه شيئًا ليس فيه كما في المسألة الستين، ورد فيها قوله ﴿يَتَابَتِ إِنِّي  
رَأَيْتُ﴾ [يوسف ١٢ : ٤] قال أبو علي : قال سيبويه : مَنْ حذف التنوين من نحو:

تَحْيَرُهَا أَخُو عَانَاتِ شَهْرًا<sup>(١٧)</sup>

لم يقل : حَلَلْتُ عَانَاتِ فَيَفْتَحُ، إنما يكسر التاء .

قال الباقولي : في هذا الفصل الذي ادّعاه على سيبويه إغفالٌ من وجهين :  
أحدهما أن قوله :

تَحْيَرُهَا أَخُو عَانَاتِ شَهْرًا      وَرَجَّى خَيْرَهَا عَامًا فَعَامًا

(١٧) الضمير في تحيّرهما يعود على الخمر .

هو للأعشى، وأنشده المازني [ت ٢٤٨ هـ] في آخر الباب من «الكتاب»<sup>(١٨)</sup>،  
وليس في «الكتاب» هذا البيت، وإنما فيه بيتُ امرئ القيس:  
تنوّرتها من أذرعَاتٍ وأهلها بيثربَ أدنى دارها نظرٌ عالٍ  
والإغفال الثاني: هو أنّ مذهب سيويه فتحُ التاء مع ترك التنوين دون  
الكسر، والذي في «الكتاب»: «ومن العرب من لا ينون أذرعَاتٍ ويقول: هذه  
قريشياتُ، يا فتى. شبهوها بهاء التأنيث، يعني التاء في طلحة وحمزة».  
١٠ - وهناك مواضع أنشد أبو علي فيها أبياتاً على غير وجهها بتغيير في رواية  
بعض ألفاظها مما أفسدها، أو بتغيير قافيتها ورويها أو بتركيب بيت من بيتين  
لشاعر أو من بيتين لشاعرين. فمن ذلك ما ورد في المسألة الخامسة، فقد أنشد أبو  
علي للمرّار الفقعسيّ قوله:

ولا يستحمدون الناس شيئاً ولكن ضرب مجتمع الشؤون<sup>(١٩)</sup>

قال الباقرلي: هذا إنشاد فاسد، والصحيح:

..... ولكن ضرب مجتمع الشّتان

وليس للمرّار على قافية «الشؤون» كلمةٌ منها هذا البيت بتّة، ومن هذه القطعة قوله:

إذا نهلّت بسفرتها وعلّت ذنوباً مثل لون الزّعفران<sup>(٢٠)</sup>

وفي المسألة التاسعة والعشرين ذكر ما أنشده أبو علي:

(١٨) علق المحقق هنا بقوله: لا أعرف أحداً ذكر أن هذا البيت مما زاده المازني في آخر هذا الباب من الكتاب.

(١٩) علق المحقق بقوله: هذا موضع غريب مشكل. فرواية مطبوعة الحجّة عن أصلها «الشّتان».

والشّتان والشؤون بمعنى واحد. ومجتمع الشؤون: مكان اجتماعها. والشؤون: مواصل

قبائل الرأس وملتهاها ومنها تجري الدموع.

(٢٠) السفرّة: جلدة مستديرة يُوعى فيها طعام المسافر. والذنوب: الدلو.

طرحنا إزاراً فوقها أَيْزَنِيَّةً      على منهلٍ من قَدْقَدَاءٍ وَمَوْرِدٍ

قال الباقولي: والصحيح:

ونحنُ طرحنا فوقها أَيْبِنِيَّةً      على مصدرٍ.....

لأن «أَيْزَنِيَّةً»: الرماح، وأما «الأَيْبِنِيَّة» فالثياب تنسب إلى عدنِ أَيْبِنَ وإَيْبِنَ والفتحُ أجود فيما ذكر الأسود الغندجاني [ت بعد ٤٣٠ هـ]، وكان استشهاد أبي عليٍّ بهذا البيت على جواز تأنيث الإزار، وهو يذكّر ويؤنث .

وفي المسألة السابعة بعد الأربعين نقل الباقولي عن أبي عليٍّ إنشاده قول الفرزدق:

تقعدهم أعرأقُ حَذَلُمُ بعدما      رجا الهُتْمُ إدراكُ العُلا والمكارمِ

ثلاثُ مئِينٍ للملوكِ وفي بها      ردائي وجلتُ عن وجوه الأهاتمِ

والشاهد هنا تكسير الأهاتم على الهُتْم والأهاتم .

قال الباقولي: «هذان البيتان ليسا للفرزدق كلاهما، وإنما الأوّل للعَيْنِ المِنْقَرِيّ

والثاني للفرزدق، وصدّره فاسد على ما أنشد والصحيح:

فدَى لسيوفٍ من تميمٍ وفي بها .....

وأنشده المبرّد [ت ٢٨٥ هـ] في باب العدد «ثلاث مئِينٍ للملوك» [المقتضب ٢:

١٧٠] واقتدى به أبو عليٍّ رحمه الله .»

وقد اقتصر الباقولي في المسألة الحادية والخمسين على تصحيح إنشاد بيت

للأعشى، فقد أنشد أبو عليٍّ للأعشى:

غَزَاتِكَ بالخيلِ أَرْضَ العدوِّ      وجُدَعائِهَا كلفيظِ العَجَمِ

قال الباقولي: وهذا الإنشاد فاسدٌ، والصحيح:

وإنّ غزاتك من حضر موت      أتتني ودوني الصّفا والعُظْمُ  
مقادك للخيل نحو العدو      وجُدعائها كلفيظ العجم<sup>(٢١)</sup>

وقد علق المحقق الفاضل في نحو من ثلاث صفحات على هذا الشاهد .  
وقد تكرر مثل هذا التصحيح في عشر مسائل .

١١- ومما له تعلّق بالفقرة السابقة أن أبا علي أنشد في الحجة أبياتاً ونسبها لغير أصحابها، كما أنه أنشد أبياتاً ولم ينسبها وذلك في ثمانية مواضع حسب إحصاء المحقق . فمن ذلك ما ورد في المسألة التاسعة بعد الخمسين حيث أنشد أبو علي قول الشاعر:

في ليلةٍ لا نرى بها أحداً      يحكي علينا إلا كواكبها

قال الباقولي: نسبه إلى عديّ، وهو في «الكتاب» هكذا . والصحيح أنه لرجلٍ من الأنصار . وقد علق الأستاذ المحقق تعليقا مطوّلاً، ذكر فيه أن الأنصاري صاحب الشعر هو أحيحة بن الجلاح الأوسيّ الأنصاري من أبيات أثبتها له الأصبهاني في الأغاني ١٥ : ٢٧، ٣٠ .

ومن هذا ما ورد في المسألة الثالثة عشرة عندما ذكر الباقولي أن أبا علي ذكر في بعض كلامه أن المبدل منه لا يقدر إسقاطه من الكلام، ثم قال: والدليل عليه قول جرير:

وكانه هُتق السّراة كأنه      ما حاجبيّه مُعيّنٌ بسوادٍ

فقوله: «مُعيّنٌ» خبر عن الهاء المنصوبة دون «حاجبيّه» .

قال الباقولي «هذا البيت ليس لجرير، وإنما هو لأبي حيّة النُميري، ووقع في

«الكتاب» هكذا منسوباً إلى جرير، ونقلوا عنه هكذا. وهو غير مستقيم، والصحيح:

---

(٢١) الجُدعان مفردهما جَدَع وهو من الخيل الذي استتمّ سنتين ودخل في الثالثة . ولفيظ العجم : النوى الملفوظ . شبه الخيل بالنوى لصلابتها واكتنازها .

وكانها ذو جُدتين كأنه ما حاجبيه مُعَيَّنٌ بسواد  
لهقُّ السَّراة كأنه في قهزة مخطوطة يَقِقِ من الأسناد

ذو جُدتين: حمار أو ثور. لهقُّ: أبيض. والسَّراة: أعلاه. في قهزة الإبريسم: ثياب  
بيض من السند. والشاهد في البيت مجيء «حاجبيه» بدلاً من الهاء في «كأنه»  
فكأنه قال: «كأن حاجبيه» وما: زائدة.

١٢- وهناك مواضع وقع فيها سهو باللفظ المورد على أنه من الحجة كأنه  
سبَّق قلم، أو فيما ذكره من العلل نظرًا لا تصحَّ معه، وكان ذلك حسب إحصاء  
المحقق في سبعة عشر موضعًا، فمن ذلك ما ورد في المسألة السابعة عندما أورد قول  
أبي علي: «فأما قول أبي عمرو: ﴿عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [البقرة ٢: ٦١] و﴿إِلَيْهِمْ﴾ [يس ٣٦: ١٤]  
فتحريكه بالكسر ليس على حدِّ قوله: ﴿قُرْ أَلَيْلَ﴾ [المزمل ٧٣: ٢] و﴿أَحَدٌ﴾  
﴿اللَّهُ﴾ [الإخلاص: ١١٢-١، ٢] ولكن كأن الأصل عنده في الوصل «عليهمي» فحذف  
الياء استخفافًا، كما حذف عاصمٌ وابن عامرٍ ونافعٌ في إحدى الروايتين لذلك. فلما  
حرَّك لالتقاء الساكنين أتى بحركة الأصل التي هي الكسر كما أتى أولئك بالضم.  
قال الباقولي: «ليس له حجة على العدول من ﴿قُرْ أَلَيْلَ﴾ إلى الوجه الآخر، وقد  
ذكر أحمد بن موسى [ابن مجاهد] أنه مثل ﴿قُرْ أَلَيْلَ﴾ ولم يُرو عن أبي عمرو «عليهمي».  
ومن أمثلة السهو الذي ورد عن قلم أبي علي ونبه عليه الباقولي ما ورد في المسألة  
الثالثة بعد السبعين: قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ فَرَعٍ يَوْمِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [ : قال أبو  
علي: «يجوز فيمن نون قوله سبحانه ﴿مِنْ فَرَعٍ﴾ في انتصاب «يوم» ثلاثة أضرب:  
أحدها: أن يكون منتصبًا بالمصدر، كأنه: وهم من أن يفزعوا يومئذٍ.

والآخر : أن يكون صفةً لـ «يوم» لأن أسماء الأحداث توصف بأسماء الزمان». قال الباقر : «الصواب : صفة لـ «فزع»، دون «يوم» وهو سهو .  
١٣ - وهناك مواضع جزم الباقر بوقوع ألفاظ وردت في كلام أبي علي غلطاً وهي ستة مواضع بإحصاء المحقق فمن ذلك سقوط الأداة «لا» الذي أفسد الكلام في المسألة الحادية والعشرين، ففيها ورد قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة ٢ : ١٠٢] قال : «وإذا كان كل واحدٍ منها - يعني المشددة والمخففة - تنافي الأخرى في المساغ والجواز كانوا كلهم قد أحسنَ فيما أخذ به». قال الباقر : «الصحيح : لا تُنافي، فسقطت «لا» من الكتاب. قال المحقق: وهي ثابتة غير ساقطة في المطبوعة عن المخطوطتين المعتمدتين.

ومن ذلك ما ورد في المسألة الأربعين في مبحث الآية ﴿لَوْ سَئَى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء ٤ : ٤٢] قال أبو علي في فضلٍ : «ومن أيانهم : لا والذي شقهنّ خمساً من واحدة»، وقال في موضع آخر من «الحجّة»: قال : «يريد الأصابع من الساعد والذراع». قال الباقر : بل «من الراحة» وأنشد :

[وليس الذنابي كالأقدامى وريشه] وما تستوي في الكفّ منك الأصابع

وكان للأستاذ المحقق كلام طويل تعليقاً على ما ورد .

١٤ - وذكر المحقق أن هناك موضعين في تفسير الشعر أخطأ فيهما أبو علي، ففي المسألة الثالثة بعد الثلاثين أنشد للأعشى :

أرْمِي بِهَا الْبَيْتَ إِذَا هَجَّرْتُ وَأَنْتَ بَيْنَ الْقُرُورِ وَالْعَاصِرِ

قال أبو علي : («أنت» وهو يريد نفسه، فنزل نفسه منزلة سواه في مخاطبته لها مخاطبة

الأجنبي). قال الباقر : ليس كما قال . إنما «أنت» يريد به «حيان» الذي ذكره في قوله :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا      وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ  
أرْمِي بِهَا الْبَيْدَ إِذَا أَعْرَضْتُ      وَأَنْتَ بَيْنَ الْقُرُوِّ وَالْعَاصِرِ  
فِي مَجْدِلٍ شَيْدٍ بُنْيَانُهُ      يَزُلُّ عَنْهُ ظُفْرُ الطَّائِرِ<sup>(٢٢)</sup>

و«حيّان» رجلٌ من بني حنيفة، وكان نديماً للأعشى، وكان سيّداً، وكان أفضل من «جابر» أخيه. فلما أضافه الأعشى إلى جابرٍ غضب حيّان، وقال: تضيفني إليه وأنا أعرفُ منه وأشرفُ؟! لا والله لا نادمتك أبداً. فاعتذر إليه الأعشى وقال: إنما اضطررتني القافية، فلم يرص عنه. ف«أنت» ل«حيّان» هذا. وقد لاحظ الأستاذ المحقق أنّ زلّة أبي علي نفسها قد وردت أيضاً في كتابه «كتاب الشعر»<sup>(٢٣)</sup> فقال عنها «زلّة غريبة من مثله».

١٥- وهناك موضع واحد فيما ذكر المحقق كان فيه خطأ في التلاوة في المسألة المتمة مئة، وقد راجعتها فلم أر خطأ تلاوة، وإنما لاحظت خطأ في التعليل، فقد أنشد أبو علي قول طفيل الغنوي:

وقد منّت الخذواءُ منّا عليهم      وشيطانٌ إذ يدعوهم ويثوبُ

فعلل أبو علي عدمَ صرفِ شيطانٍ بأنه مثل سعدانٍ وحمدانٍ، أي إنه منع الصرف لزيادة ألف ونون في آخره. ثم ذكر احتمال أن يكون «شيطان» اسم قبيلة، واحتمال أن يكون مؤنثاً فلا يلزم صرفها لذلك، لا لأن النون زائدة.

(٢٢) الكور: رُحِلَ الناقة، و«ما»: زائدة. والقُرُو: أسفل النخلة يتقر فينبذ فيه. والعاصر: الذي يعصر العنب. والمجدل: قصر مشرف. شَيْدٌ: طَوَّلَ بناؤه.

(٢٣) نشر كتاب الشعر في مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٨ - ١٩٨٨ بتحقيق د. محمود محمد الطناحي وكان نشر في دار القلم بدمشق ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ بتحقيق د. حسن هندراوي، ونشره بعنوان: شرح الأبيات المشكّلة الإعراب المسمى إيضاح الشعر.

وهنا استدرك عليه الباقولي بأن «شيطان» ليس اسم قبيلة وليس اسمًا مؤنثًا، وإنما هو اسم فارس من الفرسان، فهو شيطان بن الحكيم بن جاهمة بن حرقاء الغنويّ، والخدواء فرسه، وإنما لم يصرفه لأنه ترك الصرف للضرورة . وهذا - وإن كان عند البصريين ضعيفًا- أعني ترك صرف ما ينصرف - فقد جوزه الكوفيون وأنشدوا فيه أبياتًا . ويجوز أن يكون شبه لفظ شيطان بلفظ غضبان، فعامله معاملته إياه . ولدن هذا الجواز الأخير تدخّل المحقق ليقول إن هذا الرأي فيه إفساد للباب، وقد يلزمه إجازة ترك صرف ما ينصرف في السعة لأنه يشبه لفظًا لا ينصرف . وهذا فاسد .. والوجه أن يحمل على أن الشاعر ترك صرفه في الضرورة وإن كان ذلك وجهًا قبيحًا .

١٦- وهنا أشار المحقق إلى موضع واحد أغرب فيه أبو علي في المسألة الثامنة عندما فصل القول في الإتياع الصوتي، فهناك إتياع حركة ليست للإعراب حركة ليست للإعراب كما في نحو مغيرة وممتين ويعفر وظلمات، وهناك إتياع حركة ليست للإعراب حركة إعراب وذلك في مثل : امرؤ وابنم وفوك وأجوؤك وأنبوؤك . والحرف المذكور في «الكتاب» بعكس هذه القسمة من النادر الذي لا حكم له، يريد الحرف الذي حكاه سيبويه :

اضرب الساقين إمك هابل

أتبع فيه حركة الإعراب حركة البناء، وذلك أن الميم مرفوعة، فكسرها إتياعًا لكسرة الهمزة التي أتبع كسرة النون في الساقين، لأن هذه الهمزة إنما تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة...

وعلق الباقر على كلام أبي عليّ بقوله: «ومثل هذا من أبي عليّ في كتبه إغرابٌ وتنفيرٌ للناس من كلامه، وليس هو من الفصاحة، بل هو من خُنزوانة الرجل وادّعائه على الناس والتكبر عليهم، وليس من العلم في شيء، فكأنه يشبه أَلغاز الصبيان في المكاتب».

أما المحقق فإنه لم يدع تعليق الباقر يمرّ بسلام، لقد أيدّ الباقر في أن أبا عليّ قد أغرب، ولكنه ردّ على الباقر نقده بأنه انتقد أبا عليّ بما هو جدير أن ينتقد به نفسه فقال له: «ولو غيرك قال هذا أيها الشيخ المحقق! فأنت أدخل في باب الإغراب من أبي عليّ وقولك في الجواهر ٢٠٧ عقيب بيت أنشدته فيه وبيت آخر في ديوان ابن الأعرابي = مثل قول أبي عليّ سواء!!

١٧- وهناك مواضع سقط فيها من لفظ أبي عليّ شيءٌ فاستدركه الباقر عليه

وذلك في ثلاثة مواضع، منها ما ورد في المسألة السبعين في قوله تعالى: ﴿وَأَوْسَتْهُمَا إِلَىٰ رَبِّوَةٍ﴾ [المؤمنون ٢٣ : ٥٠] قرأ عاصم وابن عامر ﴿إِلَىٰ رَبِّوَةٍ﴾ بفتح الراء، وقرأ الباقر ﴿إِلَىٰ رَبُّوَةٍ﴾ بضم الراء.

قال أبو عليّ: قال التوزي: الرُّبُوَةُ والرَّبَاوَةُ بمعنى. وقال أبو عبيدة: فلان في رُبُوَةٍ قومه أي في عزهم وعددهم. وقال الحسن: الرُّبُوَةُ: دمشق.

قال الباقر: الرُّبُوَةُ سقط من خطه، لم يذكر الشيخ المضمومة وذكر الكسر والفتح، وتلك لغة مشهورة، وليس في السبعة الكسر. وعلق المحقق على مأخذ الباقر بقوله: «كذا قال بانيًا ذلك على ضبط نسخ الحجة «ربوة» في قول أبي عبيدة والحسن. فإذا علمت أن الربوة مثلثة سقط ما زعمه الجامع من سقوط الربوة بالضم من خط أبي عليّ».

١٨- وهناك مواضع بيّض أبو علي موضعها ولم يقم بتسويدها وهي أربعة مواضع، فمن ذلك ما ورد في المسألة التاسعة بعد الأربعين، ففيها ذكر الآية ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف ٤٣ : ٣١] قال أبو علي : «فالرجل إنما يكون من قرية واحدة، كما أنّ اللؤلؤ يخرج من الملح . وإنما المعنى على رجلٍ من رجلي القريتين، والقريتان : مكة والطائف، والرجلان، «بيّض الموضع» وهنا تدخل الباقي ليملاً ما بيّض فقال : الرجلان : الوليد بن المغيرة المخزومي، وعروة بن مسعود الثقفي .

١٩- وهناك موضع تابع فيه أبو علي ابن مجاهد في السبعة على غلظه وذلك في المسألة الخامسة عشرة بعد المئة، وفيها ذكرت الآية ﴿لَا يَحِطُّنَّكُمْ سُلَيْمَنُ﴾ [النمل ٢٧ : ١٨] قال ابن مجاهد : قرأ عبيد<sup>(٢٤)</sup> عن أبي عمرو : ﴿لَا يَحِطُّنَّكُمْ﴾ ساكنة النون، وهو غلط قال [ابن مجاهد] وروى اليزيدي<sup>(٢٥)</sup> وغيره عن أبي عمرو ﴿لَا يَحِطُّنَّكُمْ﴾ مشددة النون، وكذلك قرأ الباقيون ﴿لَا يَحِطُّنَّكُمْ﴾. قال الباقي : هذا كلام مختل فاسد في الأصل والفرع جميعاً.

يريد بالأصل كتاب السبعة وبالفرع كتاب الحجة . وانصب نقد الباقي في هذه المسألة على أنها غلط من طريق الرواية ولا يريد أنها ليس لها وجه في العربية. ٢٠- أما الموضع الأخير، ففي المسألة الحادية والثلاثين فليس فيه استدراك تصويب وإنما استدراك تبيين لبعض كلام أبي علي .

(٢٤) هو عبيد بن عقيل أبو عمرو الهلالي البصري (ت ٢٠٧ هـ) روى القراءة عن أبي عمرو، وروى القراءة عنه محمد بن يحيى القطعي .

(٢٥) اليزيدي : أبو محمد يحيى بن المبارك العدوي (ت ٢٠٢ هـ) جود القرآن على أبي عمرو .

تلك هي أنواع المسائل التي استدرك بها جامع العلوم على أبي علي، ولا تخرج المسائل الأخرى المستدركة على أبي إسحاق والزجاج وابن جني عن هذا التصنيف.

:

اعتمد المحقق مخطوطتين للكتاب لا يُعرف غيرهما، هما مخطوطة ليدن بهولاندة وهي نسخة تامة جيدة، ونسخة جامعة طهران والباقي منها ثلاث ورقات ونصف أي سبع صفحات. وإذا لم نتحدث عما أتقنه المحقق من ضبط للنص ومراجعة له على أصوله وتخريج ما فيه من آراء، فإنه لا بد أن نذكر له تلك التعليقات المستفيضة والإحالات الكثيرة، التي عنيت بتوضيح ما غمض وشرح ما استغلق، والاستدراك على المستدرك، ويكفي أن نقول إن النسخة التامة وهي نسخة ليدن وقعت في ست وعشرين صفحة، وأن نص الكتاب المحقق جاء مع فهارسه ودون مقدمته في نحو من ستين وسبعمئة صفحة، لم تخل صفحة من صفحات التحقيق من فائدة أو تعليق أو رأي أو توضيح، على المنهج الصعب المرتقى الذي ارتضاه لنفسه ونهج عليه في أعماله كما في تحقيقه سفر السعادة للسَّخاوي<sup>(٢٦)</sup>، وكشف المشكلات وحل المعضلات للباقولي، والإبانة عن ماءات القرآن<sup>(٢٧)</sup> له أيضًا، والكامل<sup>(٢٨)</sup> للمبرد. وأتمنى له السير قدمًا في إنتاجه المتقن وخدمته لتراث أمته.

(٢٦) نشره مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٢٧) نشرته وزارة الأوقاف بالكويت ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٢٨) نشر في مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

الدكتور جميل صليبا  
المربي والفيلسوف، ورحلة عمر في خدمة الوطن والأجيال  
« ١٩٧٦ - ١٩٠٢ »

د. جوزيف كلاس(\*)

يعدُّ الدكتور «جميل صليبا» واحداً من المفكرين العرب السوريين البارزين، شكّل ينبوع ثقافته وجزارة عطائه موسوعةً علمية راقية، غدت مرجعاً للباحثين والطلاب في علمي الفلسفة والتربية بوجهٍ خاص.

- ولد جميل حبيب صليبا عام ١٩٠٢م في بلدة «القرعون» - من أعمال البقاع الغربي في لبنان - ثم انتقل مع أسرته إلى دمشق عام ١٩٠٨م، وأمضى مرحلة التعليم الابتدائي بمدارس الآسية الأرثوذكسية حتى عام ١٩١٢م، ثم انتقل إلى المكتب السلطاني العثماني، فقرأ فيه العلوم باللغة التركية حتى عام

---

(\*) طبيب وباحث من سورية، توفي حديثاً في ١٤ / ٩ / ٢٠١١م، كتب عن أندلسيات الزمن العربي المزدهر، وله كتب تبحث في حضارة العرب في الأندلس وفي تقدمهم العلمي والحضاري قبل نكبتهم.

١٩١٨م، وتابع تعليمه في تجهيز دمشق الرسمية الوحيدة آنذاك - مكتب عنبر - حتى حصوله على شهادتها عام ١٩٢١م.

- أوفدته وزارة المعارف التي كان يرأسها «محمد كرد علي» إلى فرنسا لدراسة العلوم والفنون والآداب. انتسب «جميل صليبا» إلى كلية الآداب بجامعة باريس «السوربون» فدرس فيها ليحصل منها على دبلوم التربية من معهد علم النفس عام ١٩٢٣م، وشهادة الإجازة في الآداب - فرع الفلسفة - عام ١٩٢٤م، والإجازة في الحقوق عام ١٩٢٦م، وعلى الدكتوراه في الآداب - فرع الفلسفة - عام ١٩٢٧م، وكان موضوع أطروحته الرئيسية: «دراسة ميتافيزيقية ابن سينا» وموضوع أطروحته المكملة: «نظرية المعرفة في المذهب الاجتماعي الفرنسي».

\* عمر من الدأب في خدمة الفكر: باشر الدكتور «جميل صليبا» إثر عودته للوطن عمله في تدريس الفلسفة بمدارس دمشق الثانوية، وأخذ يتدرج في المناصب التربوية: رئيساً للتعليم الثانوي والإكمالي في وزارة المعارف عام ١٩٣٥م، ثم مديراً لدار المعلمين، ورئيساً للجنة التربية والتعليم بالوزارة عام ١٩٤٥م، ثم أميناً عاماً للوزارة عام ١٩٤٩م، وفي العام نفسه نقل إلى الجامعة السورية «جامعة دمشق اليوم» أستاذاً بكلية التربية، ثم عميداً لها من عام ١٩٥٠م إلى عام ١٩٦٤م، وشغل منصب رئيس الجامعة بالوكالة عام ١٩٥٨م.

- أحيل الدكتور صليبا على التقاعد عام ١٩٦٤م، ونُذِب محاضراً في المركز الإقليمي لليونسكو في بيروت لتدريب كبار موظفي التربية في الوطن العربي.

- انتُخب «الدكتور صليبا» لعضوية المجمع العلمي العربي عام ١٩٤٢م، واختير عام ١٩٤٣م عضواً في لجنته الإدارية (مكتب المجمع الآن)، واختير كذلك عضواً في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (اليونسكو) عام ١٩٥٥م، وعضواً في اللجنة الدولية لعلوم التربية عام ١٩٥٨م.

- مثل سورية في العديد من المؤتمرات الدولية، العلمية والتربوية، ومؤتمرات الجامعات العربية واليونيسكو، لدراسة الحاجات التربوية في العالم العربي.

- شارك في الندوات الدولية والحلقات التربوية، وألقى عشرات المحاضرات في سورية والأقطار العربية، وأسهم في إصدار مجلات للمعلمين والمعلمات عام ١٩٤١م، وأسّس مجلة «العالم العربي» وأشرف عليها حتى عام ١٩٤٩م، واشترك في إصدار مجلة «كلية التربية» بجامعة دمشق وترأس تحريرها.

\* جهوده في الفلسفة والتربية: اتجه اهتمام الدكتور جميل صليبا نحو التربية بوجه خاص، والمشكلات التربوية التي يواجهها المجتمع العربي، وكان من بين أوائل المربين الذين مهّدوا السبيل للبحث الفلسفي المعاصر. وتجلّى اهتمامه بانكباه على تراث العرب الفلسفي، ودراسته بعمق ووعي لإزاحة الستار عن خصائصه، والدور الذي أداه لدى نشأته، والدور الذي يمكنه القيام به في المستقبل، وحرص من أجل هذا الهدف على تبسيط التراث الفلسفي لأغراض تدريسية وتربوية، بحيث يكون في متناول أكبر مجموعة من المعنيين به، واهتم بوجه خاص بالكشف عما ينطوي عليه التراث من قيم تتجاوز عصرها، وقارن

بينها وبين ما يقابلها من الآراء في النظريات الفلسفية في الغرب، وقد جمع مُحصلةً بحوثه ودراساته القيمة في مؤلفاته، وفي دراساته المنشورة في المجلات العربية. وقد دلت هذه المؤلفات على إسهامه الكبير في حركة التنوير العربية، وعلى سعة ثقافته ووفرة معلوماته وإحاطته الشاملة في استقراء الوقائع، والدقة في البحث.

\* مؤلفاته: أصدر الدكتور «صليبا» في عام ١٩٣٦ م كتابه «علم النفس» الذي جمع فيه النظريات التربوية في علم النفس والتي كانت سائدة خلال الثلاثينيات من القرن الماضي، وقدمها بأسلوب عملي وفني جميل، وقد تخرجت على يديه مواكب من الشباب، حصّلوا ثقافة علمية وفلسفية رفيعة، تركت آثارها واضحة في النهضة العلمية الحديثة.

وقد نيفت كتبه على الثلاثين مؤلفاً في الفلسفة والتربية وعلم النفس والأدب ومن أهم هذه المؤلفات:

- ابن خلدون: درس وتحليل عام ١٩٣٤، علم النفس ١٩٣٦، ابن سينا: درس وتحليل ١٩٣٧.

- علم المنطق ١٩٤٤، من أفلاطون إلى ابن سينا (محاضرات في الفلسفة العربية ١٩٥١).

- إعداد المرّي - ترجمة - ١٩٥٦، الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث عام ١٩٥٨، المنقذ من الضلال (الغزالي) بالاشتراك مع د. كامل عياد ١٩٦٠.

- حي بن يقظان لابن طفيل بالاشتراك مع د. عياد ١٩٦٢، الإنتاج الفلسفي خلال المئة سنة الأخيرة في الثقافة العربية المعاصرة ١٩٦٧، اتجاهات

النقد الحديث في سورية ١٩٦٩، تاريخ الفلسفة ١٩٧٠، المعجم الفلسفي  
(مجلدان) ١٩٧٣.

ونشر الدكتور «صليبا» خلال مسيرته التربوية، مئات البحوث والمقالات في  
التربية وعلم النفس والفلسفة في كبريات الدوريات الثقافية العربية.

\* درس الدكتور صليبا نشأة الفلسفة العربية الأصيلة دراسة متعمقة،  
وأسهّم في الكشف عنها، وهي تجربة أصيلة لما كان فيها من نقل واقتباس أولاً،  
ومزج وتوفيق ثانياً، وإبداع وابتكار ثالثاً.. تجربة تفرض على العرب المعاصرين  
أن يتخذوا موقفاً مماثلاً ليعيدوا مجدداً بناء حضارتهم العربية المعاصرة، المفتحة  
على العالم والمتجددة دوماً. حضارة تتسم بالأصالة والمعاصرة في آن معاً.

ولقد تجلّت مواقف الدكتور جميل صليبا في هذا المضمار فيما يلي:

١- إن ماضي الأمة العربية هو من أهم مقومات هويتنا القومية.

٢- لا بد من العودة إلى تراثنا الثقافي ودراسته بغيره لإقامة جسر من التواصل  
الواعي الحر المتفاعل بين حاضرنا وماضيها.. وقد أمضى الدكتور صليبا عمره في  
دراسة التراث العربي والكشف عما فيه من قيم إنسانية كما عرّف بأعلامه.

٣- تميز موقفه من التجربة الإنسانية في مجال العلم والفكر بالواعي  
والإيجابية، فدعا إلى ترجمة روائع الفكر الإنساني، وأسهم هو بنفسه في هذا الجهد  
الذي اتّسم بالتجديد والدعوة إلى حُسن الاختيار من الثقافة الغربية، وجعلها  
منطلقاً إلى فكر عربي قومي، وفلسفة عربية متجددة عن طريق ابتكار نماذج، فيها  
تعبير عن ذاتية الأمة وتأصيل ثقافتها.

٤- درس الدكتور صليبا حال التربية العربية المعاصرة، وانتقد تردُّدها بين الأصالة والاقْتباس، وعجزها أحياناً عن الإبداع والابتكار، وقدم تصوُّره ومقترحاته لمواجهة واقع التربية، ودعا إلى توفير الظروف الموضوعية للانتقال إلى مرحلة خلق وإبداع نظرية تربوية عربية أصيلة ومتجددة، وحدد تفصيلاً الخطوات العلمية لهذا الانتقال.

ولم تكن جهود الدكتور صليبا نظرية فقط، بل كان عملياً فعّالاً، فهو أول من أدخل علم النفس المعاصر إلى سورية، وأول من أدخل مادة الفلسفة العربية الإسلامية في مناهج التدريس في الثلاثينيات من القرن الماضي، وكان أول من أدخل مادة «التربية في العالم العربي» إلى كلية التربية بجامعة دمشق.

- لقد أكّدت مسيرة الدكتور صليبا الفكرية والتربوية طوال نصف قرن من العمل الجاد، قيمته الإنسانية والوطنية، ولهذا كان رحيله في كانون الأول من عام ١٩٧٦م، خسارة كبيرة للعمل التربوي والفكري في الوطن العربي، وكان تكريمه فيما بعد، عرفاناً بفضلله، كمفكر ومُربٍّ أدى رسالته بإخلاص فكان جديرًا باعتزاز الوطن والأجيال.

#### المصادر:

- مجلة مجمع اللغة العربية - المجلد ٥٥ - مقال: عبد الكريم زهور.
- عبقریات: عبد الغني العطري - دار البشائر - دمشق ٢٠٠٠.
- الأصالة والمعاصرة عند جميل صليبا - إلياس نصر الله - مجلة بناء الأجيال - العدد ٢١ - كانون الثاني ١٩٩٧.
- شموع في الضباب - عيسى فتوح.

## معجم الاستشهادات للدكتور علي القاسمي

### بين طبعتين

د. نسرين عبد العليم (\*)

عُرِفَ الباحث الدكتور علي القاسمي بإسهاماته العلمية والأدبية الغزيرة، وما يزال يُعْغِي المكتبة العربية بالإبداعات القصصية، والترجمات المتميّزة، والبحوث القيّمة باللغتين العربية والإنكليزية، والأعمال العلمية المتقّنة، وخاصة في مجال الصناعة المعجمية.

وأهم إنجازات الدكتور القاسمي في مجال المعجمية بحسب سنة النشر ما يلي:

- معجم الاستشهادات الموسّع. بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٨.

- علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية. بيروت، مكتبة لبنان

ناشرون، ٢٠٠٨.

- علم اللغة وصناعة المعجم. ط٣، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٤.

(الطبعتان الأولى والثانية): جامعة الرياض، ١٩٧٥، ١٩٩١.

---

(\*) باحثة في فقه اللغة واللسانيات من مصر.

- المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون،  
٢٠٠٣.

- معجم الاستشهادات. بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١.

- المعجم العربي الأساسي. ط ٢، المنسّق، ١٩٩١. (الطبعة الأولى): باريس،  
الألكسو/ لاروس، ١٩٨٩.

- مقدمة في علم المصطلح. ط ٢، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٨٨. (الطبعة  
الأولى): بغداد، ١٩٨٥.

- معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (مع آخرين). بيروت، مكتبة لبنان  
ناشرون، ١٩٨١.

وهذه الإنجازات تدلّ على جهد عظيم بذله الباحث، في مجال المعجمية،  
خلال رحلة علمية حافلة بالعطاء.

وهذه الصفحات مخصّصة للتعريف بكتابه «معجم الاستشهادات» الذي  
يُعدّ إسهامًا فريدًا في الحياة الفكرية والأدبية.

أولاً - مضمون المعجم:

صدرت الطبعة الأولى في (٦٨٤ صفحة) بيروت عام ٢٠٠١ تحت عنوان  
«معجم الاستشهادات»، وصدرت الطبعة الثانية في (١٠٨٠ صفحة) بيروت  
أيضًا عام ٢٠٠٨ تحت عنوان «معجم الاستشهادات الموسّع». والدار المسئولة

هي: مكتبة لبنان ناشرون، التي عُرفت بتخصّصها في نشر المعجمات والموسوعات.

يضم هذا المعجم بطبعتيه ذخيرةً من الشواهد التي اعتاد الكتاب والخطباء والمتكلّمون على الاستشهاد بها، للاحتجاج لأرائهم، أو دعم مواقفهم، أو توضيح أفكارهم، أو إضفاء الجمال والرّونق على أساليبهم. وهذه الشواهد مقتبسة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، أو مستمدّة من الشعر والخطب والأمثال والحكم والأقوال المأثورة، من مختلف عصور الثقافة العربية.

وقد جمع الباحث مادةً معجمه من مصادر كثيرة أهمها: (١)

١- الاستشهادات التي تُستخدَم في الصحف اليومية والمجلات والدوريات المختلفة، والكتب ذات الموضوعات العامّة والمتخصّصة.

٢- معاجم التمثيل والاقْتباس والاستشهاد، أو الكتب القريبة منها مثل كتاب «الاقْتباس» للثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، وكتاب «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ت ٤٥٠هـ)، وكتاب «الدر الفريد وبيت القصيد» لمحمد بن سيف الدين أيّدمر (المتوفى في بداية القرن الثامن الهجري).

٣- كُتُب التراث العربيّ وخاصّة منها تلك التي تحفل بالاقْتطافات من مشاهير الكُتّاب، وأعلام الخطباء، وجهابذة الشعراء كالأغاني، والأُمالي، والعقد الفريد، وخزانة الأدب، وصبح الأعشى، وغيرها.

---

(١) معجم الاستشهادات ص ٥٢، ومعجم الاستشهادات الموسّع ص ٧٨٠.

٤- الكُتُب المدرسيّة وخاصّة كُتُب المحفوظات والمطالعة والنصوص الأدبية وغيرها، وهي الكُتُب التي تشكّل مخزون المثقّف العربيّ من الاستشهادات.

٥- البرامج الإذاعيّة التي تناولت الشواهد مثل البرنامج الإذاعيّ «قول على قول» للأستاذ حسن الكرمي.

ويتألف المعجم بطبعته من المداخل التالية:

١- إرشادات استعمال المعجم. ٢- المقدمة. ٣- متن المعجم. ٤- فهرس الموضوعات. ٥- فهرس أصحاب الاستشهادات. ٦- فهرس الألفاظ والمعاني. أولاً- إرشادات استعمال المعجم:

وهي مجموعة من التعليقات التي تضع بين يدي القارئ مفاتيح الإفادة من المعجم وفهارسه، إضافة إلى شرح طريقة ترتيب موادّه، والرموز المستعملة فيه، والمنهج الذي أتبعه المؤلف في جمع المادة، والزمن الذي استغرقه. وهذه الإرشادات مختصرة ومبسّطة ولا تشغل سوى صفحتين من المعجم.

ثانياً- المقدمة:

وتشغل في الطبعتين (٣٩ صفحة) ولكن يختلف موضعها، ففي الطبعة الأولى جاءت في بداية المعجم بعد الإرشادات، أما في الطبعة الثانية فقد تحوّلت إلى خاتمة فجاءت في نهاية المعجم قبل الفهارس.

والمقدّمة التي وضعها الباحث هي دراسة تفصيلية تناول فيها مسألة الاستشهاد ومكانتها في التراث العربي.

بدأ الباحث مقدمته بالحديث عن رحلته مع هذا المعجم، والوقت الذي أنفقه في جمع مادته، فقال: «منذ قرابة عشرين عاماً وأنا أطوف في حقول الفكر العربي، وأتجوّل في بساتين آدابه، وأتنزّه في حدائق أشعاره، وأمعن النظر في منشور أزهاره، ثم أطفأ أروعها منظراً وأزكاها أريجاً، فأجمع الورد التي فاح عيرها حتى تناقلت النسيبات العليّة إلى الوديان المجاورة والسهول المتاخمة ... وبعد هذا وذاك أنظّم تلك الأزاهير، وأرتّب تلك الجواهر، في معجم فريد من نوعه، رائد في ميدانه، يقوم على الاستشهاد والتمثيل والاقتباس، لأضعه بكل عناية وأناة، وبكل فخر واعتزاز، على رفوف مكتبتنا العربية الزاهرة، هديةً محبّة، ورمزاً ولاءً للغتنا المجيدة».<sup>(٢)</sup>

ثم عرض بعد ذلك مسائل لها اتّصال بمادة المعجم، كالتمثيل والاقتباس والاستشهاد. فالتمثيل هو: «الإتيان أو الاستشهاد بقول سائر، من مثل أو شعر أو نثر، على كلام المتكلّم أو خاطرة خطرت بذهنه».<sup>(٣)</sup> والاقتباس وهو: «أن يُضمّن المتكلّم منشوره أو منظومه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، على وجه لا يُشعرُ أنه منها ... كقول ابن نباتة:

(٢) معجم الاستشهادات ص ١٥، ومعجم الاستشهادات الموسّع ص ٧٤٣.

(٣) معجم الاستشهادات ص ١٧، ومعجم الاستشهادات الموسّع ص ٧٤٥.

أُنَاشِدُهُ الرَّحْمَانَ فِي جَمْعِ شَمَلِنَا      فَيُقَسِّمُ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَى الْحَشْرِ  
إِذَا مَا غَدَا مِثْلَ الْحَدِيدِ فَوَادُهُ      ف(وَالْعَصْرِ) إِنَّ الْعَاشِقِينَ (لَفِي خُسْرٍ)»<sup>(٤)</sup>

وأشار الباحث إلى كتاب «الاقْتَبَاسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلثَّعَالِبِيِّ»، الذي هو أحد مصادر المعجم.

ثم تحدّث عن مفهوم الاستشهاد وأغراضه، وطبيعة الشواهد بحسب أنواع العلوم، فتحدّث عن الشواهد المعجمية، والشواهد النحوية، والشواهد البلاغية، والشواهد الفقهية، والشواهد المتعدّدة الأغراض.

ثم انتقل إلى الحديث عن تاريخ الاستشهاد وعصره الذهبي، ومحاسنه ومساوئه، والمعايير المطلوب مراعاتها عند اختيار الشاهد وتوظيفه، كما عرض آراء بعض العلماء في تفضيل الشاهد الشعري على النثري.

ثم ذكر طرائق الاستشهاد وهي التنصيص والتضمين والتلميح والعقد والحلّ.<sup>(٥)</sup> وتوقّف عند نسبة الشاهد إلى قائله، وما يتّصل بهذه المسألة من أسباب إغفال النسبة أو الخطأ والتداخل فيها.

(٤) معجم الاستشهادات ص ١٨، ومعجم الاستشهادات الموسّع ص ٧٤٦. وكلمة «مثل»

جاءت في المعجم بالرفع، والصواب النصب، لأنها خبر للفعل الناقص «غدا».

(٥) للوقوف على هذا الطرائق يُنظر: معجم الاستشهادات ص ٣٠ - ٣٣، ومعجم

الاستشهادات الموسّع ص ٧٥٨ - ٧٦١.

ثم توقّف عند معجم الاستشهادات، فتحدّث عما يتميِّز به عن غيره من المعاجم اللغوية أو الموسوعية، وعن كتب المختارات الأدبية، من حيث الغرض والمادة والجمهور المستهدف<sup>(٦)</sup>، موضِّحاً أن غرض المعجم هو عرض نصوص أدبية مقتبسة مع نسبتها إلى قائلها ومصادرها، وأن جمهور المعجم يتألف من جميع الذين يمارسون صنعة الكلام أو الكتابة. فهو كما يقول المؤلف «مفيد على الخصوص في إعداد خطب أئمة الجوامع، ومحاضرات الأساتذة، ومرافعات المحامين، والخطب السياسية والبرلمانية، وموادّ مُعدّي البرامج الإذاعية والتلفزية، ومقالات الصحفيين، وإنشاء الطلاب، ومؤلّفات الكتاب الآخرين. ويوفر معجم الاستشهادات قراءة ممتعة ومطالعة شيقة لجميع المثقفين الذين يهتمهم الاطلاع على خلاصات العقول وبنات الأفكار»<sup>(٧)</sup>.

ثم ذكر الباحث أن هذا المعجم هو إسهام فريد في الثقافة العربية، وأنه مع ذلك لا يُغطّي إلاّ حيزاً ضيقاً من مادة الاستشهادات الواسعة جدّاً، ورأى أن هذا المعجم قابل للتوسيع، كما أنه قابل للتخصّص في مجالات الحياة الفكرية كالأدب والسياسة وغير ذلك. وتطرّق إلى التجارب العربية القديمة كتجربة الثعالبي وأيدمر، وإلى ما وصلت إليه اللغات الأخرى كالإنكليزية والفرنسية في هذا المجال.

---

(٦) للتفصيل يُنظر: معجم الاستشهادات ص ٤١ - ٤٢، ومعجم الاستشهادات الموسّع ص ٧٦٩ - ٧٧٠.

(٧) معجم الاستشهادات ص ٤٧، ومعجم الاستشهادات الموسّع ص ٧٧٤ - ٧٧٥.

وأخيراً ختم المقدمة بالحديث عن أهمية المعجم وفوائده ومصادره، والمنهج المتبع في ترتيب موضوعاته ومواده. فذكر أن الموضوعات رُتبت ترتيباً ألفبائياً بحسب الجذور، وأن المادة المُدرّجة تحت الموضوعات، إضافة إلى فهرس المعجم، رُتبت كلها ترتيباً ألفبائياً بحسب كتابتها، تيسيراً للقارئ العام.

### ثالثاً- متن المعجم:

يضم المعجم، كما توضّح سابقاً، ذخيرةً من الشواهد التي يستعملها الكتاب والمتكلمون في كتاباتهم وخطبهم وأحاديثهم. وهذه الشواهد مصنّفة ضمن موضوعات عامة مثل: «الشَّرَاب والشُّرب الانسراح والشَّرّ والشَّرِعة والشَّرْف والشريف والشُّرك والشَّرّه والشُّراء...»<sup>(٨)</sup>.

وتحت هذه الموضوعات جُمعت الشواهد مرتّبة ترتيباً ألفبائياً بحسب كتابتها، على حين أن الموضوعات رُتبت في متن المعجم بحسب الجذور.

وللتعريف بمواد المعجم ومنهج الباحث أسوق مثلاً ما عُرض تحت موضوع «الرحمة» مضبوطاً بالشكل كما ضُبط في المعجم، حيث جاء:<sup>(٩)</sup>

٦ - [إِرْحَم تُرْحَم]، إِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ. النبي ﷺ

رواه الترمذي.

(٨) معجم الاستشهادات ص ٦٣٥.

(٩) معجم الاستشهادات الموسع ص ٢٣٤.

٧- [إِرْحَمَ مَنْ دُونَكَ، يَرْحَمُكَ مَنْ فَوْقَكَ] [قول سائر].

٨- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿القرآن - [الفاتحة: ٢-٣].

٩- الرَّحْمَةُ فِي اللَّهِ حَيَاةٌ. جعفر الصادق.

١٠- «إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي.» حديث قدسي.

١١- لو تَرَاخَمَ النَّاسُ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ جَائِعٌ وَلَا عَارٌ، وَلَا مَغْبُونٌ وَلَا مَهْضُومٌ  
وَلَأَقْفَرَتِ الْجَفُونَ مِنَ الْمَدَامِعِ، وَلَا طَمَأَنْتِ الْجُنُوبُ فِي الْمَضَاجِعِ، وَلَمَحَتْ الرَّحْمَةُ  
الشِّقَاءَ مِنَ الْمَجْتَمَعِ، كَمَا يَمْحُو لِسَانَ الصُّبْحِ مَدَادَ الظُّلَامِ.

مصطفى لطفی المنفلوطي (في كتابه: النظرات)

١٢- «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفَ شَرَفَ كَبِيرِنَا.» النبي ﷺ (رواه

الترمذي وأبو داود وأحمد بن حنبل).

١٣- ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ

مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ القرآن - [فاطر: ٢].

١٤- «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمُ، وَمَنْ لَا يُغْفِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ.» النبي ﷺ (متفق

عليه).

١٥- «وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ.» النبي ﷺ (متفق عليه).

١٦ - ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ القرآن - [المؤمنون:

.[١١٨]

أنظر كذلك: التراحم، التسامح، الرأفة، الغفران.

\*\*\*

هذا ما عُرض من الشواهد تحت موضوع «الرحمة». وقد بدأ ترقيم الشواهد بالرقم (٦)، لأن الباحث عرض خمسة شواهد قبله لموضوعي «التراحم والرحم»، وكل هذه الموضوعات عُرضت تحت الجذر (رح م).

ومن عرض الشواهد السابقة المدرجة تحت موضوع «الرحمة»، نستطيع أن نُكوّن فكرة واضحة عن المادة التي يحويها المعجم، والمنهج الذي اتّبعه الباحث في الترتيب والعرض والضبط. ويتّضح مدى الجهد الذي بذله في إنجاز هذا المعجم الفريد، وخاصة إذا علمنا أن عدد الموضوعات في الطبعة الأولى كما يظهر من الفهرس بلغ (١٤٥٦)، وأن عددها في الطبعة الثانية بلغ (١٦٣٠)، أي بزيادة (١٧٤) موضوعاً عن الطبعة الأولى، هذا في عدد الموضوعات فضلاً عن الزيادة في عدد الشواهد تحت كل موضوع.

ولكن يُؤخذ على الباحث الكريم ما يلي:

١- لم يتّبع منهجاً موحّداً في الضبط اللغوي، كما يظهر في الموضوع السابق الذي عرضته مضبوطاً بالشكل كما ضُبط في المعجم، فمثلاً في الشاهد العاشر

ضُبِطَ الفعل «غَلَبَتْ» ضَبْطًا تامًّا، على حين أن الفعل «ولأقفرت» مثلًا في الشاهد الحادي عشر لم يُضْبَط فيه أيّ حرف.

٢- لم يُرَاعِ الباحث الضبط الإعرابي مع الحاجة الماسّة إليه في كثير من المواضع لفهم المعنى وسلامة النطق، كما في الشاهد الحادي عشر، الذي جاء فيه: «كما يَمْحُو لِسَانُ الصُّبْحِ مَدَادَ الظَّلَامِ»، ففي هذه الجملة يُمكن أن يفهم بعض القراء «لسان» على أنه فاعل و«مداد» على أنه مفعول به، وهذا ما قصده المنفلوطي صاحب القول، ويُمكن العكس، والمعنى يسمح بذلك، لأن الظلام يَمْحُو الصُّبْحَ أيضًا كما أن الصبْحَ يَمْحُو الظَّلَامَ. ومن المواضع التي يُعَدُّ فيها الضبط الإعرابي ضروريًا لسلامة النطق هنا ما جاء مثلًا في الشاهد الخامس عشر، وهو الحديث النبوي الشريف «وإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ»، فكلمة «الرَّحْمَاءَ» لا يستطيع أن يقرأها بالنصب إلا المختصّون، مع أن الباحث الفاضل ذكر أن من جمهور المعجم: الطلاب وغير المختصّين.

٣- ألزم الباحث نفسه بترتيب الشواهد ترتيبًا ألفبائيًّا، وهذا أدّى إلى تفرُّق الشواهد ذات المصدر الواحد، كآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، ففي الموضوع السابق مثلًا نجد الآيات الكريمة موزّعة على الأرقام (٨ و١٣ و١٦) وحُشِرَت بينها أحاديث وأقوال، ونجد مثلًا الشاهد الحادي عشر وهو قول للمنفلوطي قد حُشِرَ بين شاهدين من الأحاديث الشريفة التي أُوتِي صاحبها مفاتيح الإعجاز وجوامع الكلم، وهذا أضرّ بقيمة القول، لأن الجميل

يُصبح قبيحاً إذا وُضِعَ مع الأَجْمَلِ. وفي هذا الموضوع وغيره نجد الشواهد الشعرية والنثرية تتداخل من أزمنة مختلفة، مع أن لكلِّ عصر معايير فنيّة وأسلوبية خاصة به. فليت الباحث الفاضل رتّب الشواهد تحت كلّ موضوع بحسب المصدر الواحد، كأن يعرض الآيات الكريمة أولاً، ثم الأحاديث الشريفة، ثم الأشعار والأقوال بحسب الترتيب الزمني. لو فعل هذا لكان أكثر جدوى وأنفع، وخاصة أن الترتيب الألفبائي للشواهد لا حاجة إليه لأن عدد الشواهد تحت كل موضوع لا يتجاوز العشرين في الغالب.

٤- أشار الباحث الفاضل إلى أن معجمه «لم يشتمل إلا نادراً على استشهادات من الكتاب والشعراء الذين هم على قيد الحياة»<sup>(١٠)</sup> لكن الواقع يُظهر أن المعجم يضم كثيراً من آثار المؤلفين الأحياء كأدونيس، وممن كانوا أحياء في مرحلة إعداد المعجم كنجيب محفوظ، وهناك أسماء جديدة من الأحياء ضمّها المعجم الموسّع، ولم تكن موجودة في الطبعة الأولى كنبيل علي.

٥- هناك شواهد لم يتحقّق الباحث من صحة نسبتها إلى قائلها. ومن أمثلة

ذلك البيت الذي ورد تحت موضوع «الهيام» وهو:

أهيم بليلى ما حييتُ فإن أمتُ يُجاور في الموتى ضريحي ضريحها

(١٠) معجم الاستشهادات ص ٥٢، ومعجم الاستشهادات الموسّع ص ٧٨٠.

فقد نُسب هذا البيت في الطبعتين إلى: يزيد بن محمد بن محمد بن عبد الله العلوي الحسيني، دون ذكر المصدر الذي اعتمد عليه الباحث الفاضل في إثبات هذه النسبة، ولا أدري لماذا أصرَّ الباحث على أن يُثبت بيتاً لشخص اضطرَّه إلى ذكر الجَدِّ الثاني ولقبين مميِّزين، خلافاً لمنهجه المعهود، مع أن شواهد الهيام في أشعار المشهورين كثيرة جداً، ولا يُتصوَّر أن يستشهد بهذا البيت كاتبٌ يحتاج إلى سطر من أجل كتابة اسم قائله، ويحتاج إلى حاشية للتعريف به، هذا فضلاً عن أن المشهور أن البيت لجميل بثينة وروايته كما في الديوان والمحاسن والمساوي لإبراهيم البيهقي (ت ٣٢٠هـ) والزهرة لابن داوود الأصفهاني (ت ٢٩٧هـ) وغيرها:

أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَا جَمِيعاً وَإِنْ نَمُتْ      يُجَاوِرُ فِي الْمَوْتَى ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا

ولجميل بيت آخر مشهور في نفس المعنى هو قوله:

يَهْوَاكِ مَا عَشْتُ الْفُؤَادُ فَإِنْ أُمْتُ      يَتَّبَعُ صَدَائِي صَدَاكِ بَيْنَ الْأَقْبُرِ

وللشاعر الأموي نصيب بن رباح بيت مشهور يتداخل مع الشاهد هو

قوله:

أَهْيِمُّ بِدَعْدِ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ      فَوَا حَزَنِي مِنْذَا يَهْيِمُّ بِهَا بَعْدِي

وقصة هذا البيت وما دار حوله في مجلس عبد الملك بن مروان مشهور.

ولعلَّ الشاهد الذي أثبتته الباحث الفاضل هو من الاقتراحات التي أدلى بها

بعض الأدباء الذين انتقدوا الشاعرَ نصيبًا لأجله. وقد وقفتُ على هذا الشاهد صدفة، لذلك لا أستطيع أن أشكك في نسبة غيره من الشواهد.

٦- أورد الباحث الفاضل كثيرًا من الشواهد لأدباء ومفكرين غير مشهورين، وأسماءهم غير مميّزة، ولم يُعرّف بهم في متن المعجم ولا في الفهارس، ومثل هذه الحالات تتساوى مع عدم ذكر صاحب الشاهد أصلًا. ومن أمثلة الأسماء والكنى المغمورة وغير المميّزة: أبو عبيد الله، وأحمد بن عيسى، وأحمد توفيق، وأحمد عساف، وعلي مبارك، وعلي يوسف... فمثل هذه الأسماء ليست مميّزة، ولا فائدة من ذكرها دون تعريف.

٧- لم يلتزم الباحث الفاضل بإيراد الأسماء على صورة واحدة في المتن ولا في الفهارس، وقد جاءت بعض الأسماء في فهرس أصحاب الاستشهادات في أكثر من موضع ووفق أكثر من صورة، مثل: بيهس وبيهس الضبي، ثابت بن قطنة وثابت قطنة، الصلاح الصفدي وصلاح الدين الصفدي، المتلمس والمتلمس الضبعي، ابن القيم وابن قيم الجوزية، وهذا يجعل القارئ يظنّ بأن ابن القيم مثلاً هو غير ابن القيم الجوزية، وخاصة أن الفهرس ضم الاسمين، ولكلّ منهما سطر مستقلّ.

٨- وثق الباحث الآيات الكريمة على هذا النحو: «القرآن - المؤمنون: ١١٨»، مع أن المنهج المتبع هو الاكتفاء بذكر اسم السورة ورقم الآية على النحو:

«المؤمنون: ١١٨»، وخاصة أن الآيات الكريمة كُتبت في المعجم بالرسم العثماني. كما نسب الأحاديث النبوية الشريفة على النحو: «وإِنَّمَا يَرَحِمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ.» النبي ﷺ (متفق عليه)، والشائع أن يُقال: «حديث شريف»، بدل: النبي ﷺ.

٩- لم يلتزم الباحث منهجاً واضحاً في ذكر مصادر الشواهد، فأحياناً يذكرها في المتن، وفي الغالب يُهملها. وقد وعد في الطبعة الأولى بذكر قائمة للمصادر والمراجع في آخر المعجم<sup>(١١)</sup>، لكنه لم يفعل. ولذلك تراجع عن وعده هذا في الطبعة الثانية، وحذف العبارة التي تتضمن ذلك.

١٠- هناك تفاوت كبير في حصة الأدباء والمفكرين من الشواهد، إذ يأتي في مقدمة أصحاب الشواهد الشعرية: المتنبّي وأبو العلاء المعري وأبو تمام وابن الرومي وأبو نواس وأحمد شوقي. ويأتي في مقدمة أصحاب الشواهد النثرية: الإمام علي بن أبي طالب وابن المقفع والشافعي والجاحظ. وهناك كثير من الأدباء والمفكرين اقتصر نصيبهم على شاهد واحد إلى بضعة شواهد. ويشغل متن المعجم في الطبعة الأولى (٥٧٠ صفحة)، وفي الطبعة الثانية (٧٤٢ صفحة)، أي بزيادة (١٧٢ صفحة). وكان يُنتظر من هذه الزيادة أن تُوظّف في تقليل نسبة التفاوت في الحصص، لكن ذلك لم يحصل، لأنها وُظّفت في إضافة موضوعات وشواهد جديدة، مع استمرار التفاوت.

---

(١١) يُنظر: معجم الاستشهادات ص ٥٢.

#### رابعاً- فهرس الموضوعات:

زوّد الباحث الفاضل مُعجمه بفهرس بالموضوعات التي يتضمّنها المعجم. وهو فهرس نافع ومفصّل، ويُسهّل الإفادة من المعجم، والوصول إلى الشاهد المطلوب يُيسر وسهولة. وهذا الفهرس رُتّب ترتيباً ألفبائياً بحسب الجذور. وقد وُضع في الطبعة الأولى بعد متن المعجم، أما في الطبعة الثانية فقد وُضع قبله، وهو يُعدّ أهمّ فهارس المعجم، والمفتاح الأساسي له.

#### خامساً- فهرس أصحاب الاستشهادات وفهرس الألفاظ والمعاني:

زوّد الباحث الفاضل معجمه، إضافة إلى فهرس الموضوعات، بفهرسين آخرين أحدهما يضم أسماء أصحاب الاستشهادات، والآخر يضم الألفاظ والمعاني الهامة التي تتضمّنها الاستشهادات، ولم يكن موجوداً في الطبعة الأولى. وهذان الفهرسان أقلّ أهميّة من فهرس الموضوعات، لأن الوصول إلى الشاهد لا يتمّ عن طريق معرفة اسم قائله أو بعض الألفاظ القريبة من مضمونه، وإنما يتمّ من خلال معرفة الموضوع الذي يندرج تحته.

\*\*\*

كان ذلك عرضاً موجزاً لكتاب «معجم الاستشهادات» للدكتور علي القاسمي، تضمّن تعريفاً بمضمونه وأغراضه وفوائده. وقد ظهر أنه معجم متميّز في موضوعه، ويُعدّ إسهاماً فريداً في الحياة الفكرية والأدبية.

## استدراك على ديوان العباس بن مرداس السلمي (\*)

د. مسعود عامر (\*\*)

كان من الطبيعي أن تُعنى الأمة في مستهل نهضتها بتراث الأجداد لما يحويه من ذخائر قيمة، وكنوز نفيسة على غرار ما قامت به الأمم المتحدة، فتضافرت جهود العلماء المخلصين للنهوض بهذا العبء، فنشطت حركة طبع الكتب وتحقيق المخطوطات وجمع أشعار الشعراء الذين فُقدت دواوينهم وأشعارهم التي صنعها علماء القرن الثاني الهجري ومن تلاهم من السلف الصالح.

وضمن هذا المسعى قام الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري بجمع شعر العباس بن مرداس السلمي وتحقيقه، وصدرت طبعته الأولى في المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ببغداد سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م وأعيد طبعه بمؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م، وبذل المحقق الفاضل جهداً عظيماً في إخراجهِ وإغنائه بفهارس قيِّمة كفهرس الأحاديث والشعر والأعلام... وذكر

---

(\*) نشرت الكتاب مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي : لجنة نشر التراث العربي ١٤٢٨هـ

= ٢٠٠٧ م.

(\*\*) باحث في الأدب والتراث من الجزائر.

المحقق أنه أعاد النظر في الطبعة الثانية «وقد جدت خلال هذه المدة الطويلة أمور إذ وقفتُ على أشعار جديدة فأعدت النظر في الديوان ترتيباً وإضافة وضبطاً وتصويماً وتخريجاً وتحقيقاً فجاء بهذه الصورة التي بين يديك»<sup>(١)</sup> وبالعودة إلى ما جمعت من شعر قبيلة سليم<sup>(٢)</sup> تبين أن ديوان العباس قد أخلَّ ببعض الأشعار التي تُنسب إلى العباس وكانت بعض هذه المصادر التي استدركنا منها على شعر العباس من مصادر المحقق الفاضل، فالكمال لله وحده. ما يستدرك على شعر العباس بن مرداس

- ١ -

- في جمهرة النسب (٢/ ٩٠): (الكامل)
- فَلَيْأَ تَيْنَكُمُ ابْنُ قَيْلَةَ مَالِكُ بِالْخَيْلِ تَرْشِي وَالرَّجَالُ غِضَابُ<sup>(٣)</sup>
- وفي الأغاني (٢٩/ ١٨)<sup>(٤)</sup>: (الوافر)

(١) ديوان العباس ٥.

(٢) شعراء قبيلة بني سليم: أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام وهو موضوع رسالتي في الدكتوراه.

(٣) ترشي: أي الخيل التي تمد أعناقها من النشاط.

مالك: هو مالك بن بشر بن قيس بن مالك بن كعب بن عمير بن خفاف من سليم، وقيلة:

جدة مالك (أم بشر) وهي قبيلة بنت الحارث بن عجرة بن عبد الله بن يقظة بن عصية.

(٤) آثرنا إثبات القصيدة كاملة كما وردت في الأغاني، علماً أن بعض الأبيات وردت في

ديوان العباس ص ٥٧.

وبلغه أن خفاف بن ندبه عابه فقال<sup>(٥)</sup>:

خُفَّافٌ أَمَا تَزَالُ تُجْرُّ ذِيلاً إِلَى الْأَمْرِ الْمُقَرَّبِ لِلْفَسَادِ<sup>(٦)</sup>  
إِذَا مَا عَاتَبْتِكَ بُنُو سُلَيْمٍ ثَنَيْتَ لَهُمْ بِدَاهِيَةِ نَادٍ<sup>(٧)</sup>  
وَقَدْ عَلِمَ الْمَعَاشِرُ مِنْ سُلَيْمٍ بَأَنِّي فِيهِمْ حَسَنُ الْأَيَادِي  
وَأَنِّي يَوْمَ جَمَعَ بَنِي عَطِيفٍ حَمَلْتُ بِحَالِكٍ وَهَجِ الْمُرَادِي<sup>(٨)</sup>  
وَأَنِّي لَا أَعْيِّرُ فِي سُلَيْمٍ بِرَدِّ الْخَيْلِ سَالِمَةَ الْهُوَادِي<sup>(٩)</sup>  
وَأَنِّي فِي مِلْمَةٍ كُلِّ يَوْمٍ أَقِي صَحْبِي وَفِي خَيْلِي تَعَادِي  
وَلَمْ أَسْلُبْ بِحَمْدِ اللَّهِ كِبْشًا سَلَاحًا بَيْنَ مَخْتَلَفِ الصُّعَادِ<sup>(١٠)</sup>  
وَلَمْ أَحْلُلْ لِمُحَصَّنَةِ نِطَاقًا وَلَمْ أَرَّ عَتَقَهَا إِلَّا الْمُرَادِي  
فَأُورِدُ يَا خُفَّافُ فَقَدْ مُنِيْتُمْ بَنِي عَوْفٍ بِحَيَّةِ بَطْنِ وَادِي<sup>(١١)</sup>

- (٥) ومرجع هذا الشعر أن فتى من رهط العباس بن مرداس سأل خفافاً عن الخصال التي ادعى أنها قعدن به عن ذلك فقال خفاف: «اتقاؤه بخيله عند الموت ومكالبته الصعاليك على الأسلاب وقتله الأسرى واستهانتة بسبايا العرب، وأيم الله لقد طالت حياته حتى تمنينا موته...» فتغنى العباس بقوله: خفاف أما تزال... الأبيات الأغاني ٢٩/١٨.
- (٦) الأغاني ٢٤/١٨ (خفاف ما تزال... الأمر المفارق للرشاد) وورد في الصفحة ٢٤ في المصدر عينه.
- (٧) لم يرد هذا البيت في القصيدة (إذا ما عنيتك) ناد: داهية شديدة
- (٨) المرادي: جمع مردي، وهو حجر يرمى به، ومنه قيل للرجل الشجاع، إنه لمرادي حروب، وهم مرادي الحروب، وتطلق المرادي على القوائم.
- (٩) الهوادي: جمع هادي: وهو العنق.
- (١٠) الكبش: من معانيه، سيد القوم، والصعاد: جمع صعدة، وهي القناة المستوية.
- (١١) في الأغاني ٢٤/١٩ (فقد بليتتم).

• وفي المحيط في اللغة مادة (هيب) : ٨٠ / ٤<sup>(١٢)</sup>

وإنَّ الغلامَ المستهَابَ بقتله قتلْنَا به ما بينَ مثنَى وموحد

-٤-

• وفي الأغاني (٢٨٣ / ١٤)<sup>(١٣)</sup> (الطويل)

لأسماءَ رَسْمٌ أصبحَ اليومَ دارسًا وقفتُ به يومًا إلى الليلِ حابسًا<sup>(١٤)</sup>

فجئنا بهيتٍ لا نرى غيرَ منزلٍ قليلٍ به الآثارُ إلا الروامِسًا<sup>(١٥)</sup>

(١٢) يقال أهاب به: أي دعاه، والمستهاب: المدعو بقتله يقولون «يافلان ييكون عليه، وقيل: هو الذي يفخرون بقتله أي إذا لقيتم آثاره قلتم: يا لثارات فلان فندبتموه، من قول العباس بن مرداس: وإن الغلام.

(١٣) البيتان من قصيدة العباس (٤٠)، وهي من المنصفات. انظر المنصفات، جمع وتحقيق: عبد المعين الملوحي: ٤٩، والديوان: ٩١، وقد لفقها يزيد بن معاوية فغيرها، وقد أشار أبو الفرج إلى ذلك، الأغاني ٢٨٣ / ١٤.

(١٤) صدر البيت في الديوان، وقال الأصفهاني: البيت الأول من الشعر للعباس بن مرداس السلمي، وبيت العباس مصرعه الثاني: «توهمت منه رحرحان فراكسا». رحرحان: جبل قريب من عكاظ خلف عرفات وراكس: واد. وفي الديوان: ٩١ «وأففر منها رحرحان فراكسا».

(١٥) رواية البيت في الديوان:

فجنبي عسيب لا أرى غير ماثل خلاء من الآثار ...

وفي معجم ما استعجم: (عسيب) ... غير منزل قليل به الآثار «إلا الروامسا» وعزاهما إلى العباس، وهيت: بلدة على الفرات، الروامس: الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار..

• وفي الأغاني: (٣٣ / ١٨) :

وقال العباس مجيباً خفافاً<sup>(١٦)</sup> (البيسيط)

إني رأيتُ خفافاً ليس يهنتُهُ	شيءٌ سوى شتمِ عبّاسِ بنِ مرداسِ
مهلاً خفافاً فإنَّ الحقَّ مغضبةٌ	والحمق ليس له في الناس من آسي <sup>(١٧)</sup>
سائلٌ سليماً إذا ما غارةٌ لحقت	منها فوارسٌ حشيدٌ غير أنكاسِ
من خثعمٍ وزبيدٍ أو بني قطنٍ	أو رهطٍ فروةٍ دهرًا أو شحا
	النَّاسِ <sup>(١٨)</sup>
ينبو من الفارس الحامي حقيقته	إذا أتوك بحامٍ غير عبّاسِ
لا يحسب الناس قول الحق معترفاً	فانظر خفافاً فما في الحق من باسِ
من زار خيلاً بني سعدٍ مسومةً	يهدي لأوهها لأي بني شماسِ
يَوْمَ اعترضتُ أبا بدرٍ بجائفةٍ	تعوي بعرقٍ من الأحشاء قلاسِ <sup>(١٩)</sup>

(١٦) التقى العباس وخفاف عند أسماء بن عروة بن الصلت بن حزام وكان مؤمناً في بني سليم، فقال العباس بلغني قولك: يا خفاف، ولعمري لا أشتم أباك ولا أمك، ولكنني رام سوادك بما فيك، والله ما كنت إلى ذمك بالهيبان، ولا إلى لحمك بالقرم، وإن سليماً لتعلم أني أبحت حمي بني زبيد، وأطفأت جمرة خثعم، وكسرت قرني بني الحارث بن كعب، وقلدت بني كنانة قلائد العار، وإني يا خفاف لأخف منك على بني سليم مؤونة، وأثقل منك على عدوهم وطأة وقال مجيباً له:

إني رأيت خفاف ... لأبيات الأغاني ٣٣ / ١٨، وهي رد على تقيضة خفاف.

(١٧) معضبة من غضب: يقال ناقلة غضباء: مشقوقة الأذن، وهو بمعنى قطع، الآسي: الطيب.

(١٨) الشحا: الواسع من كل شيء: ولعله أريد به لكل الناس.

أدعى الرئيس إذا ما حربكم كشفت  
عن ساقها لكم والأمر للراس  
حتى إذا انكشفت عنكم عمايتها  
أنشأت تضرب أحماساً بأسداس<sup>(٢٠)</sup>

-٦-

• وفي الأغاني: (٣١ / ١٨)<sup>(٢١)</sup>:

هل تعرف الطلل القديم كأنه  
وشم بأسفل ذي الخيام مرجع  
بقيت معارفه على مر الصبا  
بعد الجميع كأنه قد يمرع<sup>(٢٢)</sup>  
دار التي صادت فؤادك بعدما  
شمل المفارق منك شيب أروع  
وزعمت أنك لا تراخ إلى الصبا  
وعلتك منه شيبة لا ترجع  
يا أيها المرء السفية ألا ترى  
أني أضرت إذا هويت وأنفع  
وأعيش ما قدر الإله على القلى  
وأعفت نفسي عن مطامع تطمع<sup>(٢٣)</sup>  
كرماً على الخطر اليسير ولا ترى  
نفسى إلى الأمر الدني تطلع  
وأردُّذا الصغن اللئيم برأيه  
حتى يموت وليس فينا مطمع<sup>(٢٤)</sup>

(١٩) الجائفة: الطعنة التي تبلغ الجوف، العرق القلاس: الذي يمج الدم.

(٢٠) «تضرب أحماساً لأسداس» قال الجوهري: قولهم: «فلان يضرب أحماساً لأسداسي» أي يسعى في المكر والخديعة، وأصله من أظاء الإبل، ثم ضرب مثلاً للذي يراوغ صاحبه ويريه أنه يطيعه.

(٢١) وإن رهط العباس لاموه وقالوا له: «أيها الرجل أكفف» عن خفاف فقال العباس قولاً

جميلاً، وقال عند ذلك: «هل تعرف الطلل... الأبيات» الأغاني ٣٠ / ١٨.

(٢٢) يقال: مرع المكان: أي أخصب.

(٢٣) القلى: البغض.

لله دُرْكٌ لا تَمَنَّ مماننا      فالموتُ ويحكُ قَصْرُنَا والمَرْجِعُ  
لو كان يَهْلِكُ من تمنى موتهُ      حَلَّتْ عليكِ دهيةٌ لا تُرْفَعُ<sup>(٢٥)</sup>  
ومكثتَ في دار الهوانِ موطاً      بالذُّلِّ ليس لدارِكُمْ من يمنَعُ

-٧-

• وفي شرح حماسة أبي تمام للأعلم<sup>(٢٦)</sup> (١/٤٠٩): (الطويل)  
ألا أَبْلغُ أبا سلمى على نأى داره      مُغْلَغَلَةٌ منِّي تَحْصُ وتَجْمَعُ<sup>(٢٧)</sup>  
تعلّمُ بأن.....      .....<sup>(٢٨)</sup>

-٨-

• وفي شرح أبيات سيبويه (٢/٩٤): (الكامل)  
ولقد علمتُ إذا الرّجالُ تناهزوا      أيي وأيكمُ أعزُّ وأمنعُ<sup>(٣٠)</sup>  
أني امرؤُ منَعَ الإلهُ وأسرّتي      ضيمي، ويحمِلني فؤادُ أزوعُ<sup>(٣١)</sup>

(٢٤) في الأغاني «الضعن» والصواب ما أثبتناه والضعن: الحقد.

(٢٥) الدهية: تصغير الداهية، وهي الأمر العظيم يقال دواهي الدهر: ما يصيب الناس من عظيم نوبه.

(٢٦) قال عباس بن مرداس .

(٢٧) ورد البيت مع ثلاثة أبيات في شرح حماسة أبي تمام للأعلم ١/٤١١-٤١٢.

(٢٨) المغلغلة: الرسالة تغلغل من حي إلى حي حتى تبلغ صاحبها المقصود بها، واشتقاقها

من تغلغل الشيء أي دخل بعضه في بعض، وأفضى بعضه إلى بعض. وأراد تخصّص

وتعم فقال تجمع للقافية لأن العموم والجمع واحد في المعنى. شرح الأعلم ١/٤٠٣.

(٢٩) ذكر سيبويه أولهما وعزاه إلى خداس بن زهير، وللعباس قصيدة يحتفل أن يكونا منها

قالها يوم حنين وهي برقم ٤٣ ص ٩٨.

(٣٠) تنازها بدر بعضهم إلى بعض للقتال .

-٩-

• وفي الأنوار ومحاسن الأشعار (١٢٨/١) (٣٢):

قَتَلْنَاكُمْ مَا بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْجِدٍ      تَكْبُكُمْ أَرْمَاحُنَا فِي الْمَعَارِكِ (٣٣)  
فَطَوْرًا نُلَاقِيكُمْ وَطَوْرًا نَعْلُكُمْ      بِخَطِيئَةٍ فِيهَا سِإْمُ النَّيَازِكِ (٣٤)  
مُوكَلَّةً بِالسَّيْرِ نَحْوَ عَدُونَا      وَبِالرَّكْضِ مِنَّا الْمَلْحَقُ الْمُتَدَارِكِ

-١٠-

• وفي شرح أبيات سيويه لابن السيرافي (٩٣/٢) : (الوافر)

( فَأَيُّ مَا ..... ) (٣٥)  
وَلَا وَلَدَتْ لَهُمْ أَبَدًا حَصَانٌ      وَخَالَفَ مَا يُرِيدُ إِذَا ابْتَغَاهَا (٣٦)

- (٣١) وأسرته : رهطه الأدنون، والصَّيم: القهر والذَّل، الأروع: الذكي الحاد.
- (٣٢) وردت الأبيات في يوم الفيفاء وهو يوم لبني سليم على بني كنانة فقال العباس يرد على عبد الله بن جذل الطعان قوله: «تجنَّبت هندا رغبة عن قتاله» ألا أبلغنا عني ابن جذل ... الأبيات في الأنوار ومحاسن الأشعار (ق١/١٢٨) سقط من ديوان العباس الشعر المذكور آنفًا ومحلّه في القصيدة رقم ٥٩ على الترتيب بعد البيت ٩.٦.٣.
- (٣٣) كبه الله لوجهه : أي صرعه.
- (٣٤) نعلكم، العلل: الشرب الثاني يقال: علل بعد نهل: عله أي سقاه السقية الثانية، والمراد سوقهم الموت.
- الخطية: الرماح، وتنسب إلى الخط: وهو موضع باليامة وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به. الصحاح (خطط).
- (٣٥) البيت في ديوان العباس ١٦٣.
- (٣٦) حصان : يقال أحصنت المرأة عفت، وأحصنها زوجها. الصحاح (حصن).